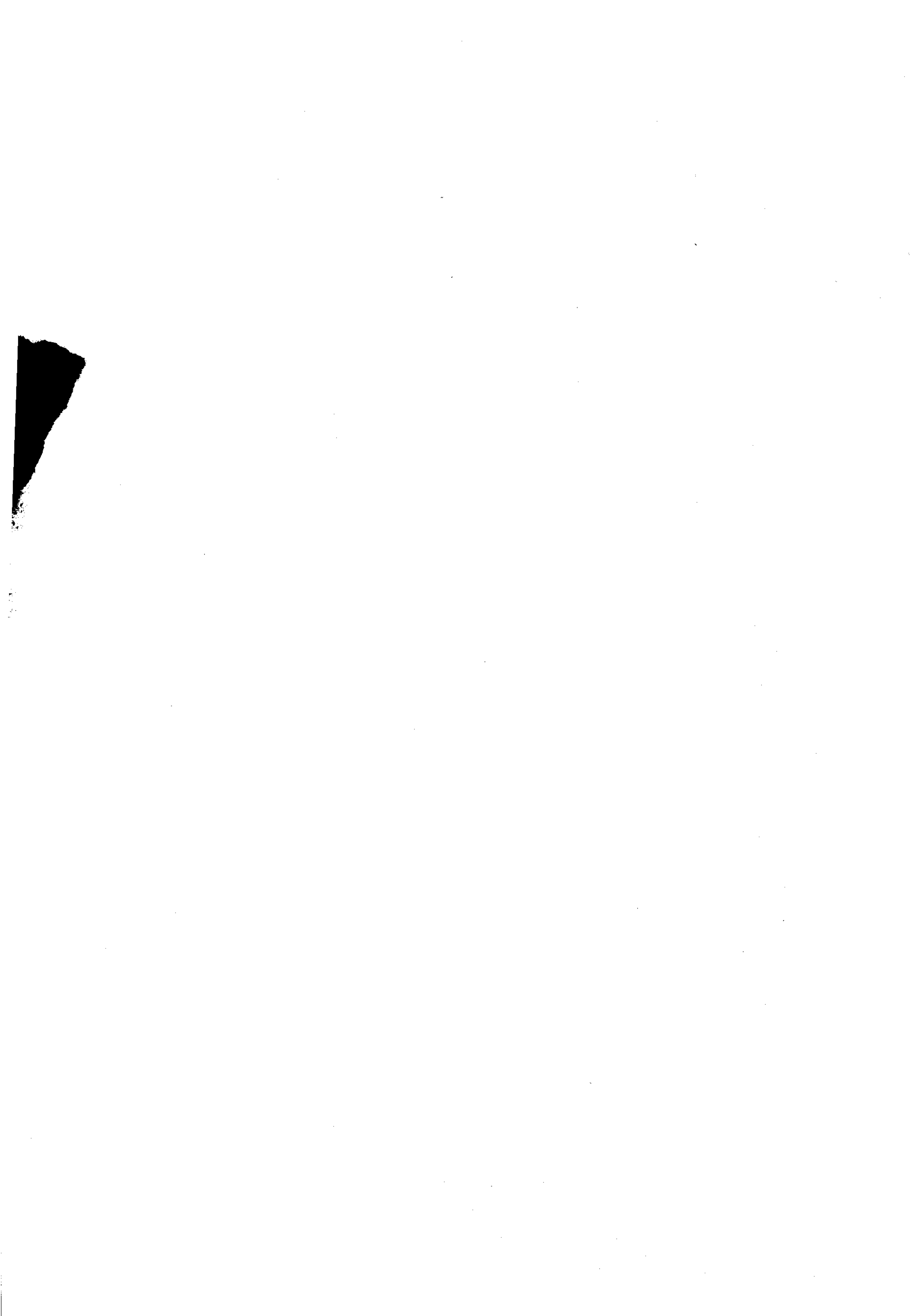
مصطفى أمين

من فكرة لفكرة

الجزء الأول

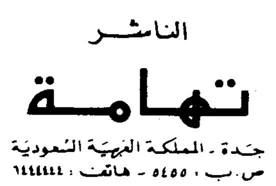


الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية



بسم الله الرحمن الرحيم




الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب: ٥٤٥٥ - هاتف: ٦٤٤٤٤٤٤

من فكرة لفكرة



مقدمة الناشر

الأستاذ مصطفى أمين رجل شامخ في صحافة الأمة العربية، و يعتبر في حقيقة الأمر علامة في تطور الصحافة وأحد أركانها في عصرنا الحديث.

وحينما فكرت تهامة للنشر والمكتبات في إصدار كتاب «من فكرة لفكرة».. كانت تضع أمامها هذا الرصيد الهائل من الجهاد الفكري والصحفي الذي يرى فيه كاتبنا العملاق: «نبضات عقله وخفقات قلبه».. كما وجدت تهامة أن مسؤولياتها أمام أجيال هذا العصر تقتضي أن يكون من بين إصداراتها كتاب لأحد علمَي الصحافة العربية علي ومصطفى أمين.

وهذه «الفِكَرْ» التي كتبها الأستاذ مصطفى أمين عام ١٩٧٦.. وعلى الرغم من مرور أكثر من ست سنوات على كتابتها، فإنها تتجدد مع مرور الأيام لتلامس أوتاراً مشدودة لدى الكثير من أفراد أمتنا العربية.

ومع صدور هذا الكتاب.. تكون تهامة قد خطت خطوة «ذات دلالة معينة» في مجال التوسع نشراً، لتحقق بها آمالاً نحو توحيد وتلاقي الفكر العربي عبر تلك المساحات الشاسعة من الشرق إلى الغرب.

ولا نقول إن هذه الخطوة جديدة في حد ذاتها.. لأن تهامة قد بادرت من قبل بارتياد النشر في ميدان الفكر العربي.. ولكن ذلك لم يكن بنفس هذا الثقل الذي يتمثل في بدء نشر أعمال أعلام الفكر والصحافة والأدب واللغة من أمثال: الدكتور شوقي ضيف، والدكتور حسين مؤنس، والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، والأستاذ رجاء النقاش، والأستاذ أحمد عبدالمعطي حجازي.. وغيرهم من أدباء أمتنا العربية.

إن تهامة للنشر والمكتبات في موقف تعتز به وهي تدفع بهذا الكتاب وتضعه بين يدي القارىء.. وتَعِد بأن «فِكَرْ» عام ١٩٧٧ للأستاذ مصطفى أمين ستظهر قريبا باذن الله في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

تهامة للنشر والمكتبات



من فكرة لفكرة

في ١٥ يونيو ١٩٥٢ أصدرنا العدد الأول من جريدتنا اليومية «الأخبار»، وكنا استحدثنا في جريدتنا الجديدة أن لا يكون رئيس التحرير واحدا، بل أن يكون للجريدة سبعة رؤساء تحرير نضع أسماءهم في صدر الجريدة وهم: أحمد الصاوي محمد، جلال الدين الحمامصي، على أمين، كامل الشناوي، محمد التابعي، محمد زكي عبدالقادر ومصطفى أمين. واتفقنا قبل صدور الجريدة أن يكتب كل واحد منا مقالا في الجريدة، ووزعنا الأيام بيننا وكان نصيب علي أمين أن يكتب في العدد الأول الذي يصدر يوم الأحد، وأكتب أنا في عدد «أخبار اليوم الأسبوعي» الذي يصدر يوم السبت.

وقبل صدور العدد الأول كتب علي أمين مقاله، وفكر في عنوان للمقال فلم يجد عنوانا مناسبا، واقترب موعد الطبع، ونزل علي أمين إلى المطبعة يبحث عن عنوان في الاكلشيهات القديمة، فلا وقت للخطاط ليكتب عنوانا جديدا، ولا وقت لورشة الحفر أن تحفر الاكلشيه الجديد. ووجد علي أمين بين الاكلشيهات القديمة اكلشيها «على فكرة» وهو عنوان باب اخباري كنا ننشره في مجلة «آخر لحظة» وقص علي أمين «على» وأصبح العنوان «فكرة» واختارها علي عنوانا للباب الذي يكتب تحته يوميا رؤساء التحرير.

واختار علي أمين أن يضع مقال «فكرة» في الصفحة الأخيرة من الأخبار وظهر العدد الجديد من الأخبار، ورفض رؤساء التحرير أن يكتبوا «فكرة» في الصفحة الأخيرة التي لا تليق بمقامهم. فقد كانت الصفحة الأخيرة في الصحف العربية صفحة مهملة تنشر فيها «البواقي» أوالمقالات أو الصور غير الهامة.

وهكذا اضطر علي أمين أن يكتب فكرة كل يوم وأمره لله.

واستمرت «فكرة» تظهر في الأخبار من سنة ١٩٥٢ إلى ١٩٦١ وكانت هذه الكلمة الصغيرة تحدث كثيراً من المشاكل والأزمات فقد تولت مختلف الأجهزة

تحليل وتفسير كل كلمة وترجمة كل جملة، وتحمل المقال الواحد أضعاف ما يحتمل من غمز ولمز ونقد وهجوم حتى أنني اقترحت على أخي علي أمين في يوم من الأ يام أن يغير عنوان فكرة ويجعله «أزمة» لكثرة ما كنا نتلقى من تحذيرات وانذارات وتهديدات.

وفي سنة ١٩٦٢ أعطينا اجازة اجبارية من «أخبار اليوم» وحددت اقامتنا في بيوتنا لمدة ستة شهور تولت لجنة من المخابرات العامة والرقابة الادارية والنيابة الادارية التحقيق معنا في ١٥٦ تهمة وجهت لنا. واستمر التحقيق خمسة شهور وقررت لجنة التحقيق براءتنا من التهم المائة والست والخمسين، وأصدر الرئيس جمال عبدالناصر قرارا بتعييننا عضوين في مجلس ادارة دار الهلال ورئاسة لتحرير مجلة المصور. وعادت «فكرة» بعد انقطاع ستة شهور وأصبحت تظهر في مجلة «المصور» وفي مجلة «حواء» وفي مجلة «الكواكب» وفي مجلة «الهلال» وفي مجلة «سمير» ومجلة «ميكي» الخاصة بالأطفال.

وأصدر الرئيس جمال عبدالناصر قرارا بعزل فكري أباظة من منصب رئيس مجلس إدارة دار الهلال وعينني رئيسا لمجلس الادارة بدلا منه.

وبعد فترة قليلة أصدر الرئيس جمال عبدالناصر قرارا بتعييني رئيسا لمجلس إدارة أخبار اليوم، وتعيين علي أمين رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال.

وعادت «فكرة» إلى الأخبار وأخبار اليوم وأصر علي أمين أن يكتبها في المصور وحواء والكواكب والهلال وسمير وميكي في وقت واحد، وكان يكتب فكرتين في كل يوم.

ثم نقل علي أمين إلى دار أخبار اليوم. ثم نقل إلى جريدة الأهرام فانتقلت معه «فكرة» إلى الأهرام.

وفي يوليو سنة ١٩٦٥ قبض علي، فتوقفت جريدة «الأهرام» عن نشر «فكرة».

وكنت أكتب إلى أخي من السجن أن لا يتوقف عن كتابة فكرة وإذا كانت فكرة ممنوع نشرها في مصر فلينشرها في أي جريدة عربية.

وكتب علي أمين مجموعة «أفكار» وأرسلها إلى الصديق سعيد فريحة لتنشر في الأنوار في بيروت.

ولكن القاهرة هددت بمصادرة أي عدد من الأنوار أو الصياد أو الشبكة تظهر فيه «فكرة» أو إمضاء علي أمين. فقد كان من رأي بعض ولاة الأمور أن ندفن ونحن أحياء.

وحاولت أن أخترق الحصار فكنت أكتب القصص المسلسلة وأنشرها في مجلة الشبكة بامضاء الكاتب المصري «×» ولم تتصور الأجهزة البوليسية أن الكاتب الذي يكتب كل أسبوع بامضاء مستر اكس هو المسجون في زنزانة في سجن ليمان طرة والمحرم عليه استعمال القلم والورقة والذي كانت تفتش زنزانته مرتين في كل يوم.

وكنت أكتب من سجني إلى علي أمين في لندن أُلح عليه أن يكتب فكرة في أي جريدة عربية حتى ولو كانت توزع عشرين نسخة فقط لا غير.

وحاول سعيد فريحة من جديد.

ولكن القاهرة اشترطت أن لا يظهر عنوان «فكرة» الاثيم. وعرض علي أمين أن يغير كلمة فكرة بكلمة «كلمة» ووافقت القاهرة على هذا التغيير بشرط أن لا يوقع بامضاء علي أمين. فأخفى علي اسمه وأصبح يوقع بامضاء السندباد.

ثم بدأت الحريات تعود إلى مصر وعادت فكرة وعاد اسم علي أمين. ثم عين علي أمين في فبراير سنة ١٩٧٤ رئيسا لتحرير جريدة الأهرام فعادت «فكرة» إلى الأهرام، ثم عين رئيسا لمجلس ادارة أخبار اليوم، فعادت فكرة إلى الأخبار وأخبار اليوم من جديد.

ومات علي أمين يوم ٣٠ ابريل سنة ١٩٧٦ وتوقفت فكرة يوما واحدا. ظهر العمود بياضا بغير كلمات ما عدا عنوان فكرة وامضاء علي أمين. وفي اليوم التالي بدأت أكتب فكرة.

واستمررت أكتبها كل يوم إلى أن أصدر الرئيس أنور السادات قرارا بوقفي عن الكتابة واختفت فكرة عن قراء مصر أربعين يوما، ولكنها كانت تظهر كل يوم في جريدة الشرق الأوسط التي تطبع في لندن وجدة والرياض وتوزع في مصر أيضا.

وبعد أربعين يوما سمح لي الرئيس أنور السادات بالعودة إلى كتابة فكرة في الأخبار.

ثم صدر قرار جمهوري بمنعي من كتابة الموقف السياسي في أخبار اليوم عقابا على ما نشرته في «فكرة» عن مصرع الديكتاتور ساموزا في جمهورية نيكاراجوا في أمريكا الجنوبية.

ثم صدر قرار جمهورية بأنني اما أن أكتب في «الأخبار» أو أكتب في جريدة الشرق الأوسط. وامتنعت عن الكتابة في الشرق الأوسط، وحرمت من قرائي في البلاد العربية لأن الصحف المصرية كانت ممنوعة من دخولها.

ثم أصبحت «فكرة» تنشر في جريدة الأنباء الكويتية في نفس اليوم الذي تنشر فيه في القاهرة.

ثم بدأت الحريات تعود إلى مصر وبدأت أنشر فكرة في جريدة الشرق الأوسط من جديد.

وهذه هي أفكاري في عام ١٩٧٦.

... إنني أكتب كما أتنفس. إذا توقفت عن الكتابة فمعنى ذلك أن أحدا كتم أنفاسي، وأفكاري هي نبضات عقلي وخفقات قلبي ودموعي وابتساماتي وذكرياتي وأحلامي.

وكل أمنيتي أن أموت والقلم في يدي.

مصطفى أمين

آخر فكرة كتبها علي أمين في ١٩٧٦/٤/٣م

الحياة حلوة، بشرط أن نعرف كيف نحياها! إنها أشبه بكوب من الشاي، بقدر ما نضع فيه من قطع السكر تزداد حلاوته، وإذا وضعنا فيه ملحا أو علقما تضاعفت مرارته!

فاذا فكرت في نفسك فلن يفكر فيك أحد. وإذا أحببت الناس جميعا أحبك كل الناس، وإذا أحسست بهم أحسوا بك، وهكذا ستشعر دائما أنك لست وحدك. الدنيا كلها معك لأنك معها. أما إذا عشت لنفسك، فستجد نفسك في عزلة قاتلة، ووحدة مريرة!

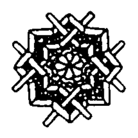
الدنيا أشبه بالأطفال. ألا تلاحظ أن الأطفال يتجهون دائما إلى الذي يحبهم، و ينفرون من الذين لا يحبونهم. لا أحد يقول للطفل إنه يحبه أو يكرهه. إنما هي غريزة أن المخلوقات تتجه للذين يحبونها.. ولهذا فان الدنيا تتجه للذين يحبونها وتنفر من الذين يكرهونها!

والدنيا أيضا أشبه بالمرآة، إذا ابتسمت لها ابتسمت لك، وإذا عبست فيها رأيت فيها وجها عابسا فلا تتصور أن من الممكن أن تعبس في المرآة فتجد فيها وجها مبتسما. بقدر ما تعطي تأخذ. وإذا أعطيت كثيرا، فسوف تأخذ كثيرا..

ولقد أحببت الدنيا في الناس. أمضيت عمري أحاول أن أحول الدموع إلى بسمات، والأنين إلى ضحكات. وقد نجحت قليلا، وفشلت كثيرا، ومع ذلك فقد كنت أشعر بسعادة غامرة عندما أمسك منديلا لأجفف دمعة، أو أمسك قطنة لأضمد جرحا، أو أحاول بكلمة حب أن أسكن ألما! وعندما كان يمر يوم بغير أن أفعل ذلك تبدو الدنيا حزينة مظلمة كئيبة. أشعر أنها تمد أصابعها لي وتتهمني بأنني أمضيت اليوم دون أن أؤدي واجبي، انه ليس واجبا نحو الناس، بل هو واجب نحو نفسي.. أنا أشعر بسعادة غريبة وأنا أرى حلاوة الدنيا في ابتسامة الناس!

الذي يحبني لا يبكي!.. كل ابتسامة فوق شفاه هي قبلة على جبيني!

علي امين





مات علي أمين !

كان المفروض أن أموت بعد علي أمين بخمس دقائق، فقد ولدت بعده بخمس دقائق ! ولكن الله شاء أن أعيش لأ رى أمة تودع كاتبا ! كاتبا بلا سلطان و بلا منصب و بلا نفوذ. لا يستطيع أن يضر أو ينفع. ولكن مصر الوفية دائما . الكريمة دائما تحب كل من يحبها ، وتكرم من يكرمها، وترفع من شارك بجهد متواضع في رفع لوائها !

رأيت أمة تحيط بنعش علي أمين.. تحنو عليه. تعانقه. تناديه. تبكيه.. دمعة أمة على واحد من أبنائها تساوي كل ما في الدنيا من مجد وجاه وسلطان ! أحسست أن هذه الدمعة مسحت كل جروحه وجروحنا. خففت اللوعة والألم والمصاب.. أنستني أن أخي قد مات ! لن يموت من يعيش في قلب شعب !

مشيت وراء نعشه، ورأيت الشعب يحيط به، أنساني هذا الشعب أنها جنازة توأمي. أحسست أن هذا هو فرحه الكبير. حفلة زفافه. قمة قصة حبه. هذه الدموع هي زغاريد له. هذه الصرخات هي موسيقى تعزف له. هذه الشهقات الملتاعة هي الطبول توقع نشيد الفرح الكبير. كانوا يهتفون «لا إله إلا الله» وكأنهم يرددون كلمة «يارب» التي كانت نداءه الدائم !

ما أحلى هذا الحب الذي جمع بين علي و بلاده. وهو عشق مبرح. فيه فراق ولقاء. وجفاء وسهاد. فيه لوعة الهرب ومرارته وجحيمه، وفيه جنة العودة إلى الوطن ومتعتها وجمالها. وكما يحدث للمحبين كانت تحدد مواعيد لقاء العاشقين، ثم تؤجل، ثم تلغى، ثم تحدد من جديد. تسع سنوات و«العذول» يمنع هذا اللقاء المرتقب. حتى أشرقت الشمس بعد الليل الطويل ! وكان علي أمين يكتب لي كل أسبوع من لندن و بيروت ومختلف عواصم العالم يؤكد لي أنه سيعود إلى حبيبته مصر، وانني سأخرج من السجن، وأن الحرية ستعود للشعب، وانه مؤمن بأن كل هذا سيحدث ! وكنت أسخر من تفاؤله وأقول له انني أريد أخبارا، ولكنك ترسل لي صلوات وابتهالات ! وكان يقول ان صلاته هي أخبار. وان الله هو مصدره. وان إيمانه بالله يجعله واثقا من أنه سوف يهزم كل الأقوياء، و يفك كل القيود ويحطم كل السلاسل، وسيفتح أبواب السجون والمعتقلات.

وكان يقول : «تأكد أنني لن أموت إلا في مصر» !

وعندما سمعت الجماهير أمس وهي تهتف للرجل الذي تحبه.. عجبت للمقادير. إن علي فتح عينيه في طفولته في بيت الأمة على الشعب وهو يهتف للذين خدموه، كان يحارب معاركهم. كان يستشهد وهو يهتف بحياتهم. كان يقاوم رصاص الانجليز وهو يعلن اصراره على الثبات دفاعا عن الحرية.

وقد أغمض علي أمين عينيه على نفس الشعب، يحيي كل من يخدمه، و يكرم كل من يقف بجانبه ويحب من يحبه.

يعطي الكثير الكثير لمن أعطاه القليل.. كل حياته !

شعب مصر لم يتغير.. ولن يتغير!

―― *** ――

رأيت الله كثيراً !

سألني الشاب الصغير: هل رأيت الله ؟

قلت له : إنني رأيت الله كثيرا !

قال : كيف أراه ؟

قلت : افتح عينيك تراه ! اغلق عينيك تراه ! لست وحدي الذي رأى الله .. الله مع كل واحد منا . أمامنا وخلفنا . عن يميننا وعن يسارنا . فوقنا وفي أعماقنا . والذين لا يرون الله هم الذين أصيبوا بعمى القلب ، ففقدوا البصر والبصيرة ! إنك لا تكاد تقول «يارب» حتى تجده إلى جوارك .. أحيانا كثيرة تجده قبل أن تناديه .. وفي بعض الأحيان توهمك المصيبة أنه تخلى عنك . وأنت مخطيء .. الله لا يتخلى عن عبيده . ولكن سيارة النجدة التي يرسلها الله لنا تمر قبل أن تصل إلينا على من يستحقون الرحمة أكثر منا .. فهناك أوليات في السماء .. أكثرنا ألما هو أقربنا عند الله .. أكثرنا إيمانا هو أقربنا إلى رحمة الله .. الله لا ينسانا أبدا .. نحن الذين ننساه . نتخلى عنه . نهجره . نعصيه .. ومع ذلك فهو يصبر علينا . لا يبطش بنا على الفور . لا يلقي بنا في النار بعد لحظات من ارتكاب المعصية .. إنه يغفر و يصفح . يحاسب . يقبل التوبة . يعطي الفرصة بعد الفرصة . ليس عنده محاكم استبدادية تحكم ثم تحاكم . أو تشنق ثم تسأل المتهم . قضاء الله لا يعرف الظلم . لا يأخذ الناس بالتقارير الكاذبة ولا بالوشايات ولا بالدسائس . إنه يواجهك بالذنب .. و بعد أن يثبت عليك السيئات قد يقبل توبتك . قد يرحمك من غضبه . قد يعفيك من عقابه .

ولقد أحببت الله لأنني أحب عدله . وعبدت الله لأنني وجدته أقوى من كل سلطان ، وأرحم من أي إنسان . رأيته في زنزانتي المظلمة فأنار روحي . وجدته خلفي في أيام عذابي ومحنتي فشد من أزري .

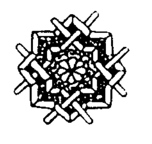
وكثيرون يسألونني كيف تحملت كل ما تحملت ! وأكذب عليهم حين أقول إنها قوة احتمال . بل أقول إنها قوة إيمان ! أكذب عليهم إذا قلت إنها قدرة على الصمود أمام الأهوال . بل انها قدرتي على رؤية الله في محنتي ، فرأيت رحمته في عذابي ، ونسيت عذابي في إيماني ، و وجدت إيماني في شعوري الدائم بأن الله معي !

وكثيرا ما كنت أسأل نفسي ماذا يفعل المسجون الملحد عندما يجد نفسه في زنزانته وحده مع الظلام !

ماذا يفعل المنكوب الذي لا يعرف الله عندما يواجه مصيبته وكارثته بغير هذا الايمان ؟

يارب ! اعطنا دائما القدرة على أن نراك !

الايمان هو العيون التي نرى بها الله !



حب الناس!

كانت أمي تدعو لنا وتقول: «الله يعطيكما حب الناس»!

لم تكن تطلب من الله أن يعطينا المال، ولا السلطان، ولا الصحة! وانما كانت تعتبر حب الناس هو أكبر نعمة يجود بها الله على عباده.

ولقد فهمت معنى هذا الدعاء في كل محنة عشتها..

عندما كانت تنهال على قنابل البطش، كنت أجد مخابيء لي في قلوب الناس. لم أكن أدق على باب قلب أحد. وانما كنت أجد قلوب الناس تحتضنني وتحميني وتقيني من غارات الأيام..

وعندما كنت أواجه أمطار الحياة، كنت أجد دائما مظلات فوق رأسي.

وعندما كنت أواجه العواصف والأعاصير كنت أجد آناساً طيبين، يعرضون حياتهم ومستقبلهم ورزقهم ليكون الواحد منهم مانعة صواعق!

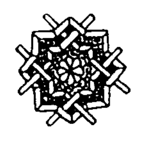
لا أستطيع أبدا أن أدعي أنني واجهت وحدى الخطوب التي مرت بحياتي. كنت ضعيفا بشخصي، وقويا بالناس. كنت بمفردي كالهباء، وبالناس والايمان كالجبل. كنت أجد أصغر الناس هم أكبرهم في التضحية، وأفقر الناس هم أغناهم بالمروءة والصمود. وكان هذا يجعلني أحس أنني مدين لأشخاص كثيرين، ولا أعرف كيف أسدد هذه الديون التي تثقل كاهلي. ولقد وصلت إلى أن خير ما أفعله أن أعيد جدولة هذه الديون! أن أدفع بالتقسيط ما أخذته دفعة واحدة. أن أحاول أن أسعد من في قدرتي إسعادهم — وقدرتي محدودة! أن أحاول أن أمد يدي لكل من وقع على الأرض، ويدي قصيرة! أن أحاول أن أمسح دموع المظلومين بمنديلي، وما أكثر عدد المظلومين، وما أقل مناديلي!

في يد كل واحد منا أن يحب الناس! هذا الحب أشبه برصيد تجمعه وتضعه في البنك، وتسحب منه في الأزمات. وهذا الرصيد يتضاعف ويكبر بقدر ما تعطي من قلبك، وبقدر ما تمنح من مشاعرك وحبك للآخرين!

إن هذا شعب أصيل قادر على العطاء، قادر على الحب.. قادر على البذل والتضحية.

كل واحد منا فقير بشخصه وغني بالناس، ضعيف بمفرده وقوي بالناس. ولا تتصور أنك في حاجة إلى الأقوياء ليحموك من غائلة الزمن.. إن كثيرين من الأقوياء لا يثبتون في المحن، ولا يقاومون النار، ولا يقفون إلا بجوار الأقوياء!

اعط قلبك للناس كلهم.. يعطك الناس قلوبهم كلها!



عرفت أغنى رجل في العالم !

أي إنسان في الدنيا أسعد من أغنى رجل في الدنيا .. مات في الأسبوع الماضي !

في منتصف الثلاثينات كنت طالبا أدرس في الولايات المتحدة. وفي إحدى الحفلات الساهرة التقيت بالبليونير هوارد هيوز. والبليونير هو الذي يملك ألف مليون دولار! وكان يومها أحد نجوم المجتمع الذين تتحدث عنهم الصحف ، وكان بطلا في عيون الشبان ، فقد سجل أرقاما قياسية مذهلة في سرعة الطائرات ، وكان أكثر ما يبهر الشبان يومئذ أنه كان حبيب معبودة الجماهير جين هارلو، صاحبة الشعر البلاتيني، وأجمل كواكب السينما في تلك الأيام!

وأذكر أنني يوما حاولت أن أقترب منه كصحفي صغير لأحصل على حديث أبعث به لجريدة « المصري » أو « آخر ساعة » وقد كنت أراسلهما من واشنطون . ولكن البليونير تجاهلني .. وتجاهل كل الموجودين في الحفلة من نساء ورجال ووزراء وسفراء ، وأمضى الليلة كلها يتحدث مع صاحبته جين هارلو دون أن يوجه كلمة واحدة لأحد غيرها!

واشتهر أيامها بغرابة أطواره ، فقد عقد صفقة مالية ضخمة ، وأصر على أن يوقعها في « تواليت » فندق « الولدورف استوريا » في نيو يورك ! وكان عجيبا أن يجتمع أكبر رجال الأعمال في أمريكا في دورة مياه!

وحدث أن قرر مجلس الشيوخ الأمريكي بالاجماع أن يمنحه رئيس الجمهورية وسام البطولة ، وأرسل رئيس الجمهورية ليستدعيه ليتسلم الوسام فلم يرد عليه ، وبقي الوسام سنوات في مكتب رئيس الجمهورية إلى أن وجده الرئيس ترومان بطريق المصادفة فأرسله إلى هيوز بالبريد!

وفي العشرين سنة الأخيرة تضاعف شذوذه ، فكان يقوم بأعماله كلها بالتليفون من أمكنة مجهولة ، بغير أن يراه أحد من مديري شركاته ، وكان يعتمد على خمسة رجال فقط يتبادلون خدمته يشترط فيهم ألا يشربوا الخمر، وألا يدخنوا!

وكان لا يخرج من بيته المجهول في النهار، بل يخرج دائما في سيارة مغلقة في الليل ، وكان لا يسافر في الصباح أبدا ، بل يصر على ألا يطير إلا في الظلام .

وهكذا كان أغنى رجل في العالم هو أشقى رجل في العالم. يشك في كل إنسان. حتى زوجته اعتقد أنها سوف تسمه ، لترث بلايينه فطلقها .. ولم يستمتع بكل هذه البلايين !

إنه لم ير الشمس أبدا طوال عشرين سنة !

وما أتعس الذين يعيشون في الظلام .

***

الأمين ليس عبيطاً !

كلف التاجر الكبير النقاش الصغير المغمور أن يقوم بطلاء شقته بالقاهرة في مقابل أجر زهيد . وسلمه المفتاح وسافر إلى الأسكندرية .

و بدأ النقاش العمل بتكسير البياض . وهو يردد جملة « الله يرزقنا » ! ولم يكن في جيبه سوى سبعة قروش صاغ . وكان وهو يعمل يقوم بعملية اقتصادية خطيرة ، وهي كيف يستطيع أن يجعل هذا المبلغ كافيا لغدائه وعشائه معا !

وفجأة أمطرت السماء ورق بنكنوت جديدا من ذات العشرة جنيهات . مائة ورقة .. ألف ورقة .. ألفا ورقة ! وذهل النقاش الفقير وظن أنه يحلم . الجائع يحلم بسوق العيش . ولكنه يحلم بعشرات الألوف . وأمسك الورق بيده فوجده ورق بنكنوت حقيقيا ! وتلفت حوله في دهشة . واكتشف أنه فتح نافذة الغرفة ودخل تيار هواء فتح مظروفا كبيرا موضوعا فوق رف زجاجي كبير . وتناثر منه ورق البنكنوت كالمطر !

كان النقاش الفقير عيد أحمد محمد قناوي يستطيع أن يضع مبلغ الخمسين ألف جنيه التي وجدها في جردل ، ويخرج به من الشقة دون أن يراه أحد . ولكنه أسرع إلى التليفون واتصل بالشرطة واستنجد بها .

وأسرعت الشرطة تجمع الأوراق من فئة عشرة الجنيهات التي تطايرت على السلالم والجدران والطلاء .

وتسلمت مصلحة الضرائب المبلغ ، لأنه ظهر أن التاجر مدين للضرائب بـ ٤١ ألف جنيه .

وقد قدمت أمانة القاهرة بالاتحاد الاشتراكي شهادة لعيد قناوي بأنه « العامل المثالي » . ونشرت الصحف قصة العامل النزيه ، وأشادت به الاذاعة ، وطبل له التليفزيون ، ومنحته المحافظة شقة في المساكن الشعبية .

ثم لم يلبث أن نسى الناس العامل المثالي ! وتعطل لأن أحدا ليس في حاجة إلى النزاهة والاستقامة ! المطلوب هو الفهلوة والشطارة .

وانكسرت أجرة الشقة على العامل المثالي . وأرسلت له المحافظة مندوبا ليطرده بأولاده إلى عرض الطريق .

و بدأ الناس يسخرون من نزاهته ، و يقولون له : **ماذا أخذت يا عبيط من القناعة والنزاهة والذمة ؟! لو كنت لصا لوجدت عملا ! لما طردك أحد من بيتك ! هذه هي نهاية الاستقامة !**

وتوقع عيد أن يزفه الأطفال في الحارة صائحين « العبيط أهوه .. العبيط أهوه » .. ذلك لأن بعض الناس يعتبرون النزاهة عبطا والاستقامة تغفيلا والقناعة جنونا !

وأنا لا أقبل أن يطرد العامل المثالي وأولاده إلى الشارع . وسوف أثبت له أن الناس بخير ، وأنهم لم ينسوا قصة نزاهته . وأنه غير صحيح أن كل شيء ينسى بعد حين في هذا البلد ، ان « أخبار اليوم » ستجمع من قرائها كل الايجار « المكسور » وستدفعه للمحافظة ، ليعلم هذا العامل الفقير أن شهادة « العامل المثالي » ليست حبرا على ورق كما كتب لي .. اننا سوف نثبت أن النزاهة أو الأمانة تدر مالا ، وليست خسارة ولا تغفيلا ولا عبطا ..

إن مئات الألوف من القراء لن يتركوا العامل الشريف عيد أحمد محمد قناوي يطرد هو وأولاده من بيتهم !

——— * * * ———

الدنيا بخير!

الدنيا بخير. الناس بخير. مازالت المروءة تقيم في بلدنا. لم تهاجر مع الذين هاجروا! لعلها اختفت فترة من الرعب. ولكنها عادت إلى الناس مع الحرية والديمقراطية وسيادة القانون!

ما كدت أنشر في «فكرة» قصة الشرف والأمانة للنقاش الصغير المغمور الفقير عيد أحمد محمد قناوي حتى انهالت علي الاتصالات والتليفونات. كل مصر تريد أن تسدد له الايجار المكسور، لتمنع طرده هو وزوجته و بناته الثلاث من الشقة!

كل مصر تريد أن تقول إن العامل الفقير الذي لم يكن في جيبه سوى سبعة قروش ووجد أمامه خمسين ألف جنيه وعف عنها وسلمها كلها للشرطة، فلا يمكن أن ينساه أبناء وطنه.

لا يمكن أن يقولوا عنه إنه عبيط وساذج ومغفل لأنه لم يأخذ المبلغ لنفسه و يتحول من جائع إلى صاحب عمارة!

لا أحد يقول عنه «العبيط أهو» لأنه اختار الأمانة مع الجوع. ولم يختر النهب مع التخمة. كل واحد يقول اننا يجب أن نقف جميعا بجوار هذا الرجل لنجعل منه مثلا بدلا من أن يكون أمثولة! لكي لا يندم في يوم من الأيام أنه كان شريفا!

اتصل بي شخصية كبيرة وقال لي إنه سوف يسدد دين العامل كله بشرط واحد، أن لا يعرف أحد اسم هذا المحسن المجهول! المبلغ المطلوب ١٤٠ جنيها.

المهندس حسين عثمان رئيس مجلس ادارة شركة المقاولين العرب حدثني في التليفون وقال إنه قرر أن يعينه نقاشا في الشركة و يسدد له كل الايجار المكسور!

رجل الأعمال البورسعيدي جمال أبوعميرة أرسل لي شيكا بمبلغ خمسة وعشرين جنيها.

التلميذ أحمد عبداللطيف الذي يبلغ من العمر ١١ سنة قال إنه اقتصد خمسة جنيهات تبرع بها كلها تحية للعامل الأمين!

والسيدة حنيفة علوبة تبرعت بخمسة وعشرين جنيها، وعشرون جنيها من فاعل خير، وعشرة جنيهات من «قارئة فكرة».

لقد أحسست كأن مصر تريد أن تقول لهذا العامل الامين إن كل بنت من بناته الثلاث هي ابنة لكل واحد منا. وان الرجل الشريف في هذه البلاد لن يضام، ولن يجوع ولن يسخر منه الناس!

إن العامل عيد في ذهول لما حدث له! قابلني على باب «أخبار اليوم» بعد ظهر الثلاثاء! وناولني ورقة وأنا أهم بركوب سيارتي، ومضى دون أن يحدثني، وقرأت قصته الدامية، وقبل أن تمضي ٢٤ ساعة كانت مصر كلها تمد يدها إليه! لم يعرف أنني نشرت القصة إلا بعد ظهر أمس عندما ذهب إليه «حازم منصور المحرر بالأخبار» في بيته ليسأله عن تفاصيل القصة!

لم يكن قد قرأ «الأخبار» لأنه لم يقرأ ولم يكتب! كانت الدموع تملأ عينيه! الذي كان يغيظه أن الناس تضحك منه وتسخر به لأنه سلم المبلغ للشرطة! أغرب ما في قصته أنه اتهم ظلما بالسرقة وحكم عليه غيابيا بالسجن ستة أشهر! ولما نشرت الصحف قصة نزاهته في أغسطس سنة ١٩٦٦ قبضت عليه الشرطة ونفذ عليه الحكم بالسجن ستة أشهر جزاء نزاهته!

ربنا يستر هذه المرة!

الروح الرياضية

لا يمكن أن يسكت المجتمع على الجريمة التي حدثت في مباراة الزمالك والمحلة يوم الجمعة.

لا يكفي أن يحاكم الشاب الذي ألقى حجرا على عمر عبدالله لاعب المحلة، وأصابه بجرح عميق في رأسه عقابا له على أنه أصاب هدفا في فريق الزمالك!

هذا الحجر أصاب رياضة كرة القدم في مصر، بل أصاب كل واحد من هواة هذه الرياضة.

إن الذين يحولون مباريات الكرة إلى حرب أهلية إنما يهدمون فكرة الرياضة وروح الرياضة!

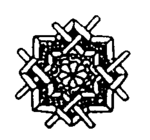
فالرياضة هي تنافس لا حرب. هي لعب لا اعتداء، هي تسامح وتعاون وصداقة ومحبة.

أساس الرياضة أن يتصافح الغالب والمغلوب في نهاية المباراة، لا أن يتبادلا اللكمات والضربات والشتائم والسباب!

هذا الشاب الذي أجرم في حق الرياضة وحق كرة القدم يجب أن يحرم مدى حياته من دخول أي ملعب من الملاعب. يجب أن تعلق صورته أمام كل ناد كما تعلق صورة المجرمين والنشالين، يجب أن يتبرأ كل هواة الرياضة من هذه المحاولات المجرمة التي تلوث روح الرياضة والفكرة منها!

لقد تصورنا في وقت من الأوقات أن منع قيام الأحزاب في مصر، هو الذي أدى إلى قيام الحزبيات العنيفة بين الاندية الرياضية، وقد كنا نتمنى لو أن روح الرياضة دخلت في السياسة، بدلا من أن يدخل عداء السياسة في أندية الرياضة!

إن الجريمة ليست جريمة فرد واحد، بل كل أندية مصر شريكة فيها، لانها تشجع هذا النوع من الحماس الجنوني، والتعصب الأعمى، ولو تكررت هذه الحوادث فلن يتردد الشعب في أن يطالب بتنحية جميع المشرفين على اتحاد الكرة واستبدال آخرين بهم لا يعرفون التعصب، ولا يشجعون ضرب الطوب ولا يسكتون على تحويل الملاعب إلى ميادين عدوان وقتال!



مسيلمة الكذاب رقم ٢!

أقسم مسيلمة الكذاب بالله العظيم أن صاحبي الطيب القلب هو صديقه وصاحب الفضل عليه!

وكان صاحبي الطيب القلب يشفق على مسيلمة الكذاب، وكان يريد أن يشفيه من داء الكذب، وكانت وجهة نظره أن مسيلمة يكذب لأنه صغير، فاذا كبرناه امتنع عن الكذب، وهو يكذب لأنه ضئيل فاذا رفعنا من شأنه لم يعد في حاجة إلى الكذب. وأنه جائع فاذا أطعمناه غسلنا قلبه من الكذب والحقد والغدر، فهذه الصفات نتيجة الحرمان ونتيجة الاهمال ونتيجة شعور المريض بأنه موضع احتقار الناس!

واحتضنه صاحبي، وعلمه، وأطعمه ورفعه، ولكنه استمر على حقده، بل انه كلما أكل أكثر حقد أكثر، وكلما كبر أكثر كبرت أكاذيبه أكثر وأكثر! وكانت متعته أن يغمد خنجره في ظهر كل من يحسن إليه، ولما كان صاحبي الطيب القلب هو أكثر من خدموه ورفعوه فقد كانت عدد السكاكين التي أغمدها في ظهره أضعاف ما أغمده في ظهور باقي الأصدقاء! وكان مسيلمة قزما، وتصور أن قامته لا ترتفع إلا إذا قطع رؤوس العمالقة، وإذا وقف على جثثهم. وكلما أضاف جثة صديق جديدة صعد درجة في سلم النفوذ والسلطان!

وبعد أن انتهى مسيلمة من قطع رقاب أصدقائه التفت إلى صديقه الطيب القلب صاحب الفضل عليه، وتآمر عليه، واشترك في تلفيق التهم ضده وضد أقرب الناس إليه، وتولى بنفسه تلويث سمعته، واتهامه بالباطل، ودار على معارفه يلصق بصاحبه التهم والأكاذيب، وشرد صاحبي طيب القلب، وعمل على فصله من عمله، ووقف يحارب و يناضل كل من يحاول إنصافه، و يهدد كل من يقول كلمة حق فيه!

وتصور مسيلمة أنه أصبح وحده العملاق، وأنه دفن كل العمالقة في التراب.. وتصور أنه أصبح الاله الذي في يده الملك والسلطان.. ثم أشرقت الشمس، فاذا بالقبور تفتح، ويخرج منها المدفونون أحياء، و يصاب مسيلمة بالجنون، يفقد عقله، يفقد أعصابه، يفقد مكانته في القمة!

ثم مات صاحبي الطيب القلب، ورأى مسيلمة أن يكون صادقا للمرة الأولى في حياته، فلم يشيع جنازته، ولم يشترك في مأتمه، ولم يرسل برقية عزاء أو بطاقة عزاء، حتى لا يقال عنه إنه قتل القتيل ومشى في جنازته!

ولم يجد وردة يضعها على قبره.. انتزع من نفسه بعض ما فيها من طين ورماه على قبر صديقه وصاحب الفضل عليه!..



لا تيأس من رحمة الله!

ماذا يفعل الانسان عندما يصاب بكارثة يعجز عن مواجهتها؟ انه يتجه أولا إلى الله. وسوف يهديه الله أن يتجه بمأساته إلى الناس، لعل الله يحرك القلوب الجامدة، ولعل في استطاعة القادرين منهم أن يضيئوا شمعة في ظلام حياته الدامس!

لا تيأس أبدا من رحمة الله! إذا وجدت كل الأبواب مغلقة فليس هذا نهاية العالم، ربما هو بدايته! إذا أجدبت الأرض التي تقف فوقها، فلا تحفر لنفسك قبرا. احفر لنفسك طريقا للحياة من جديد! احفر فقد تجد بئرا ترويك! اصبر فقد تمطر السماء فتنبت الأرض الجدباء من جديد!

هذه قصة الأب محمد ابراهيم فرج..

أصيب أطفاله الثلاثة بالشلل، وأقعدهم عن الحركة!

أصيبت زوجته بصدمة عندما رأت كل أولادها يصابون معا بمرض ضمور العضلات، واحدا بعد الآخر، ويزحفون على بطونهم، ويعجزون عن الوقوف على أقدامهم!

أصيبت الأم بحالة عصبية نتيجة الحزن واليأس والمرارة ومنظر الأطفال الذي يفتت الأكباد!

وتراكمت الديون على الأب العامل بشركة الغازات الصناعية. ومرتبه عشرة جنيها... وعشرة جنيهات لا تكاد تطعم خمسة أفواه، فمن أين يجد ثمن الحقن وثمن العلاج؟!

وكتب العامل محمد «للأخبار» يشرح مأساته، ونشرها المحرر محمد عبدالرازق، وإذا بقاريء سعودي يرسل لي شيكا بمبلغ مائة وخمسين جنيها لهذا العامل المنكوب، ويطلب مني ألا أنشر اسمه، ولا أشير بكلمة إلى هذا التبرع الذي يريد أن يكون سرا بينه وبين الله!

وأنا أجيبه إلى طلبه، وأخفي اسمه، ولكنني لا أستطيع أن أحقق رغبته، لانني لا أعرف عنوان العامل محمد ابراهيم فرج، وأريد أن يقرأ هذا النبأ ويحضر إلى «أخبار اليوم» ليتسلم المبلغ.

إنني أؤمن بالتعاون بين الناس. أؤمن أن بلادنا العربية هي بلاد الحب والتراحم والمودة والمروءة. أحس أننا في كل يوم نقترب إلى بعضنا أكثر. نحس ببعضنا أكثر. الجرح في القاهرة ينزف في الرياض. الألم في الخرطوم يئن في الجزائر. الخفقة في قلب بغداد تسمعها الكويت! كل ما تسمعه وتقرؤه من شتائم هي خلافات مستوردة. ولكن صلة الرحم التي بين الشعوب العربية أقوى من كل الدعايات وكل الخلافات وكل المناقشات!

لا تصدق الذين يقولون لك ان العرب يبتعدون عن بعضهم بعضا!.. قد يبتعد بعضهم عن بعض من فوق.. ولكنهم يلتصقون من تحت.. من الأعماق!

وسوف يجيء يوم قريب يكون صوت القلوب المحبة أعلى كثيرا من صوت الاذاعات!



المرأة المجهولة !

في كل بلاد العالم زوجات طيبات وزوجات سيئات. وليس ظهور امرأة سيئة واحدة في بلد من البلاد دليلا على أن كل نساء هذا البلد من الشياطين!

وأنا أعرف بعض أزواج يشكون من زوجاتهم. ولكني أعرف أن المرأة المصرية هي أحسن زوجة في العالم، وهي أكثر صبرا من أية امرأة في العالم، وهي أكثر صمودا من صخور الجرانيت!

المرأة المصرية قد لا تمتاز على غيرها في الحفلة الساهرة، أو في الكباريه، أو في مأدبة عشاء رسمية، ولكنها تمتاز في المحنة، تظهر أقوى ما فيها من صفات في وقت الأزمات والخطوب. انها تبكي من شكة دبوس، ولكنها تحتمل طلقة مدفع! يغمى عليها إذا رأت فأرا، ولكنها تقف في مكانها إذا رأت أسدا. وتثب على الأسد إذا أراد أن ينقض على طفلها!

وقد رأيت زوجات كثير من أصدقائي في نكباتهن، وأحسست بفخر وزهو، وأنا أرى المرأة المصرية تولد من جديد في وقت الشدة. تتحول المرأة إلى قلعة، تقاوم ببطولة وتضحي بفداء، وتتحول إلى مقاتلة من الطراز الأول.

أعرف أرامل، كانت الواحدة منهن لا تعرف طريق الشارع. ثم يموت زوجها تاركا أربعة أطفال. بلا عائل و بلا مورد. وترفض الأم أن تتزوج وتكرس أجمل سنوات شبابها لتكافح وتعلم أولادها، وتطعمهم، وتتحول ست البيت المنطوية على نفسها إلى بطلة مجاهدة، تقتحم الأبواب المغلقة وتنتزع حقوق أولادها من أفواه الظالمين.

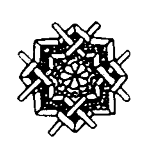
أعرف أرملة كانت لا تعرف إلا طهو الطعام لزوجها وكي ملابس أطفالها، ولما مات الزوج أصبحت تدير العمل الذي كان يتولاه بكفاءة أذهلت الأجانب قبل المصريين.

وأعرف مصريات تركهن أزواجهن وهن غارقات في الديون، وتولت كل واحدة منهن زرع أرضه واستثمارها وتحسينها، حتى حولت الصحراء التي ورثتها إلى حديقة!

وأعرف زوجة أصيب زوجها بشلل لمدة ثلاثين سنة، فبقيت إلى جانبه ولم تتخل عنه لحظة واحدة. ولم تتركه يوما لتذهب لتزور أهلها أو لتشهد فيلما في السينما. فلما مات تحولت هذه الزوجة الوحيدة المنطوية على نفسها إلى امرأة أعمال فقد استطاعت وهي تمرض زوجها المشلول أن تتعلم ثلاث لغات أجنبية وتتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة وتتعلم الاختزال وتتعلم إدارة الكمبيوتر! كل هذا تعلمته وأجادته بغير أن تخرج من بيتها، و بغير أن تهمل زوجها المشلول!

الزوجة المصرية لا تتخلى عن زوجها أبدا، كثيرات منهن لا يقاسمن أزواجهن المجد... ولكن كل زوجة مصرية تقاسم زوجها المحن والآلام والعذاب والتضحيات... ودائما هي تدفع أكثر وتأخذ أقل...

ولا نقول لها شكرا يا سيدة!



الكرباج لاينفعنا!

أنا ضد سياسة استعمال العنف. الكرباج لا يحل المشاكل بل يزيدها تعقيدا. الذين يتصورون أن إعادة الضرب في المدارس سوف تعيد إليها النظام يخطئون. الدنيا تغيرت. والأولاد تغيروا مع الدنيا. وما كنا نقبله من آبائنا في الماضي لن يقبله أولادنا في الحاضر وسوف يثورعليه أحفادنا في المستقبل، في الماضي كان في استطاعة حاكم أن يحكم شعبا بالمشانق والسياط والارهاب. واليوم لا يستطيع حاكم أن يحكم الشعب إلا بالحرية والديمقراطية وسيادة القانون. وكل من يحفر قبرا للحرية والديمقراطية والعدالة يدفن في هذا القبر! وهذا الذي يحدث مع الشعوب هو ما يحدث في البيوت. فأساليب القسوة والشدة والقمع لا تنفع مع أبناء هذا الجيل، وإنما يجب أن نكسبهم بالمناقشة والاقناع والحب. وطبعا هذا الكلام لا يرضي بعض الآباء من الجيل الماضي، الذين يتوهمون أن الأب «الحمش» هو الأب الديكتاتور الذي يفرض الأحكام العرفية على أهل بيته، و يقفل الأبواب، و يغلق الشبابيك، و يضع رقابه على كل فرد في الأسرة. تماما كما يفعل الطغاة مع الشعوب، التي يحكمونها!

ولقد أثبتت تجارب الحياة أن هذا النوع من الطغيان ليس بالتربية النموذجية، وأن الأولاد يخرجون منه بلا شخصية و بلا روح و بلا قدرة على الصمود، فهم يهزمون في أول معركة يصادفونها في الحياة. تماما كما حدث لألمانيا عندما هزمت في حكم هتلر. وما حدث لايطاليا عندما هزمت في حكم موسوليني، وكما حدث لنا عندما هزمنا في ٥ يونيوفي حكم مراكز القوى. وما البيت إلا دولة صغيرة. يجري عليه نفس ما يجري على الدول.. ومن رأيي أن نكون في بيوتنا برلمانات صغيرة، تؤلف من أفراد الأسرة، نناقش فيها كل شيء، حتى الفيلم الذي نريد أن نشاهده، حتى الاذاعة التي نريد أن نسمعها، حتى البرنامج الذي نريد أن نتفرج عليه في التليفزيون.. بل انني أعتقد أن من حقوق هذه البرلمانات الصغيرة أن تناقش ميزانية الأسرة، ليعرف كل فرد فيها ما هو الدخل، و يتواضع في طلباته، ولا يبالغ في المطالبة بكماليات، في وقت لا تسمح فيه ميزانية الأسرة بالضروريات. أنا أتصور أنه إذا دخلت الديمقراطية إلى بيوتنا، فسيدخل في أعقابها السعادة.. الخوف الوحيد أن يجتمع أطفال الأسرة و يسقطون الأب، و يعينون أحد الأطفال حاكما للأسرة، يلغى بند الطعام و يشتري شيكولاتة، و يلغى بند مصاريف المدارس ويخصصها للذهاب إلى السينما ومباريات كرة القدم!

ومع ذلك فأنا أعتقد أن ألف خطأ في بيت ديمقراطي أقل من جريمة واحدة في بيت مستبد!



جندي المطافئ الذي فقد عينيه !

لا تكاد تقترح «فكرة» مشروعا خيريا حتى تنهال عليها التبرعات من كل مكان. وفي الوقت نفسه تنهال اقتراحات التبرع لمشروعات خيرية أخرى.

وأنا لا أريد أن يبدو باب «فكرة» كباب يمد يده كل صباح و يقول لله يا محسنين! بل أتصور أن العدل يقتضي أن يقسم الخير على كل الكتاب حتى يشترك الجميع في الثواب، ولا يحتكره كاتب واحد!

ولكني لا أستطيع أن أرفض اقتراح الصيدلي محمد فريد، الذي أرسل لي شيكا بمبلغ عشرة جنيهات، وطلب أن أدعو الشعب ليتبرع لجندي المطافي الذي فقد عينه لينقذ طفلا من الحريق!

صحيح أن الدولة منحته شقة في المساكن الشعبية، ولكن يجب أن يساهم الشعب في تحية جندي المطافي الذي فقد عينيه لينقذ طفلا من الاحتراق!

الشقة وحدها لا تعوضه عن عينيه وإنما إحساسه بأن الشعب كله يقدر شجاعته ويحيي تضحيته هو الذي يخفف عنه بعض هذه الكارثة.

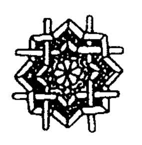
ملايين الجنيهات لا تساوي فقد نور العينين. هذا الظلام القاتل الذي يحيط به اليوم يقتضي من كل واحد منا أن يحاول أن يكون عينا لهذا الجندي الشجاع. فاذا لم يستطع الواحد منا أن يقوده في الطريق، أو أن يخدمه في بيته، أو يسليه في وحدته، فلا أقل من أن نشعره أن تضحيته الكبيرة لم تذهب سدى.

انني أتمنى أن نعرضه على أكبر أطباء العيون في بلادنا، أتمنى أن تقوم «الأخبار» بحملة ليسافر على نفقة القراء إلى أي بلد في العالم، إذا رأى كبار الأطباء في بلادنا أن من الممكن علاج هذا الجندي، ولو برد بعض البصر إلى عينيه، اننا قرأنا في صحف العالم عن جنود في الحرب العالمية الثانية فقدوا البصر من تأثير القنابل الحارقة، واستطاعت بعض العمليات أن تنجح في أن تعيد لهم بعض البصر.

إننا لا نريد أن نيأس.. سوف نحاول..

اننا نطلب من هذا الجندي الشجاع أن يجيء إلينا، وسنرسله إلى أكبر أطباء العيون في بلادنا وسوف نحاول أن نعيد بعض النور إلى الرجل الذي ضحى بحياته من أجل أن يعيش طفل من أطفال بلادنا!

نحن مدينون لكل رجل وامرأة يؤدي واجبا.. لن تذهب التضحية سدى في بلادنا.



جيش من النساء !

لماذا لا نؤلف جيشا من النساء مهمته تنظيف البلد؟

الجمعيات النسائية في القاهرة تقوم بجهد مشكور، ولكن هذه المهمة يجب ألا تقتصر على القاهرة. نريد أن تمتد إلى كل مدينة وقرية في مصر.

المرأة المصرية قادرة أن تنجح وهي تعمل مجانا، فيما فشل فيه الرجل وهو يتقاضى عنه أجرا!

نساء العالم كن يشهدن في الماضي للمرأة المصرية بأنها تستطيع أن تجعل بيتها البسيط قمة في النظافة والنظام. لماذا لا تمتد هذه المعجزة إلى كل شيء في القرية وفي المدينة؟

نساء كثيرات لديهن الوقت الكافي إلى جانب عمل البيت، أو إلى جانب الوظيفة للقيام بالخدمة العامة!

أنا أعرف فتيات لو اختصرن محادثاتهن التليفونية إلى النصف يوميا لاستطعن توفير بضع ساعات لخدمة البلد!

أعرف أحاديث صالونات أو أحاديث من النوافذ لو اقتصرت على الموضوعات الهامة لجعلت لدى كثيرات من النساء ساعات طويلة لأعمال مفيدة.

مطلوب من جيش النظافة أن يشرف على نظافة كل شيء. إدارات الحكومة في بلادنا أصبحت أقذر إدارات في العالم. شوارعنا مليئة بالأتربة والقاذورات. المراحيض العامة مكتوب على جدرانها ألفاظ لا تليق في بلد متحضر.. قزقزة اللب في الشوارع ودور السينما يحول روادها إلى قرود!

الشوارع تحتاج قبل كل شيء إلى تطهيرها من الكلمات البذيئة. كثرت الشتائم.. كثرت عبارات السباب. أصبح بعض الناس لا يختشون ولا يستحون.

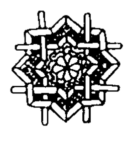
إن جيش التطهير قادر على أن يعيد لكل مدينة وقرية جمالها ووقارها. قادر أن يعلم الأدب لمن لا يريدون أن يتعلموا الأدب.

نعم هي مهمة شاقة. ولكني أعتقد أن في استطاعة النساء المصريات تأليف هذا الجيش بعد انتهاء الامتحانات، وتجتمع سيدات كل حي، وسيدات كل حارة، وسيدات كل شارع، و يؤلفن اللجان، و ينظمن حركة واسعة تمتد إلى كل مرفق من مرافق حياتنا.

النظافة من الايمان. ولكن الايمان ليس كلاما نردده فقط، وإنما هو عمل نقوم به، هو جهد نبذله لنجعل بلادنا ألطف بلد على البحر المتوسط!

المهمة صعبة جدا..

ولكن المرأة المصرية قادرة على أن تصنع المعجزة!



فلنسقط على الأرض واقفين !

يجب أن نعلم أولادنا أن يقعوا واقفين! ليست مصيبة أن تسقط على الأرض، وإنما المصيبة أن تبقى واقعاً!

الفرق الوحيد بين الناجحين والفاشلين في الحياة ان الذين نجحوا وقعوا على الأرض عدة مرات، ثم حاولوا أن يقفوا من جديد، واستمروا في محاولتهم، حتى استطاعوا الوقوف. أما الذين فشلوا فهم الذين يئسوا بعد الوقوع الأول، واستكانوا، وتوهموا أن الفشل هو نهايتهم!

لا يوجد فشل نهائي في الحياة! إنه أحد المحطات، وعليك أن تبقى في القطار حتى يصل إلى المحطة التالية وهي محطة النجاح!

أعرف رجالا أفلسوا عدة مرات، ثم حاولوا من جديد، جاهدوا، تعبوا، شقوا، حتى أمكنهم تحويل الفشل الذريع إلى نجاح كبير!

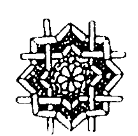
لقد سمعت مرة روكفلر الكبير، الذي كان من أكبر أغنياء العالم يقول: انني فشلت في حياتي مائة مرة، ونجحت ثلاث مرات!.. ومن حسن حظى أن النجاح كان في المرة الأخيرة!

وأعرف كتابا كبارا قدموا انتاجهم الأول إلى كتاب كبار، فألقوا بانتاجهم في سلة المهملات، وكتبوا من جديد.. مرة ومرتين ومائة مرة، حتى أصبحت مقالاتهم تنشر في الصفحة الأولى.

وروى لي عبدالحليم حافظ كيف أنه حاول أن يغني في بداية حياته في الاسكندرية، فألقى عليه المستمعون الطوب، وأصروا على أن يسدل الستار!

ثم حاول من جديد.. إلى أن وصل إلى ما وصل إليه من مكانة كبيرة في الغناء.. ولو أن عبدالحليم يئس بعد الطوبة الأولى لكان الآن موسيقيا مغمورا.. فالنجاح هو الاصرار والاستمرار والانتصار على اليأس!

لا تيأس إذا رأيت الباب مغلقا في وجهك! دق عليه! دق بقوة!.. ادفعه بقدمك.. وسوف تفتح لك كل الأبواب.



ابتسم من فضلك!

عندما أرى وجه رجل عابس أو وجه امرأة مكشرة ينقبض قلبي! أحس أنني مسؤول عن هذا التجهم! أسائل نفسي ماذا نستطيع أن نفعل لنزيد عدد البسمات في بلادنا، ولننقص عدد الوجوه العابسة؟

الناس تضيق بعذاباتها اليومية في الاتوبيس. في الغلاء. في الوقوف في الطوابير لشراء حاجاتها. ولكنها تضيق أكثر من أن الذين يخدمون الجمهور، لا يحسون بما هو فيه من تعب وضنى وشقاء.

نحن في حاجة إلى فتح دروس ليلية نعلم فيها الذين يتعاملون مع الجمهور كيف يعاملونه. الجمهور هو الزبون. والقاعدة التجارية الناجحة تقول: «ان الزبون دائما على حق» ولكننا في سنواتنا الأخيرة نعامل الزبون على أنه على خطأ دائما! لماذا؟ لأننا لم نفهم الاشتراكية على أنها مجتمع أفضل. يعيش الناس فيه أسعد مما عاشوا لا أسوأ مما عاشوا. يعاملون أحسن مما عوملوا لا أسوأ مما عوملوا. يحسون بالفرق بين المعاملة الطيبة على يد الشعب، والمعاملة المستغلة على يد الرأسمالي الجشع!

ولكن الذي حدث في بعض قطاعاتنا هو العكس تماما.

الموظف في بعض شركات القطاع العام أوفي مصالح الخدمات يتصور أنه أصبح إلها، وأن الجمهور أصبح عبدا! للموظف أن يأمر، وعلى الزبون أن يخضع و يطيع!

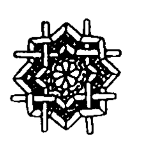
الموظف يقدم أسوأ بضاعة، وعلى الزبون أن يبدي إعجابه و يقول «يا سلام!».

الموظف يرفع أسعار المنتجات بغير سبب، والزبون عليه أن يقول «يا بلاش»!

هذه العقلية الفرعونية نتيجة زيادة عدد الفراعنة في البلاد! كل صاحب سلطة يتوهم أنه فرعون، وأن من حقه أن يكون «نمرود». وأن من واجب كل مواطن أن يكون «الأرنب» في حضرة فرعون الجديد!

هذه المعاملة الغريبة يجب أن تتوقف في جميع القطاعات وجميع الادارات. يجب أن نتعلم أن نحترم المواطن. أن نعرف أن صاحب الحاجة ليس متسولا، وإنما هوصاحب حق! وأن الموظف في الخدمات ليس متفضلا.. ولكنه يؤدي واجبه الذي يتقاضى عليه أجرا!

وعندما نغير معاملتنا للمواطنين ستعود الابتسامات إلى شفاه كل المواطنين حتى وهم يقفون في طوابير الجمعيات!



ابن « المنجد » !

كان الحاج المنجد من أكفأ المنجدين في القاهرة.. كنت إذا اتصلت به تليفونيا في محله وطلبت منه أن يحضر لتنجيد أي شيء في المنزل وجدته أمامك بعد دقائق من انتهاء المكالمة.. كان يجد متعة في أن يلبي طلبات الزبائن، وأن ينجز الأعمال المطلوبة منه أصبح أكبر منجد في الحي، وامتدت شهرته إلى الأحياء المجاورة. ثم مات. وخلفه أبناؤه في إدارة محله.

وأول ما فعله الابن أن اشترى سيارة. وتصورت بسذاجتي أن الابن فعل ذلك ليضاعف سرعة الأب في تلبية طلبات الزبائن. ثم فوجئت بالابن يترك الزبائن أسابيع وشهورا حتى يلبي طلباتهم!

وسألته ماذا يفعل بالسيارة؟

فقال انه يتفسح بها!

وسألته لماذا لا يهتم بمطالب الزبائن ؟

فعلمت انه يشعر بخجل أن يجلس في محل منجد! وأنه ورث ثروة تجعله صاحب عمارة، يجلس أمامها واضعا ساقا على ساق، يتصرف باعتباره « سعادة البيه » لا « المعلم المنجد » !

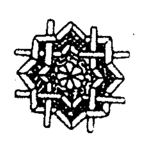
ودهشت أننا نجد في عصر العمال عاملا يفكر بهذه العقلية التافهة!

لقد كان الحاج المعلم يربح من دكانه أكثر من مرتب رئيس الوزراء.. بل أكثر من مرتب وزيرين في الوزارة، وكان يجد في لقب « المعلم » شرفا وفخرا لا يجده في لقب سعادة البك أو سعادة الباشا!

الابن الذي يعيش بهذه العقلية لن ينجح في الحياة! سوف يحيط به أصدقاء السوء، يصحبونه إلى الأندية الليلية، وإلى مواخير القمار.. سيتبخر هذا المال الذي ورثه.. وبعد سنوات قليلة ستذهب العمارة وستذهب السيارة وسيحاول أن يكون صبيا في دكان منجد من زملاء أبيه فلا يجد من يثق في شاب بهذه الحماقة!

بعض الناس يعيشون حياتهم في انتظار أن يرثوا أقرب الناس إليهم، وهم يتخيلون أن هذا المال الذي صنعه مورثوهم بدمهم وعرقهم وكفاحهم يمكن أن يجعل منهم « بهوات » أو « هوانم » .. أو عاطلين بالوراثة!

هؤلاء المساكين سوف يكتشفون بعد فوات الأوان، أن كثيرين جدا من الشحاذين الذين نراهم في مدينة القاهرة، كانوا في يوم من الأيام من « الوارثين » !



نصف الحقيقة!

قالوا لي ان الحقيقة كلها تصدم الشباب. ولهذا يجب ألا نفاجئهم بالحقيقة كلها، بل نكتفي بنصف الحقيقة!

قلت لهم ان نصف الحقيقة معناه نصف الكذب. ولا يوجد أنصاف مفاهيم في الفضائل. فهذا الرجل إما لص وإما أمين، ولا تستطيع أن تقول انه نصف أمين، لأن معنى ذلك أنه لص! ولا تستطيع أن تقول انه نصف شريف، لأن مؤدى ذلك أنه رجل بلا شرف!

في الحقائق لا توجد أنصاف حلول فأنت إذا كنت في غرفة وأضأت زر الكهرباء أنارت الغرفة، وإذا أغلقت الزر ساد الظلام.

لا يوجد شيء اسمه الحقيقة بالتقسيط. لأن الحقيقة بالتقسيط هي كذب بالتقسيط.

إنك في اليوم الذي تخفي فيه عن الشعب جزءا من الحقيقة إنما أنت تشترك في خداعه وتضليله.. ولا فرق بين أن تضع على عينيه عصابة سوداء من الحرير أو تضع على عينيه عصابة من الكتان. النتيجة أنه يفقد حقه في الرؤية وحقه في التمييز وحقه في معرفة الحقيقة!

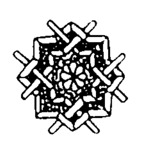
وكم حاولنا في الماضي أن نحجب الحقيقة عن الناس، وصادرنا الكتب والصحف والمجلات التي تخالفنا في رأينا، ومنعنا سماع الاذاعات الأجنبية.. فماذا كانت النتيجة؟

إن الحقيقة وصلت إلى الشعب برغم كل الحصار المفروض عليه، وأحيانا وصلت مبالغا فيها. و بعد أن كانت حجتنا أن نخفي الحقائق عن الأعداء، أصبحنا نحن الأعداء الذين ليس من حقهم أن يعرفوا الحقيقة!

وأنا أتصور أن الحرية وحدها هي الطريق إلى الحقيقة، ويمكن أن يختلف الناس في الرأي وفي الوقائع ولكن حريتهم في أن يقولوا كل ما يريدون، هي التي ستجعل الشعب يعرف الحقيقة كلها.

والشعب المصري واع ذكي لماح يستطيع أن يفرق بين الحق والباطل و بين كتب التاريخ ومذكرات «أبولمعة الأصلي»!

اتركوا الشعب يحكم... بعد أن تضيئوا له الأنوار.. كل الأنوار!



صديق المحنة!

ليست الصداقة أن آخذك بالأحضان، وأن أغمرك بالقبلات، وأن أرقص في مواكبك، وأن أزغرد في أفراحك، وأن أهنيء بانتصاراتك!

الصداقة أن أقف بجوارك في محنتك. أن أصمد خلفك عندما يتخلى عنك عباد الشمس، الذين يتجهون إلى الشمس عندما تشرق، و ينصرفون عنها عندما تغيب!

أن أدافع عنك وأنت مجرد من السلطان أكثر مما انتصر لك وأنت صاحب القوة والجبروت!

أن أتلقى عنك الطعنات عندما يوجه إليك الظالمون الخناجر والسكاكين، وأبتعد عندما تنهال عليك الزهور والرياحين!

أن أرد غيبتك، عندما يحاول خصومك أن يهاجموك ويمنعوك من الدفاع عن نفسك.

أن أكون لسانك عندما يقطعون لسانك، وأن أكون يدك عندما يضعون يديك في القيود!

الصداقة هي أن أمد يدي إليك عندما تقع على الأرض. وأن ألوح لك بيدي من بعيد عندما تقف على قدميك.. أن أعودك وأنت مريض، وأن أدعو لك وأنت قوي. أن انتصر لك مظلوما وأن أنصحك ظالما!

الصداقة تضحية وليست منفعة. إنها ليست كالآلات الأوتوماتيكية الحديثة تضع فيها الثمن وتضغط على زرار، فتخرج لك علبة سجائر، أو قطعة شيكولاتة أو زجاجة كوكاكولا! إنها عملية إلقاء بذور في الأرض، وسقيها، وريها، ورعايتها، بغير أن تنتظر ثمرا تأكله!

إن الصداقة ليس المقصود بها أن تزرع بذرة، لتثمر ثمرة تأكلها، فكثيرا ما تثمر الصداقة وردا لا يؤكل، ولكن يزين الحياة، و يزيدها جمالا!

الصداقة تجعل الحياة جميلة، إنها ليست بوليصة للتأمين على الحياة، ولكنها في بعض الأحيان تفعل للانسان أضعاف ما تفعله وثيقة التأمين على الحياة!

الذين يعطون بلا مقابل يأخذون كثيرا جدا!

والذين ينتظرون المقابل يصابون بخيبة أمل دائما!



السلاحف تشتغل في مصلحة البريد!

لا أعرف ماذا جرى لمصلحة البريد في بلادنا؟! هل استغنت عن الطائرات والسيارات والموتوسيكلات واعتمدت على السلاحف؟

كان البريد في بلادنا مثلا ممتازا للسرعة والدقة والانضباط، وفجأة أصبح شعاره المثل: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، وان المتسرعين هم أهل الشياطين!

كل رجل أجنبي جاء إلى مصر شكا لي من البريد!

كل أصحاب الأعمال الذين يريدون أن يبدأوا علاقات جديدة في مصر بعد الانفتاح أصبحوا يسألونني هل من الممكن أن يعودوا إلى استعمال الحمام الزاجل الذي كان مستعملا في القرون الماضية بدلا من البريد؟

والبعض منهم أصبح يجد أنه أرخص له أن يرسل رسولا من القاهرة إلى نيو يورك بالطائرة من أن يرسل خطابا بالبريد الجوي... وذلك حتى يضمن وصول الخطاب في موعد معقول!

إذا كانت المسألة هي عدم وجود الأيدي العاملة، فلماذا لا تضاعف الدولة عدد موظفي البريد، بألوف الشباب الذين يعينون بلا عمل في وزارات الحكومة والمصالح، ولا يجدون مكاتب يجلسون عليها!

وإذا كانت المصلحة في حاجة إلى خبراء أجانب فلتكن لدينا الشجاعة لاستقدام هؤلاء الخبراء!

وإذا كانت المسألة أن طابع البريد لا يغطي النفقات، والميزانية لا تسمح للقيام بهذه الخدمة الضرورية فلا أظن أن صاحب الرسالة يمانع في أن يدفع ٥ مليمات أكثر لتصل رسالته في يوم واحد بدلا من أسبوع!

إن أمامي رسالة من زغلول السيد مراسل أخبار اليوم في لندن، مختومة في يوم ٣٠ يناير وسلمت إلى أخبار اليوم في القاهرة يوم ١٧ ابريل! والمضحك أنها بالبريد الجوي! ٧٧ يوما تكفي لأن تدور الرسالة حول العالم ١١ مرة!

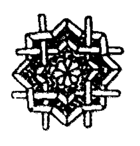
بعض عواصم العالم توزع الرسائل ٤ و٥ مرات كل يوم!

ومصلحة البريد في العواصم المتمدينة تعتذر بخطاب رسمي إلى المرسل إليه إذا تأخر وصول الرسالة يوما واحدا!

إن ما يحدث في مصلحة البريد يكلف مصر ألف مليون جنيه كل عام!

فلا تسألوا لماذا لم تظهر نتائج الانفتاح حتى الآن!؟

اسألوا ماذا يحدث لكل خطاب يصل من الخارج أو يرسل إلى الخارج!



المنافق الكبير!

دخل المنافق الكبير إلى مكتب الوزير وقال له:

ـ أمس كانت أجمل سهرة في حياتي! أحسن مرة غنت فيها أم كلثوم! وصلة كلها طرب وموسيقى وألحان!

قال الوزير في دهشة: ماذا كانت تغني أم كلثوم؟!

قال المنافق الكبير: لم تكن أم كلثوم.. كانت وصلة معاليك! كنت معاليك تتحدث في التليفزيون.. قامت زوجتي من النوم وقالت ياسلام.. أحسن من صوت أم كلثوم! ترك الأولاد المذاكرة والتفوا حول التليفزيون يهزون رؤوسهم إعجابا بمعاليك وآراء معاليك وأفكار معاليك! وقالوا لي لا نريد أغاني.. لا نريد أفلاما.. لا نريد مباريات كرة! نريد أن يتكلم معالي الوزير مرة كل يوم!

كان المفروض أن يفتح الوزير نافذة مكتبه، و يلقي منها المنافق الكبير، ولكن الوزير بشر. أحس الذين كانوا معه في الغرفة أنه مستريح لهذا النفاق الرخيص!

دخل السكرتير يعلن قدوم وفد عمال أحد المصانع. قال الوزير إنه مشغول بأمر هام.. ضغط على زر فأضيء نور أحمر، معناه أن الوزير لا يريد أن يستقبل أحدا!

وكان الأمر الهام الذي يشغل الوزير، هو نفاق هذا المنافق الكبير!

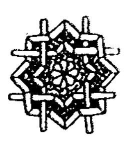
وشعرت أن الوزير هو الذي يسمع أم كلثوم. وأنه يتمايل طربا.. وأنه يهتز في مقعده على صوت الملق الرخيص!

هذا الحادث لم يقع في عهد الوزارة الحالية، ولكنه حادث يقع في عهد كل وزارة، وفي مكتب كل رئيس مجلس إدارة، ومن الأسف فان هذا النوع من المنافقين لهم سوق، وعليهم اقبال، و ينتقلون مع كل وزارة، وكأنهم يلحقون بكل مرسوم جديد!

وليس الذنب ذنب هؤلاء المنافقين.. بقدر ما هو ذنب الكبار الذين يستمعون لهم. و يرقصون على أنغامهم.

أذكر أن أحد الوزراء وضع ميكروفونا في مكتبه عندما تولى الوزارة.. وضع جهاز تسجيل تحت المقعد وسجل كل كلمات المديح والاطراء التي قالها المنافقون يوم توليه الوزارة.

وأقسم أنه سيذيعها في إذاعة القاهرة بعد خروجه من الوزارة!



المتسلقون!

مدرسة «التسلق» لها أساتذة ولها تلاميذ! أولئك الذين يجيدون تقبيل أيدي الأقوياء، وأحذيتهم إذا لم يجدوا لشفاههم أماكن فوق الأيدي! الذين يمسحون الجوخ، و يداهنون و ينافقون، و يتسابقون على الأعتاب!

و بعض الناس يتطلعون إلى هؤلاء الأساتذة والتلاميذ، و يرقبون صعودهم، ولا يعرفون وهم يحسدونهم أنه الصعود إلى تحت. بل الصعود إلى الحضيض!

وعندما يبهرون بسرعتهم في شق الطريق إلى العلا. يكتفون بقراءة الصفحات الأولى من قصة حياتهم، ولا يصبرون إلى أن يصلوا إلى الخاتمة في الصفحة الأخيرة. لا يعرفون أن كل صعود شيطاني ينتهي بهبوط شيطاني. وأن الذين يبيعون كل شيء كي يصلوا إلى القمة، يكتشفون وهم فوق القمة أنهم أفلسوا، فيهوون من حالق، لأن للبقاء على القمة شروطا أهمها الخلق الكريم.

ما من رجل يطعن صاحبه في ظهره بسكين ليصعد فوق جثته إلى قمة الهرم، إلا فوجيء ووجد نعشه ينتظره فوق الهرم!

وكم من مرة تصور السذج أن الدنيا قد دانت لرجل بلا خلق و بلا ذمة و بلا ضمير، حتى وجدوه يتدحرج من حالق لسبب مجهول.

وكم من مرة أحس صاحب الخلق أو صاحب المباديء بالضعة والهوان، وهويرى نفسه في أسفل السلم، بينما الذين بلا خلق ولا مباديء يقفزون الدرجات و يصعدون إلى أعلى المناصب.. وكم تحسر صاحب المباديء على أن الله نكبه بهذا الضمير الذي أثقله فمنعه من الصعود بينما الذي لا ضمير له يشعر أنه «خفيف الوزن» لا يقف أمامه شيء وهو يصعد في «أسانسير» الحياة!

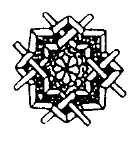
فاذا صبر صاحب الضمير على هذا الهوان، فسوف نجد المصعد يهوى بأسرع مما ارتفع، و بصاحب الضمير الميت يصاب بسكتة نجاح قلبية، لا ينفع فيها التنفس الصناعي ولا يوجد تفسير لهذا الذي يصاب به موتى الضمير، إلا بأن الله يعذب ميت الضمير في الدنيا كما يعذبه في الآخرة. يرفعه إلى حالق، ثم يهوى به إلى الحضيض!

وكم من الناس فقدوا عقولهم عندما فقدوا سلطتهم. ان عذاب فقد السلطان عند هؤلاء الناس أشبه بعذاب النار. فهم يحترقون كل لحظة عندما يفكرون في قوتهم الماضية، وفي هوانهم الحاضر، في سلطانهم الذي ذهب وفي وحدتهم القاتلة.. أصبحوا أفرادا عاديين!

لا يهب المنافقون لتحيتهم.. ولا يتنافس الانتهازيون لنيل رضاهم. ولا تنحنى الرؤوس في حضرتهم!

اللهم اتركنا نمشى على أقدامنا! لا تصعد بنا إلى القمة، ولا تهبط بنا إلى الحضيض!

إن الذين يقعون وهم فوق الأرض يصابون برضوض، والذين يسقطون من فوق القمة تنكسر رقابهم!



عودة حقوق الانسان !

أعظم تطور حدث في بلادنا هو إعادة الاعتبار للانسان المصري !

فقد جاء وقت كان من الممكن القبض على أي مصري بلا تهمة، ووضعه في المعتقل بلا حكم، والزج به في السجن بلا جريمة !

جاء وقت يختفي جارك من بيته فلا تجرؤ على أن تسأل أين ذهب. و بعد شهور أو سنين يعود جارك إلى بيته فلا يجرؤ على أن يقول لك أين كان ؟ !

تصادر ثروة انسان فلا يعرف لماذا صادرت الدولة كل ما يملك. وتوضع أسرة تحت الحراسة وتجهل ماذا ارتكبت حتى حكم عليها بالجوع !

يموت الرجل فيمنع الرقيب نشر نعيه، ويموت ابن الرجل فيحذف الرقيب اسم الأب من النعي لأنه من أعداء الحكم !

يرفت الموظف من وظيفته بلا سبب، وترفض المحكمة قبول دعواه لأنه ليس من حق الانسان المصري أن يقاضي الذي ظلمه !

يمنع الانسان المصري من النفر إلى الخارج لأن وشاية قيلت ضده، أو لأن فرعونا صغيرا لا يستلطف دمه أو لأنه لم يقبل يد أو حذاء الموظف الصغير الذي يقوم بدور رضوان حارس الجنة.. وكأن الجنة أصبحت هي كل بلد في العالم خارج مصر..

و يبقى الانسان المصري مسجونا في بلاده، لا يستطيع أن يتم تعليمه.. و يطرد من عمله فلا يستطيع أن يلتحق بأي عمل في أي بلد عربي. ويجوع ويحرم على كل المؤسسات والشركات أن تعينه في أحقر الوظائف ليطعم زوجته وأولاده.

و يضطر طبيب أن يخطف طائرة ليسافر إلى السعودية ليعمل هناك و يبحث كل مصري عن طريقة يهرب بها من السجن الكبير! ويخرج الانسان المصري من ملابسه، وتنهال عليه ألوان وأشكال من القسوة والوحشية ويمنع من حق الشكوى وحق الصراخ !

الآن انتهى كل هذا.. عاد الاعتبار للانسان المصري.

لا يستطيع أحد أن يقبض على مصري بلا تهمة.

لا يستطيع أحد أن يصادر أملاك مصري أو أجنبي.

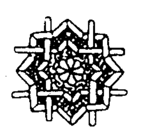
لا يستطيع أحد أن يمنعك من أن ترفع قضية على رئيس الجمهورية تطلب إلغاء قرار جمهوري أصدره !

لا يستطيع أحد أن يقيل قاضيا لأنه أصدر حكما أغضب الحكومة !

لا يستطيع أحد أن يمنعك من أن تقول لا.. أن تسافر كما تشاء.. أن تعود إلى بلادك متى تشاء !

أصبح المصريون أسياد بلادهم !

وهذه هي الديمقراطية والحرية وسيادة القانون.



بدا الشباب من الصغر !

دخلت مطعما مشهورا في لندن. رأيت مدير المطعم الشاب يستقبل الزبائن ويحييهم. رأيت في سمرته وابتسامته وتقاطيع وجهه قطعة من بلادي. عرفت أنه شاب مصري. سافر وهو طالب إلى النمسا وتعلم كيف يعمل و يعرق.

وعندما تخرج من كليـــة التجـــارة في الاسكندرية سافر إلى ألمانيا وعمل خادما في مطعم إلى أن طردوه مع العرب اثر حادث ميونيخ.

وخرج من ألمانيا محطما لا يملك شيئا. ولكنه لم ييأس. سافر إلى لندن وعمل في هذا المطعم في وظيفة عامل مهمته أن يجلس الزبائن في الموائد الخالية. لم يرفض العمل البسيط! لم يقل أنا خريج كلية التجارة ومكاني في بنك لا مرمطون في مطعم. ومضى يعمل و يعرق و يكافح حتى وصل الآن إلى منصب مدير المطعم. مرتبه الآن ضعف مرتب رئيس وزراء مصر!

وقد تزوج ابنة عمه وهي طالبة في جامعة اسكندرية، وأصبحت لديه شقة أنيقة وسيارة. أحسست بسعادة غريبة وأنا أجلس إليه. أستمع إلى متاعبه وخواطره وأحلامه. كأنني أجلس مع شباب بلادي الجديد هؤلاء الذين يريدون أن يصعدوا إلى قمة الجبل، و يريدون أن يحفروا الطريق بأظافرهم، ولا يرتفعوا في مصاعد الأقرباء والأنسباء!

انه يريد أن يملك في يوم من الأيام مطعما في لندن. مشكلته أن ثمن المطعم ٣ ملايين جنيه استرليني وهو يريد أن يحقق هذا الحلم الكبير بالصبر والاستمرار والعمل المتواصل. يعرف أن الطريق أمامه طويل. ومع ذلك لا يفزع من طول المسافة، ولا ييأس من مشاق الطريق. سيحاول. سيقتصد. سيعمل أكثر. سيفكر. سيبتكر. سينتقل من منصب مدير فرع إلى مدير شركة.

كل خطوة من هذه الخطوات الشاقة تحتاج إلى جهد و بذل وعرق وتضحية، ولكنه مصمم أن يثبت أن المصري يستطيع أن ينجح في لندن كما نجح آلاف الهنود الذين أصبحوا يحتلون محلات تجارية كثيرة في عاصمة الامبراطورية التي كانت تحتلهم في يوم من الأيام! وسيجيء يوم تمشي في أحد شوارع لندن وتجد على المحل لافتة مكتوبا عليها «شرف حامد أحمد شرف».. من المنصورة!



التهمة الظالمة!

دخلت الفتاة العاملة الفقيرة إلى أحد المحال التجارية في نيو يورك. ووقفت تتأمل الملابس الأنيقة المعروضة وتتحسر أنها لا تملك ثمن شراء فستان واحد منها!

وقبض عليها المخبر السري في المحل التجاري بتهمة سرقة بعض الملابس، وقدمت الفتاة لورين إلى المحاكمة، وحقق القاضي التهمة، واكتشف أنها مظلومة، وأمر بالافراج عنها فورا. وتم الافراج عنها في الحال.

ولم تكتف لورين بأن العدالة أنصفتها، بل رفعت قضية تقول فيها إنها أهينت عند القبض عليها، وإن التهمة الظالمة حطمت أعصابها، وإنها كانت تحس نتيجة هذا الظلم أنها تعيش في كابوس مخيف.

وإذا بالقاضي يقول: إنه لا شيء أقسى على النفس من الظلم، وإن المظلوم يحس بعذاب أشد قسوة من طعنات الخناجر والسكاكين، وأكثر إيلاما من ضرب السياط، ولهذا فهو يحكم للفتاة المظلومة بتعويض قدره مليون ومائة ألف دولار!

لو أن كل مظلوم في بلادنا رفع قضية وطلب تعويضا، لأفلست ميزانية الدولة! ولكن المهم هنا أن القضاء لم يعتبر أن براءة المتهم المظلوم والافراج عنه، ورد اعتباره يساوي وحده التعويض من عذاب الظلم المرير!

ومن سخرية القدر أنه برغم التعليمات التي صدرت إلى وزارات الدولة والمؤسسات برفع الظلم عن المظلومين، وإعادة كل الحقوق إلى من ديست حقوقهم بالأقدام، أو نهبت أموالهم، أو أهدرت إنسانيتهم.. وبرغم أحكام المحاكم الصريحة في هذا الشأن، وبرغم اهتمام رئيس الجمهورية الشخصي بالمطالبة برفع الظلم عن المظلومين نجد أن كثيرا من إدارات الحكومة تتباطأ وتتردد قبل أن ترفع الظلم عن المظلوم! بل نسمع عن قرارات صدرت منذ أكثر من عشر سنوات ولم تنفذ حتى الآن!

وتنشر في الصحف أنباء عن رفع المظالم عن بعض الناس، ويذهب هؤلاء الناس إلى الادارات المختصة ويطالبون بحقوقهم فيجدون من يقولون لهم: لا تصدقوا! هذا كلام جرائد!

ألم تسمعوا عن قرار للرئيس جمال عبدالناصر برفع المصادرة عن عدد من الوزراء السابقين، وأخفاه بعض الوزراء في مكاتبهم عشر سنوات!

إن من رأيي أن نحاكم كل مسؤول يتلكأ في رفع الظلم عن أي مظلوم!

بهذا وحده ستجري أوراق المظلومين في الوزارات والمصالح والمؤسسات بسرعة الصاروخ!



طالب في الجامعة يمسح البلاط !

يضحكون عليك في انجلترا إذا تقدمت تطلب عملا وأبرزت لهم درجتك الجامعية من كلية الآداب أو الحقوق أو الاقتصاد السياسي أو التجارة!

أقل المرتبات في انجلترا الآن هي مرتبات خريجي الجامعات، وأعلاها هي مرتبات العمال المهرة!

الذي يريد أن تفتح له الأبواب في انجلترا يجب أن يجيد حرفة أما إذا كان يحمل دكتوراه في الفلسفة فسوف يرحبون به كخادم يغسل الأطباق في أحد الفنادق الكبرى!

أحسست بسعادة عجيبة وأنا ألتقي في لندن بشبان مصريين يتكلمون لغة العصر الذي يعيشون فيه.

الشاب المصري الذي يعمل جرسونا في فندق «ان اون ذي بارك» يشعر بفخر وزهو وهو يحمل طبق اللحم في يده، و ينحني وهو يقدمه للز بون!

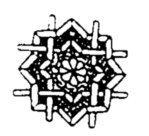
هذا الشاب سوف يصير بعد سنوات «متر دوتيل» بعض رؤساء الخدم في الفنادق الكبري يبلغ إيرادهم في الشهر أكثر من مرتب رئيس جمهورية في عام!

سررت عندما وجدت أن إحدى شركات المطاعم المعروفة التي تملك عددا من المطاعم الصغيرة تفضل الآن أن يكون المدير مصريا! بين المديرين شاب اسمه سيد عطية بكالوريوس تجارة من المنصورة، وطارق كرشة ليسانس آداب الاسكندرية وجلال الطالب بجامعة بيروت العربية وراشد و يسري من القاهرة!

رأيت شبانا مصريين يعملون في المطبخ. هذا الشاب مجدي الطالب بالجامعة وظيفته أن يعمل السلاطة و يتقاضى ٤٧ جنيها في الأسبوع! وهو مرتب يصل إليه بعض المدرسين في نفس الجامعة في الشهر!

الروح التي رأيتها بين شبابنا في الخارج تؤكد لي أن هذا الشباب تخلص من العقد ومن مركبات النقص، أصبح يعلم أن وظيفة «المرمطون» في مطبخ أشرف وأعظم وأكبر من وظيفة موظف جالس على مكتب في مصلحة حكومية ولا يفعل شيئا!

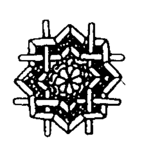
المستقبل للذين يحترمون العمل ويحبونه.. و يقدسونه و يعتبرونه عنوان الشرف في الحياة!



قرار بحرمانهم من الجنسية !

كل هذا يجب أن يتغير. يجب أن نعلم أن الشاب المصري الذي يهاجر هو رأسمال مصري. هو عملة صعبة موجودة خارج الحدود.. سيعود لنا في يوم ما. سوف يجيء يبحث عن عروس مصرية سيقتصد ثروة و يساهم بها في مشروعات بلاده. سيمضي شيخوخته في بلاده. سيساعد أسرته التي تركها وراءه. سوف يحرص على أن يدفن في أرض الوطن. هذا المهاجر ليس عالة على مصر. إنه علم لها مرفوع خارج الحدود.

التليفزيون يعرض في نيو يورك لمدة نصف ساعة برنامجا عربيا. البرنامج المعروض كلام فارغ. مطلوب من التليفزيون المصري أن يرسل بعض برامج للتليفزيون الأمريكي لتعرض في أمريكا. أشرطة لحفلات أم كلثوم. أفلام فاتن حمامة. رقص فرقة رضا. كل الذي أخشاه أن يرسل تليفزيون القاهرة خطب الوزراء فقط لتعرض في أمريكا.



أعلامنا خارج الحدود !

في الولايات المتحدة الآن ١٥٠ ألف مصري. يشقون طريقهم في الحياة بأظافرهم. يحاولون أن يصعدوا الجبل. يشقون يعرقون يسهرون الليل والنهار ليصنعوا لأنفسهم حياة جديدة. تحدثت إلى البعض منهم. أحسست بفخر وإعجاب بشباب بلادي الذي وجد في الهجرة متعة وفي العمل لذة وفي الكفاح هناء وفي المغامرة سعادة. بعضهم قفز السلالم. والبعض الآخر تعثر فى أولى درجات السلم.. وآخرون يحاولون و يناضلون و يثقون في أنهم سيحققون أحلامهم.

لم أصدق عيني وأنا أرى شبابنا يعشق الهجرة بعد أن مكثنا سنوات طو يلة نشجعهم بلا فائدة على الهجرة.. ولا نجد مجيبا. أذكر أنه منذ سنوات أربعين كان للمصريين نسبة بين المهاجرين الذين تسمح لهم حكومة الولايات المتحدة بالدخول والعمل وكنا لا نجد شابا مصريا واحدا يتقدم لطلب الهجرة.. بينما كان لدينا الحق في الحصول على خمسة آلاف اذن كل عام.

يجب أن ننشيء في بلادنا إدارة كبيرة للهجرة تكون حلقة الوصل بين الشبان المصريين الذين هاجروا و بين الوطن، نحاول أن نحل مشاكلهم ونجيب على أسئلتهم ونرسل لهم هدايا من الكتب والمجلات والاسطوانات. مكثنا سنوات نعامل الشبان المصريين المهاجرين كأنهم أعداء الوطن.. نمنع الاتصال بهم.. لا نرد على رسائلهم. الخطاب الوحيد الذي يصل إليهم هو

أربعين على أمين

لا أصدق أن علي أمين مات منذ أربعين يوما! مازلت أراه أمامي. أسمع صوته. أرى بريق عينيه. أسمع أنفاسه. أرى دخان سيجارته يلفح وجهي. أسمع ضحكاته ترن في أذني!

كيف يموت الناس ؟

يموتون عندما تختفي صورهم عن عيوننا. يتحولون إلى أشباح. تصمت أصواتهم. يصبحون ذكريات! وأنا لم أدخل هذه التجربة بعد مع علي أمين. مازلت أعيش معه كل لحظات حياته. مازلنا نتكلم معا. نضحك معا. نفكر معا!

عندما كنت مسجونا وكان هو منفيا لم أشعر بفراقه. كنت أحس أن نصفي مقيد ونصفي حر. كنت أحس أنه يأخذني معه إلى كل مباراة كرة قدم يذهب إليها، و يصحبني إلى كل مسرحية يشاهدها، و يشركني في كل حديث يجريه مع شخصية كبيرة. وكنت أحس كأنه يقاسمني سجني وحرماني ووحدتي. كأننا نقتسم معا كل كرباج ينهال على ظهري. ونشترك في كل ضربة تسقط على رأسي. كنت أحس كأن دموعي تسقط من عينيه، وأنه يقول «يارب» عندما تعجزني آلامي عن النطق!

وأنا اليوم أحس كأن أخي التوأم أخذني إلى القبر معه. أشاركه ظلامه. أقاسمه وحدته. وأتعزى عن هذا الشقاء، بأنه يقاسمني الحياة والنور والناس!

وأنا لم أرزق ولدا، ولم أشعر في يوم من الأيام بأنني في حاجة إلى ولد، كالآباء الذين يحبون أن يروا أنفسهم في أولادهم. كنت أحس أن على ابني! ابني الوحيد! وكان عجيبا أن ينتابني هذا الشعور وهو الذي يكبرني. صحيح أنه كان يكبرني بخمس دقائق، ولكني كنت دائما أشعر أنه أصغر مني، وكنت أتلهف عليه، وأخاف عليه، وأقلق عليه، تماما كما يفعل الأب مع ولده الوحيد الصغير!

لم أحس في يوم من الأيام أن ابني قد كبر، وأنه تجاوز الستين. كان يبدو صغيرا. لا يكبر أبدا!

وأحمد الله أنني لم أشعر حتى الآن أن توأمي قد مات! انني أشعر كأنه سافر في رحلة طويلة، وأنني سألحقه في يوم من الأيام!

وعزائي دائما أن نصفي قد مات معه!

ونصفه يعيش معي!

وعزائي الأكبر إيماني بالله..



عندما أضرب البوابون!

أضرب عمال المصاعد في نيويورك عن العمل. توقفت جميع المصاعد. حار سكان ناطحات السحاب ماذا يفعلون؟ ماذا يصنع مريض القلب الذي يسكن في الطابق رقم ٨٠.

اجتمع سكان كل عمارة ووضعوا نظاما بحيث يتناوب سكان العمارات على إدارة المصعد. كل ساكن يعمل لمدة ساعتين.

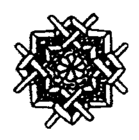
في العمارة التي يسكنها السفير عصمت عبدالمجيد رئيس وفد مصر في الأمم المتحدة يسكن بعض السفراء و بعض أصحاب الملايين. زوجة سفير السويد عملت عاملة مصعد لمدة ساعتين.. تضغط على الزر.. تفتح الباب.. وتغلق الباب.. مليونير أمريكي يعمل في صناعة الديكور تحول إلى عامل مصعد.. ابن السفير المصري وهو مهندس شاب لم يتردد في أن يحل محل والده في إدارة مصعد العمارة.

اتفق السكان على أن تعمل المصاعد من الساعة الثامنة صباحا إلى منتصف الليل. لم يعد في استطاعة الأزواج أن يسهروا خارج بيوتهم بعد الساعة الثانية عشرة مساء. استطاع السكان بالتعاون معا و بقبولهم مبدأ المساواة بين الجميع أن يحلوا مشكلة كانت ستضطرهم إلى الانتقال إلى الفنادق والمبيت بها حتى ينتهي الاضراب؟!

وفي الوقت نفسه أضرب البوابون في العمارات. امتنعوا عن تأدية واجبهم في جمع القمامة من البيوت. أرسلت البلدية عمالها للقيام بهذه المهمة بدلا من البوابين المضربين. لم يؤد عمال الحكومة واجبهم كما يجب، فما كان من ربات البيوت إلا أن حملن القمامة و وضعنها أمام باب عمدة المدينة! وفوجيء العمدة بأن أمام مكتبه جبالا وتلالا من القمامة تمنع الدخول أو الخروج.. اضطرت البلدية إلى مضاعفة الجهد الذي تبذله وعندئذ فقط استطاع موظفو البلدية الوصول إلى مكاتبهم..

الرأي العام في أمريكا يشعر بقوته.. يؤمن بأنه بالتعاون والتنظيم يستطيع أن يفرض ارادته ويحصل على حقوقه ولا يكتفي بالصياح والشكوى والصراخ!

هل سيجيء يوم نجمع فيه القمامة من شوارعنا ونضعها أمام باب محافظ القاهرة؟!



المرأة تلعب كرة القدم !

بين يدي موضوع الانشاء في امتحان النصف الثاني لمدرسة نبوية موسى الثانوية بنات القسم الثاني. المطلوب من الطالبات الممتحنات أن يكتبن موضوعا إنشائيا في الموضوع الآتي:

«لم يكن خطأ الزمالك ولا خطأ المحلة، وإنما وقعت سلسلة الأخطاء من أفراد أصابهم سعار التعصب، ومن حكم ضعيف، ومن اتحاد مهزوز جاهل متسرع، وللكرة العزاء والسلوان» !

هذا هو موضوع الانشاء الذي جاء في امتحان البنات لتلميذات الاسكندرية ويظهر أن عرض التليفزيون لمباريات الكرة جعل الفتيات المصريات متحمسات، ومنقسمات بين النوادي! وأصبحنا نسمع في بيوتنا عن بنت «أهلاوية» وبنت «زملكاوية» !

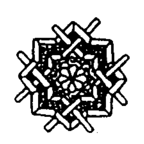
ولا بد أن عظام السيدة نبوية موسى التي تحمل المدرسة اسمها، تنتفض في قبرها، فقد كانت معروفة أنها مربية محافظة، تصر على أن ترتدي الطالبات الحجاب في سن معينة، وترفض أن يقوم بالتدريس لهن أي شاب مودرن، وتعترض على دخول «المفتش» إلى المدرسة إذا كان عمره أقل من خمسين سنة! ولا تعجبها الألعاب السويدية إلا إذا ارتدت الطالبات ملابس حشمة وبنطلونات!

الدنيا تتغير! ولكن ما هو تأثير دخول المرأة في كرة القدم؟! دخول الفتاة المصرية علنا في مدارسنا علمنا الأدب! فهل سيؤدي دخولها دنيا الكرة إلى اختفاء روح التعصب وحوادث الشغب.. أم أن المرأة المصرية سوف تمشي في موكب كرة القدم، فنسمع عن متفرجة من الزمالك ضربت لاعبا بالطوب، أو أن متفرجة من الترسانة عضت لاعبة من المحلة، وشدت شعر لاعب من الاسماعيلي!

إن بعض المدارس في الخارج بدأت تدخل لعبة كرة القدم بين النساء!

ترى هل سيجيء يوم ترى فيه اللاعبة زليخة بدلا من محمود الخطيب، ونرى اللاعبة فيفي بدلا من فاروق جعفر، ونسمع أن اللاعبة زيزي حلت مكان اللاعب زيزو في النادي الأهلي!

نكتة اليوم قد تصبح خبر الغد!



التربية الحديثة !

قالت لي السيدة أمينة السعيد إنها ربت أولادها بطريقة جديدة. عندما كانت ابنتها في الثانية عشرة وابنها في العاشرة قالت لهما إنها قررت أن تعطيهما مصروفهما السنوي دفعة واحدة وإن كلا منهما حر ينفق المصروف كما يشاء، ينفقه في يوم، في شهر، في سنة.. كما يريد — انها حسبت ما تدفعه لكل ابن ثمنا لشراء الملابس وتذاكر السينما والشيكولاتة والكوكاكولا واللب والفول السوداني.. ووضعت المبلغ في ظرف باسم ابنها.. وفي ظرف آخر باسم ابنتها.. وقالت لهما هذا المبلغ من حق كل واحد منكما. لا أتدخل في طريقة الصرف. كل ما سوف أفعله أن أكون مستشارة استشيروني في لون الثوب ولكن ليس لي حق املاء أي شيء أو الاعتراض على أي شيء.

لم يصدق الابن والابنة هذا القرار. ولكن أمينة صممت عليه. كل ما سوف تفعله لهما أن تقدم لهما الطعام والمأوى أما الباقي فمن مصروفهما.

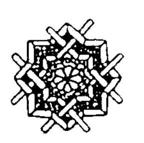
وتعلم الأولاد الحساب والاقتصاد والتوفير وعرفوا قيمة القرش لأول مرة. أصبحوا يفكرون ويتشاورون قبل أن يقدموا على شراء شيء. كانوا لا يشترون إلا الضروريات ولا يغيرون ويبدلون في ملابسهم بغير مناسبة ويحرصون عليها ولا «يشوطون» الطوب بأحذيتهم في طريقهم إلى المدرسة أو عودتهم منها حتى لا يتقطع الحذاء ويضطرا إلى شراء حذاء جديد من مصروفهم. أصبحوا شركاء في البيت مسؤولين عن ميزانيته. الديمقراطية والحرية والمسؤولية علمتهم أكثر مما تعلموا في الكتب والمدارس.

ورزقتْ أمينة ولدا ثالثا.. وعندما بلغ سن العاشرة طبقت عليه نفس النظام.

وبهذه الطريقة أصبحت الابنة مدبرة بيت ناجحة.. وأصبح الابن رجل أعمال ناجحا.. وأمكن للأولاد أن يقتصدوا مبالغ قليلة من المصروف كانت رأسمال كل واحد منهم ليبدأ عملا جديدا.

لو أن كل الأمهات فعلن كما فعلت أمينة السعيد لقامت ثورة بين أولادنا في البيوت ولكن هذا هو الفرق بين البيت الناجح والبيت الغارق في المشاكل والديون.

هذا هو الفرق بين إدارة البيت بالديمقراطية والمشاركة وإدارته بالدكتاتورية والانفراد بالسلطة.



عمدة مصري في أمريكا !

كان الشاب عمدة لاحدى قري محافظة المنيا، ولم يقنع بأن يكون الحاكم في قرية صغيرة، بل أراد أن يجرب حظه وراء البحار... وسافر إلى أمريكا وناضل وكافح، وانتقل من وظيفة صغيرة إلى وظيفة أكبر حتى أصبح موظفا مرموقا في البنك الدولي في واشنطون!

وفي هذا البنك الذي يعتبر الآن من أعظم بنوك العالم وجدت ٣٥ مصريا يشغلون مناصب هامة في البنك وهذا أكبر عدد حققته دولة نامية في العالم، حتى أن بعض الهنود قالوا لي انهم سوف يحتجون لأن عدد سكان بلادهم أكثر عشرين مرة من عدد سكان مصر، ومع ذلك استطاعت الكفايات المصرية أن تصل إلى كل هذه المناصب!

خبير صناعة الورق في البنك الدولي مصري اسمه المهندس يوسف فؤاد الذي كان رئيسا لمجلس إدارة شركة الورق الأهلية!

المهندس حسين مصطفى هو خبير البنك الدولي الفني في صناعة الأسمنت، وقد أنشأ ٣٨ مصنعا للأسمنت في مختلف أنحاء العالم وعمره ٤٨ سنة! وكان قبل ذلك مدير شركة أسمنت الاسكندرية!

أحد كبار رجال البنك وهوشخصية عالمية في الصناعة هو شريف حسن الذي كان رئيسا لمجلس إدارة شركة الدلتا للصناعة، ولم يستلطفه أحد وزراء الصناعة، وطارده حتى أصبح خبيرا عالميا تتخاطفه دول العالم!

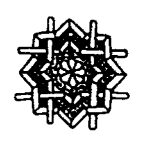
أحد كبار المحامين في البنك الدولي هو المحامي حسن جرانة شقيق الدكتور زهير جرانة الوزير المصري السابق والمحامي المشهور!

في كل خطوة تخطوها في البنك الدولي تجد وجها مصريا وابتسامة مصرية ولهجة مصرية!

وسألت بعض كبار رجال البنك الدولي ما هو السر في أن المصريين شقوا طريقهم إلى الصفوف الأولى!؟

قالوا لي: إنكم أرسلتم لنا منذ سنوات طويلة الدكتور عبدالجليل العمري وزير المالية السابق. وتألق هنا واستوقفت كفايته أنظار دنيا المال. وأعجبوا بنزاهته خبرته وذكائه! وعرفوا أن هذه الطينة ممكن أن تخرج منها كفايات اقتصادية عالمية. واتجهوا إلى مصر. وفتحوا الأبواب أمام عدد من الشبان المصريين الأكفاء.. ولو أن مصر بدأت في البنك الدولي برجل خامل من أهل الثقة لأقفلت الأبواب في وجوه جميع المصريين، ولما أصبح المصريون يرشحون لادارة أكبر المشروعات الصناعية في العالم!

يجب أن نقدم إلى الخارج «البضاعة الطيبة» من رجالنا فانها هي التي تفتح لنا نوافذ الدنيا!



لماذا يتألق شبابنا خارج الحدود ؟

لماذا يتألق شبابنا خارج الحدود ، و ينطفيء داخل بلادنا !؟ لابد أن هناك قوى خفية تشده إلى الخلف ، وتجذبه إلى تحت ! لابد أن البعض منا يعتبر الشباب الناجح هو من أعداء الشعب ، ولذلك يجب تحطيمه ، وإقامة العراقيل والمصاعب في طريقه !

وأنا أرى أن هذا النوع من البشر من أعداء النجاح هو أشبه بجراثيم البلهارسيا والانكلستوما ، يجب القضاء عليه ، فالمفروض أن نحمل الناجحين على رؤوسنا ، لا أن ندوسهم بأقدامنا !

في الولايات المتحدة الآن مئات من الشبان المصريين الناجحين . رأيت شابا مصريا يتولى منصب نائب رئيس مجلس إدارة أكبر بنك من بنوك أمريكا ، و يتقاضى مرتبا قدرة مائة وعشرون ألف جنيه في العام أي عشرة آلاف جنيه كل شهر ! .. ولو كان قد شغل وظيفة حكومية في مصر لما وصل مرتبه إلى أكثر من ٤٠ جنيها في الشهر !

رأيت شابا مصريا آخر يشغل منصب سكرتير عام شركة عالمية للطيران ولا يزال في الثلاثين من عمره !

رأيت في كل جامعة في أمريكا إما أستاذا مصريا ، وإما مدرسا مصريا ، وإما أستاذ كرسي مصريا !

رأيت أطباء مصريين يشغلون مناصب كبيرة في أكبر مستشفيات أمريكا ! كثير منهم يصل دخل الواحد منهم إلى سبعين أو ثمانين ألف جنيه في الشهر .. وأغلبهم لا يزالون في مقتبل العمر .. لم يصل واحد منهم إلى هذا المنصب بالمحسوبية أو الصداقة أو أنه قريب الوزير أو محسوب صاحب السلطة والنفوذ ، وانما وصلوا جميعا بكدهم وتعبهم وجهدهم وصبرهم وكفاحهم !

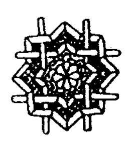
وقد رأيت الشبان المصريين في أمريكا ينشئون مسجدا ضخما ، وثماني كنائس قبطية في مدن مختلفة وأبديت إعجابي بأنهم فكروا كيف يشكرون الله على نجاحهم العظيم في بلاد الغربة !

وقالوا لي : لا ينقصنا التعبير عن اعترافنا بالجميل إلا أن نقيم تمثالا لمراكز القوى في بلادنا !

قلت في دهشة : مراكز القوى؟ ماذا فعلوا لكم ؟!

قالوا : لولاهم لما طفشنا من بلادنا .. ولما حققنا كل هذا النجاح !

قلت ضاحكا : لا شكر على واجب !



السفرجي سيد !

عرفت السفرجي «سيد» عندما كان يعمل في فندق سمر بلاس بالاسكندرية، ثم عندما كان يعمل في نادي السيارات في القاهرة.

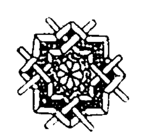
وكان رأسمال سيد هو ابتسامته الحلوة! كانت هذه الابتسامة تجذب الزبائن، وتشد الزائرين! رب ابتسامة تتكلم بلا صوت، تقول: «أهلا.. أهلا».. ورب نظرة قاسية تشتم الناس وتلعن آباءهم بغير كلام! ولكن ابتسامة سيد كانت تعرف كيف تحيي الناس وتريحهم وتحترمهم. وكان الناس يبحثون عن المائدة التي يخدم سيد عليها، ليجلسوا فيها. فلا شيء أجمل من أن تأكل وتجد وجها سمحا باسما يقدم لك الطعام! هذه البسمة كثيرا ما تجعل الطعام أشهى مما هو وألذ مما هو!!

وضاقت به الحياة بنادي السيارات. ولم يعد يجد البقشيش الكبير الذي كان يحصل عليه كل يوم، ولم ييأس. ولم يمض أيامه في الندب والشكوى، والتحسر على أيام زمان، إنما سافر إلى أمريكا، وعمل ساعيا. وفي أوقات فراغه اشتغل سائق سيارة. ثم أصبح بناء، ثم أصبح مقاولا! وأصبح سيد الآن يملك بيتا أنيقا بقرب نيو يورك وفي البيت حوض سباحة، ويملك سيارة كاديلات أنيقة يؤجرها للعرسان في الأفراح، وهو متزوج وله أولاد. وصحبهم من شهور إلى أسوان ليروا البلد الذي خرج منه سيد! وقد اشترى الآن أربعين فدانا في أمريكا سيقوم بزراعتها بنفسه!

ومع كل هذا فان سيد يحتفظ بعمله الأصلي كساع! ويقوم بكل هذه الأعمال التي تدر عليه الذهب في أوقات الفراغ! فهو لم يأنف من العمل البسيط، ولم يخجل منه، بل هو يعتز به، ولا يجد غضاضة في أن يخدم أشخاصا يربح أكثر منهم عشر مرات! فليست قيمة الرجل في «الدرجة» وإنما قيمته أنه يعمل، ويحب عمله، ويحترم عمله! أحسست أن سيد هذا صديق لي، أعتز به، وأفخر به، وأشعر أنه مثل طيب للشباب النوبي الأسمر، الذي ترك وطنه، واستطاع في المهجر أن ينجح، بفضل طموحه وذكائه وحبه للعمل..

إن «سيد» يعرف كيف يعيش في أمريكا.

لأنه يعرف كيف يعمل.



لا تمش في طريق الفشل إلى نهايته!

لا تمش في طريق الفشل إلى نهايته.. إذا شعرت أنك فشلت في عملك فلا تستمر في مزاولته. أبحث عن عمل جديد. ليس معنى الاستمرار أن تستمر في عمل لا تحبه، الناجحون هم الذين أحبوا عملهم والذين وصلوا إلى القمة هم الذين عشقوا هذا العمل. لا يمكن أن تجد طبيبا نابغا مثلا و يكره مهنة الطب! اسمعه وهو يتحدث عن الفرع الذي تألق فيه كأنه المجنون يتحدث عن ليلاه!

وليس معنى أن أقول لك انه يجب ألا تيأس، إنني أدعوك إلى البقاء في وظيفة لا تطيقها، وإنما أقصد أن أدعوك إلى أن تستمر في محاولا تك. أن تنتهز فرصة فراغك لتزاول عملا آخر. أو لتتجه اتجاها جديدا!

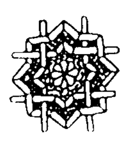
أذكر أنني منذ سنوات التقيت بزميل لي في المدرسة الثانوية بقي ١٧ سنة في درجة واحدة بمصلحة السكك الحديدية! طلب مني ان أتوسط له لدى مدير المصلحة ليمنحه علاوة مائة قرش فقلت له انني لا أتوسط لدى كبار الموظفين لمنح العلاوات. واقترحت عليه أن يستقيل من وظيفته و يشتغل عاملا! وأذهله رأيي. ثم استقال، وأصبح عاملا فنيا، و بعد عامين أصبح مرتبه وهو عامل ضعف مرتبه وهوموظف، و بعد خمسة أعوام تضاعف مرتبه خمس مرات! وندم صاحبي على السنوات التي أمضاها جالسا على مكتبه، و يزرر جاكتته كل صباح ليلقي تحية الصباح على رئيسه، و يقرأ الصحف، و يتناول إفطاره في مكتبه، ويحس بأنه من الحكام والناس العظام بينما لا يستطيع أن يجد ثمن طعامه اليومي..

إن صاحبي يرتدي البدلة الزرقاء.. ولكنه يشعر في ثوب العامل أنه أكثر استقرارا مما كان في ثوب الموظف الحكومي. يعلم أنه يستطيع أن يجد عملا في أي مكان لو فقد عمله الحالي. يعلم أن الدول العربية تتخاطف العامل المدرب، وتحتاج إليه أكثر مائة مرة مما تحتاج إلى الكاتب الجالس القرفصاء!

والتقيت بصاحبي منذ أيام. وقال لي إنه فتح ورشة، وإنه كسب في السنوات الأخيرة ما جعله يشتري عمارة صغيرة!

وسألته عن حال زملائه في مصلحة السكك الحديدية..

فقال لي: أخذوا العلاوات وزادت مرتباتهم ثلاثة جنيهات ونصف جنيه في الشهر!



لا تنظر خلفك!

جاءني يشكو مما أصابه! كارثته الكبرى أن أحدا لا يريد أن يسمع أنين المظلومين! فكل واحد منا يشعر أنه مظلوم، ولا يريد أن يحمل على رأسه هما فوق همومه الكثيرة!

قلت له: لا تنظر خلفك! اتجه إلى الغد. الغد دائما أجمل من اليوم، وأكثر جمالا من الأمس! لا تحدث أصدقاءك عن عذابك. حدثهم عن سعادتك! الناس تهرب من الدموع وتقبل على البسمات! ألم تلاحظ أن الاقبال الآن على مسارح الكوميديا أضعاف ما هو على مسارح الدراما والمأساة؟

الناس تكـــره أن نشركها في دموعنـــا وأحزاننا.. تضيق بنا إذا دعوناها إلى مأتم قلوبنا، وتلومنا إذا أغفلنا دعوتها في أفراحنا!

ألا يحدث أن تسأل صديقا: كيف حالك؟ فاذا أسرف في ذكر متاعبه وآلامه، ضقت به، وتمنيت لو أنك لم تسأله، وتتركه في حاله حتى يتركك في حالك!!

وتنهد صاحبي وقال: كيف أخفي أحزاني عن الناس وأنا أشبه برجل قطع الترام ساقيه؟ ثم تجيء تطلب مني أن أنسى أنني بلا ساقين؟ دون أن تقدم لى عكازا أتوكأ عليه؟

أنا مضطر أن أفتقد الساقين كلما أردت أن أعدو فأعجز. وكلما حاولت أن أمشي فأسقط على الأرض بلا حراك!

كثيرون منا يعيشون بساق مقطوعة، أو بذراع مقطوعة. ويحاول إخفاء عاهته على الناس، فتفضحه العاهة! ثم يحاول الواحد منا أن يقول آه.. فيضج السامعون و يقولون إن صرخات المظلومين تعكر عليهم سماع أصوات الموسيقى الراقصة!

قلت له إنني أعرف كثيرين خرجوا من الكابوس، و بدأوا يصفون الأحلام! حولوا الهزيمة إلى نصر، والهوان إلى محبة، والكابوس إلى حلم جميل! أعرف شابا في كلية الطب اسمه محمد عبدالعزيز.. اعتقل سنوات طو يلة في ليمان طره بلا ذنب ولا جريمة ولا تهمة.. واعتقلوا معه أهله جميعا.. كانت الموضة يومها اعتقال الابن والأب والخال والعم وزوج الأخت زيادة في التنكيل والارهاب. وتحمل محمد الظلم سنوات، ثم خرج من السجن، وسافر إلى انجلترا ودخل كلية الطب في جامعة أدنبره، أصبح الآن طبيبا مشهورا للأطفال في مدينة برايتون.

من حقك أن تقول آه! من حقك أن تغنيها، تلحنها وتغنيها.. ولكن اعمل شيئا وأنت تغني!

إيمانك بالله يعوضك عن الساقين المقطوعتين!



توفيق الحكيم
لا يصلح لإصدار جريدة!

المشكلة الكبرى التي تواجه الانفتاح هي المواصلات: التليفونات البايظة! البريد المتأخر! التلكس غير الموجود! رأيت في رحلتي إلى الولايات المتحدة و بريطانيا كثيرين من رجال الأعمال يريدون أن يتجهوا إلى القاهرة، ثم يضطرون إلى العدول عن هذا و يتجهون مرغمين إلى قبرص! نعم إلى قبرص التي بدأت تستعد لتكون عاصمة المال في الشرق الأوسط. ورجال المواصلات في بلادنا معذورون فإنهم ورثوا تركة خربة، ويحتاجون إلى أموال ضخمة لاعادة الانشاء، وظروفنا الاقتصادية سيئة نتيجة الحروب التي دخلناها وخسرناها ونتيجة التجارب الاقتصادية الفاشلة، ونتيجة حلول أهل الثقة محل أهل الخبرة! يجب أن نحصل على مبلغ ضخم لاصلاح مواصلاتنا فورا. الاقتصاد الجديد لا يؤمن بسياسة في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، وأن العجلة من الشيطان! الشيطان الآن أصبح يدير الاقتصاد العالمي! احصلوا على قرض ضخم للمواصلات، وسوف تسدده المشروعات الجديدة في عام واحد!

ثم هناك الادارات المتعارضة في اقتصادنا! لابد من وزارة واحدة للمال والاقتصاد. فرنسا قسمت هذه الوزارات، وفشلت التجربة فأعادتها إلى وزارة واحدة. يجب أن يوجد رجل اقتصادي واحد يشرف على الاقتصاد كله وفي يده كل الخيوط. توحيد الادارة الاقتصادية شرط لنجاح سياستنا الاقتصادية، حتى لا يشعر أحد أن هناك سياسات مختلفة. رئيس الوزراء يحاول أن يفعل ذلك الآن ولكن ليس من المعقول أن نحمل رجلا واحدا كل هذه الاختصاصات ولهذا يجب أن يكون لدينا رجل واحد للاقتصاد، يتفرع عنه عدة وزراء للمال والاقتصاد والتجارة والتموين والغلاء.

ثم هناك مسألة أخرى، اننا اليوم في حاجة إلى رجال سوق إلى جانب الأساتذة! التغييرات السريعة المتوالية في عالم الاقتصاد تستوجب أن نبحث عن الحلول في الحياة نفسها، أكثر مما نجدها في الكتب وفي النظريات!

إن توفيق الحكيم كاتب من أعظم كتاب العالم العربي، ولكنه لا يصلح لأن يدير جريدة!

ولا يمكن أن نجيء في أثناء المعركة بأستاذ في الاستراتيجية ليقود جيشنا. إننا في حاجة إلى علم الأساتذة، وإلى خبرة الخبراء وفي حاجة أيضا إلى سياسة اقتصادية واحدة.

—— *** ——

سجون أمريكا
ليس فيها مصري واحد !

كانت الدعاية الأجنبية قد صورتنا في العالم بصورة «البلطجي»! صورة رجل مشوه يحمل سكينا في فمه، وعصا ضخمة في يده، يهدد بتحطيم زينة كل فرح، وقطع الطريق على كل موكب، وساعدنا نحن بتصرفاتنا على نشر هذه الصورة الكئيبة عنا، وهذا يفسر إلى حد كبير الشماتة التي أظهرها العالم نحونا عند هزيمتنا في ٥ يونيو..

واستطاع انتصار ٦ أكتوبر ونجاحنا في استعمال سلاح البترول.. واستخدامنا العقل بدلا من اللسان في سياستنا الدولية، استطاع كل هذا أن يمحو صورة (العربي البشع) التي جعلت صوتنا ووجهة نظرنا تضيع في ضوضاء دعاية أعدائنا !

اليوم تغير كل هذا..

عندما يذهب الدكتور أشرف غربال سفيرنا في واشنطن إلى وزارة الخارجية الأمريكية، أو البيت الأبيض يستمعون إلى دبلوماسي محنك، لا يهدد، ولا يتوعد، ولا يلقي دروسا على كبار موظفي وزارة الخارجية الأمريكية في كيف يرسمون سياسة أمريكا الخارجية كما كان يفعل بعض سفرائنا السابقين.

وعندما يقف السفير عصمت عبدالمجيد مندوبنا في الأمم المتحدة يتكلم، يحس الأعضاء أنه مندوب دولة مسؤولة، وليس قائد مظاهرة يردد الهتافات والشعارات، وتسمع مندوبي الدول يقولون إنهم بدأوا يفهمون لأول مرة لغة العرب، عندما قلت الكلمات، وزادت المعاني، وخفت الشعارات وتضاعفت الحجج !

وفي نيويورك ناد للقناصل، أنشيء في عام ١٩٢٥ ولم يحدث مرة واحدة أن انتخب القناصل الأجانب رئيسا مصريا ! وفي هذا العام انتخبوا الدكتور عبدالهادي مخلوف رئيسا مصريا باجماع ٩٣ قنصلا ضد صوتين هما صوت قنصل جنوب افريقيا وقنصل اسرائيل.

وأصبحت الكلمة العربية تجد لها مكانا في صحف أمريكا واذاعاتها وتليفزيوناتها وبرلمانها، وهي مناطق كانت محرمة على العرب إلى سنوات قليلة !

ويجب أن نذكر أن ١٥٠ ألف مهاجر مصري يعملون كأنهم سفراء لمصر في أمريكا ! لا يكتفي الواحد منهم أن ينجح ويكون ثروة، بل يحاول أن يخدم وطنه، ويدافع عنه.. ولأول مرة أصبحت أشعر كأن لمصر ١٥٠ ألف سفير في أمريكا !

والشيء الجميل أنه مع هذا العدد الضخم من المصريين، المنتشرين في كل صناعة وكل ولاية لا يوجد مصري واحد في سجن أمريكا !

شيء واحد استوقف نظري ! عدد الذين قيدوا أسماءهم في القنصلية المصرية ٤ آلاف مصري فقط من ١٥٠ ألفا ! لقد كانت القنصليات المصرية في الماضي مهمتها أن تتجسس على المصريين، وتدبر لهم المكائد، وتتهمهم بارتكاب المؤامرات ! ولا تزال هذه الصورة تترك أثرها البشع في عقول شبابنا المهاجر، وسوف تحتاج إلى وقت حتى يتأكدوا أن القنصل المصري في كل بلد في العالم هو صديق المصريين وأخ لهم، وليس عدوا جاء ليقبض على أعناقهم، ويعيدهم إلى السجن المصري !

———***———

شبابنا وراء الحدود !

أحس بفخر وإعجاب ، وأنا أتابع شبابنا وراء الحدود، يزحفون إلى المراكز المرموقة، أو يصلون إلى الصفوف الأ ولى ، أويسيرون في شوارع النجاح .

فأنا مؤمن إيمانا عجيبا بقدرة الشعب العربي ، ومن رأيي أن أي عربي ينجح في بلادنا قادر أن ينجح بسهولة في أي بلد من بلاد العالم . فالنجاح في بلادنا شاق وصعب وشبه مستحيل . في الخارج طريق الناجحين مفروش بالرمل الأصفر والورود والرياحين وفي بلادنا نجد هذا الطريق مفروشا بالخناجر والسكاكين .

بينما نجد المواكب في الخارج تنتظر الناجحين لتلوح لهم بالأعلام، نجد نفس المواكب تنتظر الناجحين «بالشوم» لتضربهم على رؤوسهم أو تدوسهم بالأقدام !

النجاح في الخارج نعمة ، وفي بلادنا تهمة ! في الخارج تتلقف الناجح الاذاعات والصحف ومحطات التليفزيون ، وفي بلادنا تتلقفه البلاغات المجهولة ، والرقابة الادارية والنيابة الادارية ، وألسنة الذين لا يرحمون !

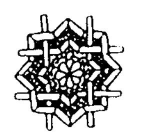
وأكبر معهد في أمريكا اليوم للعلوم السياسية هو معهد M.I.T في ماساسوتش وأستاذة العلوم السياسية بهذا المعهد هي الدكتورة نازلي شكري وهي فتاة مصرية عمرها أقل من ٣٠ سنة !

وأكبر محام في نيو يورك اليوم هوسابا حبشي ، و يعتبرونه حجة عالمية في عقود البترول ، وتستعين به شركات الزيت الكبرى في كل مشاكلها القانونية ، وهو لايزال يتغنى بمصر و بأيامها ، على الرغم من أن إيراده من المحاماة يبلغ حوالي المليون دولار في العام ، وعلى الرغم من أنه وضع تحت الحراسة ، وصودر بيته في القاهرة ، وأممت جميع الأسهم التي يملكها ! وقد استطاع بكفاءته أن يصنع ثروة جديدة أضعاف أضعاف التي خسرها في مصر!

ومن الطريف أن زوجته اشترت ذات يوم أسهما في شركات صناعية في الحبشة ، وتلقت حكومة الحبشة خطابا من حكومة مصر تطلب منها مصادرة أسهم زوجة سابا حبشي و بيعها وتحو يل مبلغها إلى مصر، لأن حكومة مصر وضعت زوجة سابا حبشي تحت الحراسة !

كل الذين ظلمناهم، أو أسأنا إليهم، أو جردناهم من أموالهم أحسنا إليهم من حيث لا ندري . كسبوا أضعاف ما أخذنا منهم ! الذين كانوا يربحون الألوف في مصر أصبحوا يربحون الملايين خارج مصر..

ولكن أهم من هذا كله أنهم جميعا يحنون إلى مصر، إلى أهلها . إلى جوها . إلى الحياة فيها .. حتى إلى صراخ الميكروفونات التي تمنع أهلها من النوم !



الأشجار من أعداء الشعب!

بعض المسؤولين في بلادنا يعتبرون الأشجار من أعداء الشعب، فكلما رأوا شجرة أسرعوا إلى قطعها!

في العالم ينفقون الملايين على زرع الأشجار، و يعتبرون الشارع بلا شجر هو صحراء قفراء! بعض البلاد تصر على أن يترك صاحب البيت مساحة أمام بيته يزرع فيها أشجارا!

ولكننا نحن نعتبر الأشجار مخلة بالآداب العامة!..

مرة يأمرون بقطع الشجرة خشية أن يقف اللصوص خلفها كما حدث في الزمالك من عشر سنوات!

ومرة يقطعون الشجر ليوسعوا الشارع كما حدث في الجبلاية.. ومرة منذ سنوات قطعوا شجرة لأنها أمام باب أحد المسؤولين، وخشوا أن يصعد لص على الشجرة و يسرق بيت المسؤول! و بدلا من أن يقاوموا اللصوص اكتفوا بمقاومة الأشجار وقطعوا الشجرة!

وتكررت المأساة هذا الأسبوع في شارع الحصن المتفرع من شارع النيل بالجيزة..

كانت الأشجار الضخمة تظلل المارة، وتضفي على الشارع جمالا وأناقة وروعة.. وكانت الأشجار قديمة وثمينة.

وكانت الأشجار مؤدبة، ولم يحدث أنها أخرجت لسانها لأحد كبار المسؤولين في المحافظة أو اصطدمت بسيارته!

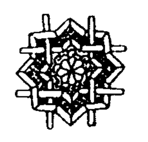
ثم جاءت شركة أجنبية، واستأجرت فيلا في هذا الشارع، ورأت الشركة أن هذه الأشجار الضخمة التاريخية تعوق وقوف سياراتها على الرصيف.

وطلبت الشركة الأجنبية من البلدية قطع هذه الأشجار قليلة الأدب ووافقت البلدية على قطع الأشجار مقابل خمسة جنيهات للشجرة الواحدة!

و بهذا ضربت البلدية عصفورين بحجر.. زادت إيرادات الدولة وفي الوقت نفسه أزالت عقبة ضخمة أمام الانفتاح.. وهي هذه الأشجار!

وقد تم قطع شجرتين حتى الآن.. ونرجو وقف باقي المذبحة!

إن الشعب مستعد أن يدفع خمسة جنيهات للبلدية لتلغي حكم الإعدام على كل شجرة!



النجاح قصة حب!

منذ ٣٧ سنة كنت محررا بجريدة الأهرام، وفي كل يوم كان يحضر إلى مكتبي شاب من قسم الاعلانات و يتخانق معي! يريد اختصار الجزء المخصص للتحرير وزيادة القسم المخصص للاعلانات، و يقول لي إن اعلان جوارب الشور بجي أهم ألف مرة من مانشيت الأهرام!

كان الشاب متحمسا لعمله الصغير، مواظبا عليه، يتحمل بصبر وأدب استهزاءنا بالاعلانات وقسم الاعلانات ومسيو اريجمان المدير العام للاعلانات!

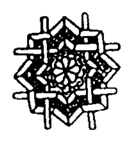
وانتقل الشاب إلى قسم الاعلانات المبوبة وأصبح في رأيه أن اعلان وظيفة خالية أهم من اعلان صفحة عن شركة أو نبأ عن استقالة الوزارة! ثم أصبح مديرا عاما للاعلانات، وأصبح مرتبه ١٣٠٠ جنيه في الشهر!

وفجأة أحس أن العمل في مصر فقد الاستقرار والأمان.. أصبح ينزعج كلما دق جرس بيته.. أصبح يخشى أن يجد نفسه بلا جريمة في السجن الحربي. ومنذ ١٤ سنة قرر أن يهاجر، وحصل على توكيل اعلانات صحف عالمية، ونجح. ثم درس مشروعا صناعيا في كندا، واشترى مشروع اختراع للأنابيب، وأنشأ مصنعا ونجح المصنع ونجح الاختراع، ثم باع ثلثي المصنع بمليوني دولار لشركة أمريكية، واحتفظ لنفسه بأسهم بمليون دولار، ورئاسة مجلس الادارة!

وأصبح أرنست الشاب الصغير الذي كان يجري وراء إعلان وظيفة وهو يعمل معنا في جريدة الأهرام.. أصبح الآن رجلا مرموقا في عالم الاقتصاد والمال في كندا.. وهو يملك بيتا أنيقا فيه حديقة وحوض سباحة وأربع سيارات!

وسر نجاح هذا الشاب أنه أحب عمله، وأخلص له، وتفانى فيه. كان يعمل وهو موظف صغير جدا بنفس الحماس الذي يعمل به وهو رئيس مجلس إدارة. كان يشعر أنه يملك الأهرام، وهو أصغر موظف فيها، ومرتبه لا يتجاوز عشرة جنيهات في الشهر. وكان يبقى في عمله إلى ساعة مبكرة في الصباح يتعلّم و يتدرّب و يعرق و يفكر و يبتكر، حتى وصل إلى الصف الأول. وعندما أحس أنه لا مستقبل له، لم يفكر في الألف وثلاثمائة جنيه التي يتقاضاها كل شهر، بل قرر أن يبدأ من جديد. وفضل أن يعمل في جو من الحرية والاستقرار من أول السلم، على أن يبقى فوق القمة في جو مزعزع مضطرب، مليء بالتهديدات والوعيد والتخويف والاشاعات والدسائس والانذار بالحراسة والمصادرة والرفت والتقارير السرية والإرهاب!

إن جو الحرية يصنع النجاح!



ابنتي تتزوج عاملاً !

سألني : هل تقبل أن تزوج ابنتك من عامل ؟

قلت : أقبل بالطبع .

وفتح فمه في ذهول !

ومضيت أقول له : إن العصر القادم هو عصر العمال ، وإنه خير لنا أن نعيش في المستقبل من أن نعيش في الماضي ! انتهى عصر الباشوات والبهوات . ثم انتهى عصر حاملي الدرجات العلمية ، وأقبل عصر العامل الفني .

ومن الأسف أن عقليتنا لم تستعد لفهم العصر الجديد ، وهذا يفسر إلى حد كبير الانفصال الشبكي الذي بين بعض عقليات اليوم التي لا تزال تعيش في جاهلية الشهادات العليا .

لا يوجد في أي بلد من بلاد العالم الآن الهستيريا السنوية الموجودة في كل بيت من بيوتنا ، كل أم وكل أب وكل أسرة أعلنت الطوارىء ، لمناسبة امتحان شهادة الثانوية العامة ! الأعصاب مفلوتة . الأبناء في حالة قلق نفسي . الآباء في شبه انهيار خشية ألا يحصل الولد أو البنت على المجموع المطلوب لدخول كليات الجامعة ! ان نتيجة هذا المجهود الهائل أن يخرج جيل يدمن شرب الشاي ، يدمن الصم بغير فهم ، يدمن كراهية العلم الذي يحشر الآن حشرا في الرؤوس .. ثم يدخل الشاب إلى الجامعة و يبقى ٤ أو ٥ سنوات ثم يخرج بعد ذلك ليحصل على وظيفة بخمسة وعشرين جنيها !

أغلب العمارات الجديدة التي نراها الآن تبنى يملكها رجال كانوا عمالا ! بعضهم بدأ سمكريا ! وثان سباكا ! وثالث كهربائيا ! ورابع عامل أحذية . كل واحد منهم جد وكافح حتى أنشأ ورشة صغيرة جدا ، ثم كبرت وكبرت إلى أن استطاع أن يبني عمارة من عشرة طوابق ، في كل طابق ٤ شقق ! بينما خريج الجامعة الشاب يبقى ثماني أو عشر سنوات خاطبا ، أو متزوجا بعقد ، ولا يستطيع أن يجد غرفة يبيت فيها . لأنه لا يملك خلو الرجل ، حتى لو وفر مرتبه لمدة عشر سنوات !

أغلب الذين يقيمون الآن الأفراح والليالي الملاح في هيلتون وشيراتون بدأوا حياتهم عمالا ، ثم أصبحوا « معلمين » أو تجار خردة أو مقاولين أو أصحاب ورش لإصلاح السيارات !

العصر القادم لن يفضل أبدا خريج كلية الطب أو الهندسة أو العلوم السياسية على السباك أو الكهربائي ! سنسمع أن ابنة الوزير تزوجت عاملا في مصنع الحديد والصلب ، وأن ابنة المحافظ تزوجت عامل نسيج في المحلة ! وسوف تكون الواحدة من هؤلاء أسعد كثيرا مع زوجها العامل ، من الأخرى التي تزوجت حاملا لنصف دستة دبلومات وماجستيرات ودكتوراه !

وسوف تعارض أسرة العامل في زواج ابنها من ابنة المحافظ لأن المحافظ منصب غير مضمون بينما عامل المحلة منصب مضمون وله مستقبل !



الحياة جميلة
بلا تهديد ولا وعيد !

كانت مضيفة مصرية في إحدى شركات الطيران في الستينات!

وكانت تحب عملها ، وتعشق السفر كل يوم إلى بلد مختلف . وكان الذين يسافرون معها على نفس الطائرة ، يشعرون بمتعة حقيقية حين يرون فتاة مصرية تتحدث عدة لغات بطلاقة ، وقادرة على توزيع ابتسامتها على المسافرين المتعبين كأنها ترش على وجه كل واحد منهم قطرات الكولونيا !

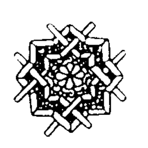
ولكنها كانت تعسة . كلما وصلت إلى القاهرة جاء لها من يقول : انك تحت الرقابة ! انك قلت نكتة على المدير الفلاني ، وهو محسوب رئيس الوزراء ، وهذا قد يؤدي إلى منعك من السفر! انك كشرت في وجه موظف الأرشيف الفلاني وهو ابن عم بنت خالة أحد أصحاب النفوذ في الشركة وهو قادر أن يمنعك من السفر! انك تعنين بملابسك أكثر من اللازم وهذا أثار غيرة المضيفة فلانة وهي صديقة الوكيل الفلاني ، وهي تهدد برفتك من الشركة ! انك شوهدت تمازحين راكبا بلجيكيا ، وأنت تعلمين أن العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بين مصر و بلجيكا ، والمفروض أن تكشري في وجه كل بلجيكي عقابا لهم على ما فعلوه في الكونغو بالرئيس لومومبا !

وأصبحت حياة المضيفة المصرية عذابا متواصلا ! ولا يعرف هذا العذاب إلا من كابد الحياة في دنيا التهديد والوعيد والانذار والتقارير السرية والدسائس والفتن والمؤامرات . كل المطبات الهوائية في الجو أثناء عواصف الطيران أشد استقرارا وأمانا وهدوءا من الحياة في جو الارهاب !

واستقالت المضيفة الممتازة ، وفضلت دخلا أقل من عمل متواضع في قرية بريف انجلترا ، بلا تهديد و بلا وعيد و بلا انذار ، على حياتها الفاتنة كمضيفة جو ية ! وسألتها ماذا أوحشك في مصر؟ قالت : خفة دم المصريين ! انك لا تجد في الدنيا كلها أخف دما من الشعب المصري .. نحن لا نضحك هنا إلا في الأعياد والمناسبات الرسمية !

تذكرت هذه المضيفة عندما رأيت مضيفة مصرية أخرى استقالت من عملها وذهبت إلى نيو يورك وفتحت ناديا ليليا باسم «أبيس» في موقع ممتاز بين شارع لكسنجتون وشارع ٥٠ ونجح النادي الليلي ، وأصبح مطعما شرقيا يتسابق إليه السفراء وأثرياء نيو يورك ، يستمعون للموسيقى الشرقية ، والرقص البلدي ! وتملك هذا النادي مضيفة الطيران السابقة سميحة قورة وشقيقتها سنية قورة .. لعلها تعلمت الرقص من سوء المعاملة في شركة الطيران لأن الطير يرقص مذبوحا من الألم !

إن اسم «قورة» يلمع الآن في نيو يورك !!



الوقت فلوس!

يوجد مثل أجنبي يقول: «الوقت فلوس» وعندنا مثل عربي يقول: «الوقت من ذهب» ولكننا لا نشعر في بلادنا بقيمة الوقت!

كان يزورني أحد كبار رجال الأعمال الأجانب وقال لي: إن أحد كبار الموظفين حدد له موعدا في الساعة الحادية عشرة ظهرا..

وذهب إلى الموعد قبل الوقت بخمس دقائق! وجاءت الحادية عشرة.. وربع.. ونصف.. وثلاثة أرباع.. والثانية عشرة.. ولم يدعه الموظف الكبير للدخول! إلا في الساعة الثانية عشرة والنصف!

والغريب أن الموظف الكبير لم يعتذر. ولم يبد أسفه. ولم يقل مثلا إنه استدعي فجأة لمقابلة رئيس الوزراء، أو أن أنبوبة البوتاجاز التي طارت في شبرا أصابت رأسه وأخرته عن الموعد!

وذهل الضيف الأجنبي. وقال: إن معنى ذلك أن هذا شيء عادي، وإن الوقت عندكم لا يعني أي شيء!

قلت: ربما كان السبب زحام المرور!

قال: في طوكيو ولندن ونيويورك الزحام أضعاف القاهرة ويحافظ الناس على مواعيدهم!

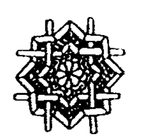
ومن الغريب أن هذا الضيف الأجنبي قال إنه كان يزور مصر منذ عشر سنوات، وكان الناس يحافظون على مواعيدهم أكثر مما يحافظون اليوم!

أي أننا في كل سنة نكون أسوأ في عاداتنا من السنة السابقة! وإذا أجرينا احصاء في الدولة والشركات فسنفاجأ بأن نسبة التأخير في الحضور تضاعفت عاما بعد عام!

لابد أن نبدأ مع الطفل في سنواته الأولى، ونعلمه أن يقدس الموعد، وضرورة المحافظة عليه!

متى يجيء يوم مثلا نرى إعلانا يقول: «هذه الخياطة تتعهد بالمحافظة على الموعد الذي تحدده لفساتين الزبونات! وهي ستدفع جنيها عن كل يوم تأخير»!

لو حدث هذا لأفلست جميع الخياطات في مصر!



الأرامل غاضبات!

منذ سنوات طويلة كتبت جريدة الأهرام مقالا في الصفحة الأولى بعنوان «الأهرام يطالب بتجديد شباب القضاة»!

وإذا بالمقال يظهر بعنوان «الأهرام يطالب بتجريد ثياب القضاة»! وقامت الدنيا وقعدت.. كيف تطالب جريدة بتجريد القضاة من ثيابهم!

وأرادت «الأهرام» مرة أن تثني على «همة» الشيخ الخضري أحد كبار العلماء.. وظهر المقال بأن «الأهرام» تثني على «عمة» الشيخ الخضري!

وكان فضيلة الشيخ الخضري له عمة كبيرة فعلا، وكانت هذه الغلطة المطبعية سببا لنظم عدد من القصائد في «عمة» الشيخ!

وأرادت جريدة أن تصف زعيما بأنه «قلب» مصر فنشرت أنه «كلب» مصر! وأخطاؤنا في الصحافة كثيرة بسبب العجلة، وبسبب الرغبة في اللحاق بالطائرات والقطارات والسيارات المنطلقة كالصاروخ إلى كل مكان!

وأمس كتبت في فكرة أن الغريب في الاسكندرية أن تصبح سعيدة كعروس البحر الأبيض عندما يسكنها أهلها فقط ثم تتحول العروس إلى أرملة تعيسة عندما تمتلىء بالغرباء!

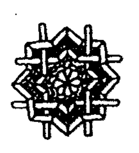
واستيقظت في الصباح فوجدت أن كلمة «تعيسة» سقطت من المقال فانصرف المعنى إلى غير ما أقصد! فلا أظن أن في الدنيا بطلة مثل الأرملة المصرية، فهي أكثر نساء الدنيا وفاء، وأكثرهن صبرا وصمودا.

لقد رأيت في حياتي أرامل كثيرات تحولن فجأة بعد وفاة أزواجهن إلى بطلات بكل معنى الكلمة! ولقد أشدت في مختلف المناسبات بقصص هؤلاء النساء اللاتي قاومن العواصف، وصمدن للخطوب، وارتفعن فوق الأزمات وإذا كان من طبيعة المرأة المصرية أن تبكي أكثر من غيرها فان قيمة دموعها أنها دموع حقيقية وليست دموعا مسرحية، وأنها في أوقات الشدة قادرة أن تجفف هذا النزيف الدموي وتضمد جراحها، وتقف تحارب وحدها في الحياة من أجل أولادها.

أعرف رجالا كثيرين تخلوا عن أبنائهم، ولكني لم أعرف أما واحدة تخلت عن أولادها!

إنني أعرف أن التي ربت الطفل اليتيم سعد زغلول هي أرملة اسمها مريم بركات، وأن التي قادت ثورة مصر بعد سعد أرملة اسمها صفية زغلول.. وأعرف أن في تاريخ كفاح المرأة المصرية ألوفا من الأرامل بنين ملايين من الرجال!

تحية لكل أرملة مصرية!

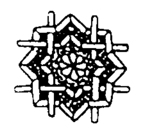


عبدالرحمن عزام

عرفت عبدالرحمن عزام، وأنا ولد صغير ببنطلون قصير، على مائدة سعد زغلول. كان سعد يستبقيه كثيرا للغداء والعشاء مع أسرته. وكان عزام يومها شابا ثائرا عربيد الأحلام! أصغر النواب سنا وأكثرهم حماسا. كان يحكي مغامراته الشائقة في حرب البلقان، وفي معارك القتال ضد الإنجليز والايطاليين دفاعا عن استقلال ليبيا. وكان يبدو لي كبطل من الأساطير وألف ليلة وليلة. كان طرزان يشتغل بالسياسة وكان يعارض اجراء مفاوضات مع الانجليز، و يدعو إلى قيام حرب العصابات، و يقترح أن يدعو سعد زغلول صراحة إلى إعلان الجمهورية! وكان يحلم بدولة عربية واحدة عاصمتها القاهرة، وتمتد من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي. وكان سعد زغلول يرى أن تتحرر البلاد العربية لتتحد وكان عزام يرى أن تتحد البلاد العربية لتتحرر! وكان سعد زغلول يقول له: إن صفرا+ صفر يساوي صفرا، ويجب أن نعمل على أن يكون كل واحد منا واحدا صحيحا ليستطيع اتحادنا أن يكون شيئا قويا. وأذكر أنه عندما قرر المليونير أحمد عبود إنشاء جريدة يومية باسم «الكشاف» اختار سعد زغلول عبدالرحمن عزام مديرا لتحرير الجريدة ليشرف على سياستها. وصدرت الجريدة ونجحت. وتقاضى عزام مرتبا ضخما لم تعرفه الصحافة قبله.. و بعد أسابيع قليلة اختلف مع عبود. عبود يرى أن تكون الجريدة معتدلة وعزام يصر على أن تكون متطرفة. ورفض عزام أن يغير رأيه وداس على المرتب الضخم، وترك الجريدة بعد أسابيع قليلة من صدورها، و بعد ذلك بوقت قليل أفلست الكشاف!

ورأيت عبدالرحمن عزام يقاوم اسماعيل صدقي في جبروته. والأزمة المالية تأخذ بخناقة. والحكومة تضغط على البنوك التي أقرضت أسرته لتعلن إفلاسها، وعزام يرفض أن يستسلم، وأذكر أن الملك فؤاد عرض عليه أن يكون وزيرا للحربية لينتزعه من المعارضة، ورفض المنصب، وطلبوا منه أن يفكر، وأعطوه مهلة أسبوع ليرد، وحددوا له موعدا في منزل توفيق نسيم باشا رئيس الديوان الملكي يومئذ ليبلغه رده. واستيقظ عزام في اليوم المحدد في منزله بحلوان، وليس في جيبه أجرة السفر في الدرجة الثالثة من حلوان إلى القاهرة، ومشى المسافة الطويلة على قدميه في عدة ساعات، ووصل إلى منزل رئيس الديوان في الحلمية ليقول «لا»! ثم بعد ذلك اتجه إلى النادي السعدي واقترض من الدكتور أحمد ماهر أجرة القطار إلى حلوان! وعاش فترة على الفول المدمس والطعمية، ولم يندم يوما على سنوات الفقر والجوع والتشرد. ثم أصبح سفيرا ووزيرا وأمينا للجامعة العربية، مرتبه أكبر من مرتب رئيس الوزراء، ورأيته في جناح فخم في فندق «بلازا» في نيو يورك وكان يتحدث بهوى غريب عن الأيام الحلوة التي كان يمشي فيها على قدميه من حلوان إلى القاهرة، و يعيش على الفول المدمس والطعمية!

وأظنه مات شقيا لأنه كان يتمنى دائما أن يموت في معركة!



أفضل أن يبدأ ابني كناسًا على أن ينتهي كناسًا !

بعض الناس يضيقون بالدعوة إلى انطلاق الشباب وراء الحدود.. يتحدثون عن المتاعب والمصاعب والعقبات التي صادفت بعض الشباب. و يذكرون حوادث الفشل والمطاردة وخيبة الأمل والهوان التي قابلت بعض الشباب الذين سافروا إلى أور با.

هؤلاء الناس هم الذين إذا سمعوا عن سقوط طائرة نصحوا الشعب بعدم ركوب طائرات، وإذا قرأوا عن اصطدام قطار طالبوا الركاب بالاضراب عن ركوب القطارات حفظا لحياتهم، وإذا شاهدوا تراما يدوس أحد المارة نادوا بمنع الناس من المشي في الشوارع حتى لا يحدث لهم ما حدث للرجل الذي داسه الترام أو الأ تو بيس.. و بهذه الطريقة نعود إلى عصر الحمير، ونعيش في تبات ونبات ونخلف الصبيان والبنات!

لا يوجد في الحياة اليوم شيء اسمه «الباب المغلق» ولا توجد مصاعد يركبها الشاب بدلا من أن يصعد على سلالم النجاح.

يجب أن يتعرض كل شاب لتجارب قاسية كل القسوة. يجب أن لا يرفض أن يبدأ بأعمال تافهة في فنادق الدرجة الثالثة. ولا يوجد في دنيا العمل شيء اسمه أعمال مهينة! أولئك الذين يرون أنه لا يتفق مع كرامة الشاب المصري أن يغسل الأطباق والصحون لا يعلمون أن الانسان الوحيد الذي لا كرامة له اليوم هو الخامل العاطل الكسلان الذي يعتمد على أهله ويمد لهم يديه كالمتسولين!

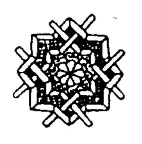
إنني أفضل أن يبدأ ابني كناسا على أن ينتهي كناسا! إن عملية حفر الأساس دائما هي أشق أعمال البناء وأكثرها تكلفة وتحتاج إلى وقت. أما عملية بناء الطوابق العليا فهي تتم بسرعة ولا تحتاج إلى نفس المجهود.

لا ترفض أن تنظف دورة المياه في محطة مترو الأنفاق في فرنسا. بعض وزراء فرنسا الحاليين بدأوا حياتهم عمالا ينظفون المراحيض!

ليس معنى أن فتاة مصرية عرض عليها في لندن أن تكون «مضيفة غرف نوم» ان كل فتاة مصرية في الخارج تعمل في هذا العار.

وليست أور با كلها كباريهات وأندية ليلية ومواخير وغرف نوم! فتيات مصريات كثيرات يعملن في المصانع والمتاجر والشركات.

إنني أقدر تماما حرص الآباء على توفير الراحة التامة لأ ولادهم. وان يحيطوهم بكل الضمانات بحيث لا يتعبون ولا يشقون ولا يتبهدلون.. ولكن يجب أن نعلم أنه لكي يقف المولود على قدميه لابد أن يقع عدة مرات. وإذا حرصنا على أولادنا من النسيم فيجب أن نغلق كل النوافذ وكل الأ بواب حتى لا يصاب أحد بالزكام. والطريقة المثلى أن أعرض ابني للهواء ليتحمل العواصف، وللفشل ليصل إلى النجاح، وللجوع لكي يعرف كيف يشق طريقه إلى الحياة! أما الذين يريدون أن يحملوا أولادهم على أكتافهم طوال الوقت فانهم يخلقون جيلا من المشلولين!



عاشور أصبح مليونيرًا!

سافر المهندس الزراعي الشاب إلى نيو يورك وهو يحمل بكالوريوس كلية الزراعة. لم يجد عملا للبكالوريوس! ولا عملا في الزراعة وإنما وجد وظيفة بواب في ملجأ العجزة الماسونيين الألمان!

ولم يتكبر على الوظيفة الصغيرة ولم يصر على أن يكون له مكتب يستقبل فيه العجزة، بل رضى بكرسي متواضع بجوار الباب.

وكان مرتبه متواضعا، ولكنه كان يوفر مرتبه، و يأكل و يشرب و ينام بالمجان في الملجأ..

ثم انتقل إلى مطعم صغير للفول والطعمية في مانهاتن يملكه أحد اللبنانيين. واستطاع بعد عام أن يشتري نصف المحل. و بعد نصف عام استطاع أن يشتري باقي المحل!

والفضل في ذلك أن اللبناني كان يشرب الخمر و يقامر، أما الشاب المصري فلم يذق قطرة خمر طوال حياته!

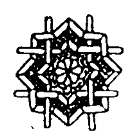
وأصبح محمد عاشور مشهورا في نيو يورك. وأطلق على مطعمه اسم «فلافل بلاس» أي قصر الطعمية! واستدعى من القاهرة زوجته معالي ابنة الشاعر الغنائي المعروف مأمون الشناوي. ووقف الشابان في المطعم يصنعان الطعمية و يقدمانها ساخنة للزبائن!

و بدأ الأمريكيون يحبون الفلافل.. واغتنى عاشور، وأصبح يملك سيارات أجرة، وعمارة، وشقة أنيقة، وحقق كل هذا في ٤ سنوات!

السر في هذا النجاح أن عاشور لم يحتقر الوظيفة الصغيرة. وانه كافح واجتهد وسهر وتعب وشقى واقتصد المليم فوق المليم، ولم ينفق دخله على السهرات و بنات العم سام! وقبل كل شيء لم يتباه ببكالوريوس كلية الزراعة و يشترط فور وصوله تعيينه وكيلا لوزارة الزراعة في أمريكا!!

في استطاعة كل شاب مصري، وكل شابة مصرية أن يفعل ما فعله عاشور ومعالي.

المهم أن تتعلم أن النجاح يكون بالصبر والاستمرار والعرق والجلد وعشق العمل.. حتى ولو كان هذا العمل مطعم طعمية!



البلد بلدنا كلنا!

يجب أن تعود الريح إلى الشراع. فورة الحماس التي بدأت منذ عامين لاعادة انشاء الدولة العصرية الجديدة يجب ألا تتوقف.

صحيح أننا مشينا إلى الأمام خطوات كبيرة وجبارة، ولكن العصر الذي نعيش فيه لا يؤمن بالمشي وإنما يستوجب الانطلاق.

نحن عندما نتلفت حولنا نجد أننا تحسنا في أشياء كثيرة. فتحنا نوافذ مغلقة، فتحنا أبوابا مسدودة، أضأنا الأنوار بعد الظلام الدامس، هدمنا السجون والمعتقلات، تحول الشعب الأخرس إلى شعب يتكلم بفصاحة وينقد ويعترض ويعارض.

وبعد أن كان الشعب يشعر بأن الحكومة «حددت الآمال» كتحديد الملكية «وحددت النجاح» كتحديد الأرباح وحددت الاقامة كما لم تحدد الأسعار! وبعد أن عاش الناس سنوات في سجن كبير، انتهى كل هذا. وتوحد الشعب مع الحكومة في آمال قومية جعلته يصنع معجزة ٦ أكتوبر التي لم تخطر على بال العالم كله..

ولكن لا يجوز أن نتصور أن هذا آخر المطاف، ولا أنه الحد الأعلى للنجاح. فاننا أثبتنا قدرة الانسان المصري المطحون على تحطيم سلاسله وتحويل الهزيمة التي لم يسبق لها مثيل إلى نصر لم يسبق له مثيل!

اننا حتى الآن لم ننقل رياح ٦ أكتوبر إلى سفينتنا الداخلية!

الريح تباطأت بعض الشيء، وإن كانت في الواقع تشبه الاعصار إذا قورنت بما كنا عليه في الماضي.

السفينة تلاقي في الطريق الصخور والعوائق، وهي ليست من صنع راكبيها الحاليين، وإنما هي من صنع الذين ألقوا بالعوائق في الماء ليتحركوا فوق السفينة بينما تتوقف السفينة!

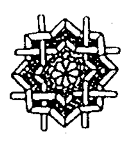
الآن يجب أن ندعو كل الشعب ليتحرك في دفع السفينة إلى الأمام. ان يعلم أن هذه ليست سفينة الحكومة، وانما هي سفينة كل واحد فينا إذا وصلت إلى الميناء سالمة حقق كل فرد منا أحلامه، وإذا غرقت غرقنا جميعا.

البلد الآن بلدنا كلنا. مصيره في يدنا وحدنا. كل موظف يؤخر ورقة إنما يؤخر مصر خطوة! كل عامل ينتج بضاعة سيئة يشوه وجه مصر وكأنه يلقي عليها طوبة!

لا نريد أن يقال إننا نشتري أسوأ الأشياء بأغلى الأسعار، بل نريد أن نعود للمفاخرة بجودة الصناعة المصرية!

لا نريد أن نعيش عالة على دول العالم في استيراد طعامنا، فقد كنا نصدر القمح والأرز، حتى وقت قريب، في يد الفلاح المصري أن يصبح هو العملة الصعبة!

وبهذا وحده نقود الريح إلى الشراع!



فيضان الإهمال !

ماذا تفعل إذا استيقظت في الصباح فوجدت المياه مقطوعة. لا تستطيع أن تستحم، ولا أن تغسل وجهك، ولا أن تصنع فنجانا من القهوة أو الشاي. وتحاول أن تضيء النور فتجد نفسك في ظلام دامس!

وتنزل من شقتك في الدور السادس وتركب سيارة إلى حي آخر لتغسل وجهك وتشرب فنجانا من الشاي، ثم تعود إلى بيتك فتجد المصعد معطلا لأنه لا توجد كهرباء. وقلبك مريض، والطبيب نصحك بألا تتعب قلبك بالصعود على سلالم طويلة! وفنادق القاهرة مزدحمة ولا تستطيع أن تجد غرفة واحدة خالية، ولا تستطيع أن تنام على مقعد في الشارع، لأن المحافظة نزعت جميع المقاعد التي كانت في الشوارع بحجة أنها اكتشفت أن العشاق كانوا يجلسون على هذه المقاعد، والناس يستريحون فوقها، والمفروض في أهل القاهرة أن يقفوا (زنهار) أو أن يمشوا ويتعثروا في الطوب والزلط والحفر!

ثم أنت لا تستطيع أن تمشي هائما على وجهك في الشوارع إلى الصباح لأن جيوش الذباب تملأ الشوارع!

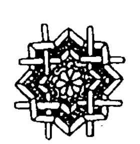
الحياة في أجمل عاصمة في الشرق الأوسط أصبحت لا تطاق. ويجب أن تعود بلدية القاهرة فورا، وتمنح سلطات مطلقة، ويكون من حقها فرض الضرائب، وتعقد قرضا ضخما لاعادة انشاء المدينة فتصلح الشوارع ومواسير المياه والكهرباء والتليفونات والمجاري..

يجب أن يكون لدى المشرفين على العاصمة الشجاعة بأن يعترفوا أنهم فشلوا، وأن المدينة تسير في كل يوم من سيء إلى أسوأ!

ويجب أيضا أن نعترف أن شركات التأمين التي نهبت العمارات من أصحابها فشلت في ادارتها، وأنها منذ أن تولتها ساءت المصاعد وساءت الصيانة وانقطعت العناية، وكل ما استفدنا من هذا أن مرتبات كبار موظفي هذه الشركات تضاعفت، ولم نسمع أن شركة منها بنت عمارة جديدة، ولا ساهمت مساهمة جدية في حل أزمة المساكن في الوقت الذي أصبح شباب هذا البلد بلا مأوى! ولو أننا انفقنا الزيادات الضخمة في مرتبات المديرين على إنشاء عمارات جديدة لأنشأت كل شركة من هذه الشركات عمارة كبيرة كل عام في كل مدينة في مصر!

وسوف يحتجون طبعا بالعملة الصعبة. كأن تعيين بواب في كل شركة يجيد اصلاح المصعد يحتاج إلى عملة صعبة... أو كأن الكناسين يحتاجون إلى عملة صعبة لتنظيف شوارع مدينة القاهرة! أو أنهم يحتاجون إلى عملة صعبة لجمع الطوب والزلط من الشوارع!

القاهرة تغرق في فيضان الإهمال!



نبدأ من القاع لنصل إلى القمة !

كان صديقي الطبيب المصري يمشي في شوارع مدينة أرهس بجوار كوبنهاجن، وهي مدينة الجامعات والمستشفيات والمتاحف في الدنمارك..

ورأى شابا ممسكا بعصا طويلة، في نهايتها مسمار مدبب، وكلما رأى ورقة شجر ملقاة على الأرض، غرس عصاه في الورقة، ووضعها في سلة في يده..

وتكرر لقاء الطبيب المصري بالشاب وتذكر أن هذا الوجه رآه من قبل، فاستوقفه وقال له بالانجليزية: لا أعرف أين التقينا قبل الآن؟

وأجاب هذا الشاب بالعربية: طبعا رأيتني في مصر!

وعرف الطبيب المصري أن هذا الشاب يعد رسالة دكتوراه في الفلسفة في جامعة الدنمارك، وأنه يقوم بما يشبه عمل الكناس في الشارع، من أجل أن يتم دراسته، وأن يسافر إلى فرنسا لاستكمال بعض المراجع.

هذا الكفاح المصري جديد على البعض منا، لا يزال بعض الآباء يعتبرونه إهانة لهم أن يعمل أولادهم مرمطونات وغسالي أطباق وجرسونات وشيالين في فنادق أوربا! كان المفروض أن تعرض دول أوربا على أولادهم مناصب الوزارة! إن شواين لاي قال أمامي إنه كان يعمل وهو طالب في باريس مرمطونا في مطبخ يغسل الصحون. وكان يفاخر بهذا العمل المتواضع.

ولم أشهد في حياتي رجلا كبيرا ولد كبيرا! كل الكبراء يبدأون صغارا وصغارا جدا، إن أنور السادات رئيس جمهورية مصر يفخر بأنه بدأ سائق سيارة وعمل شيالا! وأنا أؤمن بأن الوظائف الصغيرة جدا هي السلم الذي يصعد عليه النابغون. ولا أذكر أنني رأيت في حياتي رجلا كبيرا يولد بقرار أو مرسوم! فلنتعلم أن نحترم الوظائف الصغيرة جدا، ولنتأكد أن صبي الطباخ الذي يعمل أصبح في البروتوكول يتقدم ابن الباشا العاطل!

ولقد رأيت في مطعم فندق «ان اون ذي بارك» في لندن شابا مصريا اسمه عماد وديع، متخرج في معهد الفنادق، يعمل جرسونا، وهو يحمل على يديه الطبق، ويتحرك به بين الموائد وكأنه يرقص الباليه، ورأيت الزبائن الأجانب، وهم معجبون بكفايته وأدبه وإجادته للغة الانجليزية، ويدهشون عندما يعرفون أنه مصري، ويعلمون أن المصريين بدأوا ينافسون الايطاليين في خدمة الفنادق، وهو العمل الذي احتكرته ايطاليا سنوات طويلة. إنني رأيت الشبان المصريين وهم يشقون طريقهم في أوربا وهم يحسون بزهو وكبرياء وفخر أنهم يبدأون بالوظائف الصغيرة جدا، ويثقون في أنهم سيصلون إلى الوظائف الكبيرة جدا! ثم تذكرت البعض الذي لا يريد أن يبذل عرقا.. وإنما يريد أن يعرق كولونيا!

وهذا جيل ينقرض فعلا!

لابد أن تبدأ من القاع لتصل إلى القمة..

أما الذين يوضعون فوق القمة بقرار، فانهم يسقطون منها يوما بقرار!

***

جبرائيل تقلا صاحب "الأهرام" !

كل جريدة في مصر هي قلعة من قلاع الوطن، فاذا صمدت قلعة أمام الغزاة والمحتلين والفاتحين فهذا نصر لكل واحد منا. وعيد «الأهرام» المئوي هو عيد الصحافة العربية كلها. فلم تبلغ جريدة يومية في تاريخ مصر مائة سنة. لم تمت في مصر أبدا جريدة بالشيخوخة، صحف مصر عادة تموت بالذبحة الصدرية، أو يخرس الاحتلال الأجنبي لسانها، أو يقطع السلطان رأسها!

ولا يمكن أن نذكر «الأهرام» بغير أن نذكر أستاذنا جبرائيل تقلا صاحب الأهرام، الذي تعلمت منه الكثير، والذي له فضل التجديد والابتكار والانطلاق في صحافة مصر.

وقد أمضيت في «الأهرام» جزءا جميلا من شبابي.. نعمت فيه بأستاذيته وصداقته وفنه الصحفي. ولم تكن قيمة «الأهرام» في شبابنا أنها كانت تمنح الصحفي أكبر المرتبات، بل كانت من أقلها أجرا، حتى أنني دخلت فيها بمرتب ٢٠ جنيها في الشهر وخرجت منها بمرتب ٢٠ جنيها في الشهر بعد سبع سنوات لم أمنح فيها مليما واحدا علاوة! ولكني كنت أشعر أنني تلميذ في هذه المدرسة أتقاضى منها مصروفات بدلا من أن أدفع مصروفات!

وكانت ميزة «الأهرام» أنها الجريدة الوحيدة في مصر التي تدفع للمحرر مرتبه كاملا في آخر كل شهر! وكان بعض المحررين يقبضون مرتبهم من صحف أخرى بالتقسيط غير المريح أي يبلغ مرتبك ٥٠ جنيها في الشهر ولا تتقاضى منه سوى خمسة جنيهات! أو تتقاضى مرتبك نسخا من مرجوع الجريدة، تحملها فوق عربة كارو. وأعرف محررا في مجلة معروفة بدأ مرتبه بسبعة عشر جنيها في الشهر و بعد خمس سنوات وصل مرتبه إلى خمسة جنيهات في الشهر! أي أن المرتب ينقص كل سنة ولا يزيد!

وكان جبرائيل تقلا متقدما عن عصره. اتفقت معه على إدخال الصور الفوتوغرافية في «الأهرام» وتحمس للفكرة، ولكن أنطون الجميل رئيس تحرير «الأهرام» رفضها بشدة وهدد بالاستقالة، وقال إن نشر الصور لا يتفق مع وقار «الأهرام» ويحوله من مسجد إلى كباريه! وانتظرنا إلى أن سافر رئيس التحرير إلى أوربا في الاجازة، وأدخلنا الصور. وهاج أنطون الجميل وماج ثم نزل عند الأمر الواقع!

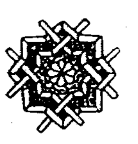
وكان أنطون الجميل أديبا مرموقا، ممتازا بأمانته وخلقه، ولكنه كان يكره أن يوقع المحررون بأسمائهم على مقالاتهم، وكان يرى ألا يظهر في الأهرام سوى اسم صاحب الجريدة ورئيس التحرير! وإذا سلمته مقالا لا يقرأ العنوان، وإنما يقرأ الصفحة الأخيرة من المقال، فاذا وجد فيها امضاء محرر طواه ولم ينشره. وهكذا لم ينشر اسمي في الأهرام سوى ست أو سبع مرات طوال سبع سنوات. وكان هذا شيئا يكسر القلب، وتعلمت من هذا الدرس عندما أصدرنا أخبار اليوم بدأنا تقليدا أن يوقع كل محرر، حتى أصغر محرر، وهكذا بدأت أسماء المحررين تزحف إلى صفحات الصحف.

ويجب أن نذكر كذلك بشارة تقلا بن جبرائيل تقلا الذي رأس مجلس إدارة الأهرام. وكانت المنافسة على أشدها بين «الأهرام» و«الأخبار» وكانت منافسة شريفة كأنها مباراة كرة قدم رياضية تجرى بيننا صباح كل يوم، دون

أن يكون فيها «فاول» أو دون أن يطلب أحدنا من «الحكم» أن يضع منافسه في السجن!

تحية لكل الذين يعملون في الأهرام. صغارهم وكبارهم. كل من وضع طوبة في هذ القلعة..

تحية لجريدة عمرها مائة سنة ومازال حلوة وشابة!



لا تستطيع أن تمشي وحدك !

أنت لا تستطيع أن تمشي وحدك في الحياة.. كل واحد منا بمفرده لا يستطيع أن يفعل شيئا. مهما يكن قادرا أو عالما أو صاحب مركز كبير.

لابد أن يكون حولك أصدقاء تعتمد عليهم و يثقون بك.. لست في حاجة إلى طرزان ليحميك. وإنما أنت في حاجة إلى من تسأله النصيحة فيصدقك. من تصارحه بمتاعبك. من تبكي على كتفيه. فأنت في الدنيا أشبه بمن يسير وحده في الظلام. تحتاج إلى إنسان يؤنس وحدتك. فأنت تشعر بالخوف وأنت تسير في الظلام وحدك. وتشعر باطمئنان ومعك انسان. وكلما زاد عدد السائرين معك تضاعف اطمئنانك.

ونخطيء إذا تصورنا أن مهمة الصديق أن يحمل معك همومك بلا مقابل.. لابد أن تعطي لتأخذ.. لابد أن تحمل همومه ليحمل همومك.. لابد أن تدافع عنه في غيبته، ليتلقى هو السهام دفاعا عنك. أما أن تطلب من الناس أن يصمدوا معك وتتخلى عنهم، أو أن يرفعوك على رؤوسهم فتدوسهم بالأقدام. فلن تجد في محنتك إلا من صنعت! إذا كنت صنعت الرجال فستجد الرجال، وإذا كنت فكرت في نفسك فقط وفي مصلحتك فقط فلن تجد حولك إلا الفيران!

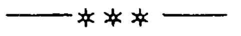
ولن تجد ناجحا واحدا وصل إلى القمة بغير أن يستند إلى صديق أو زوجة محبة أو حب إنسان، كل واحد منا مدين في حياته لأشخاص معروفين ومجهولين. مدوا له يدهم عندما وقع على الأرض. أضاءوا له شمعة عندما احتواه الظلام. قالوا له كلمة حلوة ومطارق الحياة تنهال على رأسه. أعطوه ابتسامة عطف والدنيا تكشر عن أنيابها في وجهه.

أنا لو جلست وكتبت قائمة بأسماء الذين ساعدوني في حياتي لاحتجت لمئات الصفحات.. وفي بعض الأحيان أشعر بأن هذه الديون تثقل كاهلي. أحاول أن أسددها بالتقسيط، لأشخاص لا أعرفهم، متمنيا أن أرد بذلك بعض الجميل للذين غمروني بجميلهم.

إنني مثلا أذكر أساتذتي الذين علموني في مراحل حياتي.. أذكر زملائي الذين خاضوا معي المعارك وصمدوا للعواصف. أذكر عمال «أخبار اليوم» الذين خرجوا يدافعون عن «أخبار اليوم» عندما هاجمتها المظاهرات الغاضبة احتجاجا على مهاجمتها إحدى الحكومات.. أذكر كل رجل وامرأة ثبتوا في «أخبار اليوم» مواجهين هجمات التتار! وأذكر أيضا كل من قال عني كلمة حق عندما كان الباطل هو أعلى الأصوات! أذكر الذين كان لديهم شجاعة الهمس. فقد كان الهمس في يوم من الأيام بطولة، يوم كان الهمس طريقا إلى المشنقة!

كل واحد منا يجب أن يعطي من قلبه ومن نفسه ومن اهتمامه للناس! ان هذا أشبه برصيد تضعه في بنك الزمن، وتستطيع أن تعتمد على هذا الرصيد عندما تواجه أزمات الحياة!

الأغنياء هم الذين لهم أصدقاء في الحياة.. أما الذين لا أصدقاء لهم فهم أفقر الفقراء! وأتعس الفقراء!



الشاب الذي استعار قميصاً ليقابلني!

طلب شاب من قرية من قرى الدقهلية أن يقابلني. ودعوته للقائي في مكتبي. وجلس على مقعد وكأنه كرسي الاعتراف. وأذهلني عندما قال لي إنه استعار القميص الذي يرتديه والساعة الذهبية التي يضعها في يده ليقابلني! كأنه تصور أنني لا أقابل شابا إلا إذا كان يرتدي قميصا جديدا أو ساعة ذهبية! ولم يكن يعرف أن الحفاة الذين ألتقي بهم أكثر كثيرا من راكبي الكاديلاك!

وقال إنه شاب يهوى الأدب والفن.. يقرأ كثيرا. يشتري الكتب نصف عمر لأنه لا يستطيع دفع ثمن الكتاب الجديد. لا يملك مكتبة، وإنما جاء بشوال من التي توضع فيها الأسمدة وجعله هو المكتبة التي يودع بها الكتب، وكم يفجع عندما يدخل الفأر إلى الشوال و يلتهم بعض الكتب التي يعتز بها!

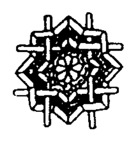
إنه يقرأ كل شيء. إذا وجد ورقة ملقاة على الأرض انحنى عليها وحملها وكأنها قطعة خبز والتهم ما فيها من كلمات! وإذا وجد كتابا ممزقا لم يتردد في أن يقرأ ما بقي فيه من صفحات ولا يهمه أن ليس له بداية ولا نهاية. يكتب القصص الطويلة والقصيرة والمسرحيات. يرسل إلى الصحف انتاجه ولا يرد عليه أحد بكلمة واحدة ومع ذلك يستمر ولا ييأس أبدا!

يحب التمثيل. التحق بقصر الثقافة بالمنصورة. مشكلته أن بروفات التمثيل تجري في المساء، والقطار الذي يسمونه القطار الفرنساوي الذي يمر بقريته يتوقف في الساعة السادسة مساء. ولو دفع كل يوم ٢٠ قرشا ذهابا وإيابا في تاكسي الأرياف لحرم نفسه وإخوته الثمانية من طعام العشاء! ولهذا يضع مرآة أمامه و يتمرن فيها على التمثيل والتعبير كل ليلة على ضوء شمعة!

هذا الكفاح العجيب أسعدني.. قصة المدرس الشاب جعلتني أرى كفاح جيل جديد من الفلاحين الذين يحملون الفئوس على أكتافهم، والذين شقوا وتعبوا حتى أخرجوا لنا جيلا جديدا من شباب لا يعرف التعب ولا اليأس!

إن الذي يقرأ على ضوء شمعة اليوم، والذي يسير على قدميه كل يوم ٥ كيلومترات إلى المدرسة التي يعمل بها. و يكتب ولا ييأس.. و يؤلف ولا يجد من يقرأ له.. الذي لا يخجل من أن يتحدث عن فقره، بل يفخر بقصة كفاحه وكأنه يروي أرقام ثروة طائلة ورثها.. والذي يتكلم عن دور أمه الفلاحة التي حرمت نفسها كل شيء لتمنحه فرصة للتعليم، والتي تقف إلى جانب زوجها الفلاح الذي يبلغ ٦٤ سنة في أسطورة كفاح هي أسطورة كل فلاحة مصرية.

كل هذه القصص جعلتني أعتقد أنني أمام شاب في طريقه إلى النجاح! إذا لم ينجح في التأليف فلابد أنه سينجح في التمثيل.. فقد أقنعني أن قصته حقيقية واقعية.. وليست مؤلفة!



في العجلة الندامة!

بنى قدماء المصريين الهرم الأكبر في عشرين عاما. ولو أن خوفو أراد اليوم أن يبني الهرم لاستعان بأحدث آلات البناء، و بالتكنولوجيا واستطاع اتمام الهرم في شهرين اثنين!

ولكننا لا نزال نبني أغلب عماراتنا على طريقة قدماء المصريين. ولو استمرت هذه الطريقة، فسوف تحل أزمة المساكن بعد مائة عام.. إذا قرنا الاستعجال!

وقال لي النائب السابق محمد عبدالرحيم عنبر إنه كان يزور أبوظبي أخيرا.. وذهل من السرعة الخارقة في شق الشوارع الجديدة وإقامة العمارات الشاهقة. وإن أحد المصريين هناك قال له ان معظم ما شاهده من هذه العمارات أقيم في فترة لا تتجاوز العامين، لأن العمارة تقام في شهرين.. وكثيرا ما مر صاحبنا في شارع يعرفه وظن أنه أخطأ في الشارع لأنه يفاجأ بعمارات ضخمة جديدة.

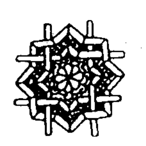
إن سر السرعة هو في الروافع الأوتوماتيكية الجبارة، التي ترفع الجدران المصنعة وتضعها في موضعها وكأنها تبني بيوت الأطفال الخشبية.. و بعد أن يتم وضع الجدران يوضع بينها لحام من الأسمنت، و يترك لبعض الوقت، وكلها مصنعة مسبقا بمقاسات عالمية.

ناطحات السحاب الآن تبنى في ٦ أشهر. ونحن مكثنا عشر سنوات نبني فندق ميريديان! عمارات كثيرة في القاهرة بدأت من خمس وست وسبع سنوات ولم تنته حتى الآن. ويجب أن نسابق الزمن. أن ننشيء فورا بنك العمارات. فيستورد البنك الجديد أحدث الآلات و يؤجرها للمقاولين. أن نشجع تأليف شركات المقاولات الصغيرة.

إن مشكلة المساكن لا تحل أبدا بالعقلية القديمة، ولا بالوسائل القديمة، ولا بطريقة التمويل القديمة.

نحن في حاجة لمن يقول لنا كيف يمكن أن يجد كل شاب وشابة بيتا يتزوجان فيه بعد فترة محددة. اننا نريد بيوتا بسيطة شقة من غرفة واحدة مع لوازمها. شقة من غرفتين تؤجر فقط للعروس التي تنتظر مولودا.

يجب أن نشعر بأننا جميعا نعيش في العراء عندما نجد مئات الألوف من الشبان لا يجدون مسكنا ولا كوخا!



إعلان عن الحانوتية!

كلما مشيت في الطريق الزراعي بين القاهرة والاسكندرية تذكرت سذاجة المسؤول الكبير في سنة ١٩٥٣ الذي عرض عليه مشروع أن يكون الطريق ضعف ما هو عليه، واعترض انه من غير المعقول أن يزدحم الطريق بالسيارات، و بعد أقل من عشرين سنة بدأنا نكتشف أنه كان قصير النظر فعلا! وقد ذكرني هذا بأن حكومة اسماعيل صدقي وضعت مشروعا لانشاء كوبري قصر النيل باتساعه الحالي، وقام الكتاب يشتمونه و يهاجمونه لأنه ينفق أموال الشعب على هذا البذخ، وأنه غير معقول أن تحتاج القاهرة إلى كوبري بهذا الاتساع!

واليوم أصبح الكوبري يختنق بازدحام السيارات بين الجيزة والقاهرة!

وعيبنا أننا نفكر في يومنا ولا نفكر في غدنا. ويجب أن نبدأ من الآن في توسيع طريق مصر الاسكندرية لأنه بعد ٥ سنوات سوف يصبح مزدحما كشارع.

ولاحظت أن بعض القرى على الطريق لا تضع لافتات بأسمائها! كأن المجالس المحلية فيها تريد إخفاء اسمائها عن الناس «لأن ما عندهاش ستات تقول أسماءها»! المفروض أن كل قرية يجب أن تخصص في نوع معين من الطعام. أن تقيم مطعما صغيرا نظيفا، تسافر له السيارات خصيصا من القاهرة لتتناول فيه هذا النوع المعين. قرية للحمام المشوي، قرية للبط، قرية للفول المدمس، قرية لخضروات معينة..

في الطرق الزراعية الكبرى كل قرية فيها مطعم تخصص في نوع معين من الطعام اشتهر به، وأصبح يحج إليه الناس من مختلف أنحاء الدولة!

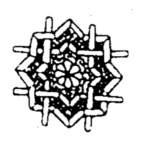
كل قرية يجب أن تضع لافتة بنوع مزروعاتها.. أو مصانعها. ودهشت أن قرية تتباهى بمقابرها فتركتها دون أن تقيم جدارا يخفيها كأنها تريد أن تقول إنها قرية الموت!

رأيت لافتة حقيرة مكتوبا عليها، «المنوفية ترحب بكم».. انها مكتوبة بخط سيىء و بذوق سقيم كأنها تطرد أي انسان يفكر في زيارة المنوفية!

لا يمكن ألا يكون في محافظة المنوفية خطاط يكتب بخط أحسن هذا الترحيب!

الطريق الزراعي يحتاج إلى أن يخلق من جديد أن يكون في كل بضعة أمتار منه مطعم أو محل تجاري.. أو بائع فاكهة..

ولا داعي لأن يكون الاعلان عن الحانوتية في الطريق!



ستري الشمس في منتصف الليل !

تصلني خطابات من رجال ونساء يهددونني بأنني إذا لم أستقبلهم في خلال ثلاثة أيام فسوف ينتحرون. وأنا لا أرد على هذه الخطابات، لأنني أكره التهديد والوعيد، وأحتقره. وأجد متعة فى أن أتحدى الذي يهددني بالإهمال !

و بطبيعتي لا أحترم الذي يريد أن يموت، ولكني أضع تاجا على رأس من يريد أن يعيش، من يهزأ بالمصاعب، من يواجه الضربات، من يثبت أمام العواصف والأعاصير.

الذين يريدون الهرب من الحياة لا يستحقون الحياة. وإنما يستحقها القادر على مواجهتها والمؤمن بالله. و يوم نفقد الايمان بالله يصبح خروجنا من الدنيا أكثر نفعا من بقائنا فيها.

وكل واحد منا مرت عليه لحظات سوداء في حياته. ضاقت به الدنيا. انسدت كل الأبواب أمام عينيه. و بعضنا فكر في أن يتخلص من الحياة، ثم انتصر على اليأس، وقاوم وناضل حتى حول الهزيمة إلى نصر، والفشل إلى نجاح. وعندما مرت السنوات وتذكرنا الأسباب التي جعلتنا نضيق بالحياة نضحك ساخرين من تفاهة عقولنا.

لا يوجد سبب أبدا يجعلك تفكر في الموت. انك بالصبر والكفاح والصمود والتحدي قادر أن تواجه أقوى الأعداء.

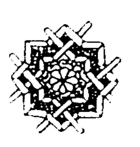
رجل واحد مؤمن قادر أن يصمد في مواجهة دولة !

رجل فقير معدم قلبه عامر بالايمان بالله أقوى وأغنى من أكبر بنك في مصر.

وإذا حدث ورأيت كل القوى تتوحد لتقتلعك من مكانك أو لتبطش بك فلا تهلع ولا تيأس. اصبر قليلا فالدنيا تدور. بشيء من الصبر سوف تجد الفراعنة تحولوا إلى أرانب، والجبابرة أصبحوا أضعف من الفيران.

تخطيء إذا تصورت أن هذا البؤس الذي تعيش فيه سوف يستمر، تخطيء إذا توهمت أن هذا المرض الذي تتعذب منه ليس له شفاء. اعلم أن الأرض كروية وأنها تدور. النهار يجيء بعد الليل، والنور يجيء بعد الظلام، الظالمون الذين يقبضون بأيديهم على رقبتك سوف تضعف أيديهم وترتعش وتتخاذل وسوف تجدهم ذات يوم تحت قدميك !

كل ما هو مطلوب منك هو أن تؤمن بالله وعندئذ سترى الشمس في منتصف الليل !



القيامة .. ستقوم غداً !

كانت الطائرة متجهة إلى الرياض والتفت حولي خمس مضيفات جميلات كلهن طالبات في جامعات مصر، يعملن في الطيران إلى جانب دراستهن في الجامعة.

قلن لي : هل صحيح أن القيامة ستقوم غدا!!؟

كان في صوتهن شيء من الفزع والرعب!

وقالت واحدة منهن إن عرافة أمريكية مشهورة تنبأت بأن القيامة ستقوم غدا. وإن هذه العرافة مشهورة بصدقها، فقد سبق أن تنبأت بأن الرئيس كيندي سيغتال في سنة معينة وتم الاغتيال فعلا في نفس العام الذي حددته.

وسبق أن تنبأت بأن الرئيس عبدالناصر سيموت في سنة ١٩٧٠ وحدث ذلك فعلا! وأن جريدة سعودية نشرت هذا الخبر الخطير، وإن كل واحدة منهن صدقت الخبر، وتريد أن تتأكد مني باعتباري خبيرا في الأخبار!

قلت لهن انني خبير في أخبار الأرض، ولكن لا خبرة لي بأخبار السماء! ودهشت أن كل واحدة منهن تتصور أنني رجل مطلع، وأنني أخفي عليهن حقيقة الخبر الخطير!

وعندئذ قلت مازحا: إن معلوماتي أن يوم القيامة سيحدث اليوم لا غدا وإننا في طريقنا إلى السماء!

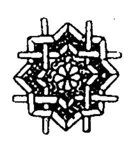
ولاحظت أن المرأة، حتى ولو كانت مثقفة، أكثر تصديقا للنبوءات وتفسير الأحلام وقراءة الفنجان وقراءة الكف من الرجل! وأغلب زبائن الأفاقين من مدعي معرفة الغيب من النساء!

أنا شخصيا لا أؤمن بأن في قدرة أي إنسان أن يعرف ماذا سيحدث غدا! إن الانسان يملك ماضيه وحاضره، والله وحده يملك الغد. ويحدث أحيانا أن نستنتج ما سوف يحدث غدا، ولكنه استنتاج مبني على التخمين.

أذكر وأنا طالب في الجامعة في أمريكا أن قارئة كف مشهورة قالت لي إنني سأجني ثروة هائلة من تجارة المواد الغذائية! وحتى الآن لم أحصل على مليم واحد من بيع رغيف! ولقد كانت الصحف الأمريكية تؤكد أنها أعظم قارئة كف في العالم وأنها قرأت كف الرئيس روزفلت. وقالت له أشياء كثيرة.

وحدث أن التقيت بقارئة الكف هذه بعد عشرين سنة وقلت لها إن شيئا مما قالته لي لم يتحقق وإذا بها تقول لي ببرود عجيب:

— يظهر انك لم تغسل يدك قبل أن تقدمها لي!



كيف ضاعت أموال مصر ؟

لماذا هذا الغلاء الفاحش؟ لماذا لا يجد الشباب غرفة يتزوجون فيها؟ لماذا مطلوب منا أن نربط الأحزمة على البطون؟ لماذا وصل اقتصادنا إلى درجة الصفر؟

لأن أموال مصر ضاعت! لأن ثروتها نهبت! لأننا بعنا الذهب واشترينا التراب! لأننا وضعنا الجهلاء في مناصب العلماء! لأننا أعطينا «الفار مفتاح الكرار»!

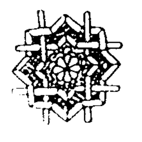
بين يدي كتاب خطير بعنوان «أموال مصر كيف ضاعت» مؤلفه فاروق جويدة المحرر الاقتصادي لجريدة «الأهرام» يكشف فيه الستار عن سبب المحنة التي نعيش فيها اليوم، كيف خسرنا ١٦ بليون جنيه في المعركة. كيف زادت تكاليف الكيلووات من انتاج الكهرباء بالسد العالي عن المعدلات العالمية بسبب تكاليف السد العالي المبالغ فيها؟ كيف أن معظم المصانع التي اشتريناها من الاتحاد السوفيتي من الدرجة الثالثة. كيف تخسر ٧٤ مؤسسة اقتصادية من القطاع العام ١٠٠ مليون جنيه سنويا تدفعها الحكومة من دم الشعب؟ كيف تعمل الحكومة في أشياء لا تفهم فيها مثل تربية الدواجن والعجول وشوي السمك؟ كيف أن شركة صناعية أنشئت في عام ١٩٦٤ وتم تغيير مجلس إدارتها ١٥ مرة وكل مجلس إدارة يأتي بسياسة جديدة وكانت النتيجة أن تخسر الشركة منذ عام ١٩٦٥ حتى الآن ٣٠٠ ألف جنيه في السنة! ان احتكار التوكيلات التجارية وقصرها على شركات القطاع العام أدى إلى أن شخصا لبنانيا واحدا حصل على عمولات في عمليات تجارية قام بها لحساب مصر بلغت في ١٠ سنوات ١٠٠ مليون دولار! وأن شخصا أمريكيا احتكر عمليات الوساطة في توريد الزيت والشحوم لمصر أكثر من ١٠ سنوات! وأن شخصا لبنانيا احتكر توريد القمح لمصر أكثر من ١٢ عاما.

وكيف أن رجال الأمن في أحد البنوك ضبطوا خفيرا على الخزائن وهو يحاول سرقة إحدى الخزائن. وحرر محضر في الشرطة بذلك. وقرر رئيس البنك فصله. إلا أن اللجنة الثلاثية التي تتشكل طبقا للائحة العاملين في الدولة قررت عدم فصل الموظف فما كان من رئيس البنك إلا أن طلب من الخفير أن يظل في بيته ويحصل على مرتبه كاملا.

وكيف أن الاتحاد السوفيتي يرفض التعامل مع شركات القطاع العام في مصر مباشرة و يصر أن تتم العمليات من خلال وسطاء مصريين يختارهم، حتى حقق أحد الوسطاء عمولة قدرها مليون وربع مليون جنيه في صفقة واحدة!

هذا الكتاب هو مذكرة تفسيرية لتأليف لجنة برلمانية فورا تبحث كيف ضاعت أموال مصر... حتى يعرف الشعب لماذا يعاني من هذا الغلاء الفاحش! وحتى لا تتكرر هذه المأساة مرة أخرى.

يجب إزالة أنقاض الماضي، فان إزالة أنقاض الماضي هي الطريق لرفع ناطحات السحاب في المستقبل.



الباطل لا يحتاج إلى سيف لتقطع رقبته!

إذا رأيت الباطل عملاقا شامخا، والحق قزما منكس الرأس، فلا تحزن ولا تيأس. ما تراه ليس هو الأحجام الحقيقية. إنها أحجام صنعتها أوهامنا ومخاوفنا.

أنت ترى الأشياء وأنت ترتعد ذعرا منها أكبر كثيرا من حقيقتها. فالباطل لا يحتاج إلى سيف لتقطع رقبته، وقد يحتاج إلى شكة دبوس لتقضي عليه، الذي يعطي الباطل حجما ضخما هو الأورام التي في داخله وليس اللحم والعضلات فيه. فالباطل هش. بشرط أن تصمد له، وتقاومه، وفي كثير من معارك الحياة لا تحتاج إلى أن تحارب، يكفي أن تثبت في مكانك. الباطل بطبيعته جبان ينقض على الذين يتضاءلون أمامه، و يتجبر على من يخافون منه.

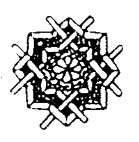
وكثيرا ما يستعين الباطل بقوى غاشمة، تبدو أمامك كأنها قادرة على أن تسحق. إن في يدك وأنت واقف في مكانك أن تستعين بقوة أكبر من سلطان الباطل وهي قوة إيمانك. كم من رجل ضعيف مؤمن استطاع أن يهزم طاغية جبارا. ولا تحزن إذا وقعت على الأرض في الجولة الأولى، إنك لابد أن تربح الجولة الأخيرة بضربة قاضية!

وعندما ترى مصارع الطغاة واحدا بعد الآخر تدهش كيف انهارت هذه الجبال الشاهقة. والواقع أنها لم تكن أبدا جبالا من حجر، بل كانت دائما جبالا من ورق. جبالا أقيمت بقرارات وهوت بقرارات! فقاعات ملأها الحكام بالهواء وعندما انقطع الهواء انكمشت وتحولت إلى خرق ممزقة! انهم أقوياء فوق الكراسي، والسياط في أيديهم، وأحكام الموت والحياة في شفاههم، وذهب الشعب تحت أقدامهم. وعندما انتزعت منهم السياط تحول الفراعين إلى أرانب، والسفاحون إلى فيران والآلهة إلى عبيد!

ولو أننا صمدنا من اليوم الأول لما تقهقرنا سنوات طويلة، ولو أننا انتزعنا السوط الأول من أول جلاد لما ضربوا شعباً بأسره بالسياط ولو أننا علمنا أن كلمة «لا» تستطيع أن تصد جيشا غازيا لأصبحنا ملايين من القلاع!

إن الباطل يكبر و يصغر بنسبة عكسية للذين يصمدون له، إذا صمدوا تهاوى.. وإذا فروا أمامه ملك كل الرقاب!

لا تشتر سيفا لتحارب به الظلم.. اشتر فقط علبة دبابيس!!



افتح يا سمسم !

أجمل ما في بلادي ناسها. انهم أجمل من شجرها وهوائها ونيلها، هؤلاء الناس البسطاء الطيبون. الذين يغضبون ولا يحقدون. يشفقون ولا يشمتون. يحبون ولا يمقتون. يساندون المظلوم. يعطفون على المقهور، يساعدون الواقع على الأ رض حتى يقف على قدميه. بينهم المنديل الذي يجفف دمع الحزين، و بينهم العصا التي يتوكأ عليها العاجز عن السير في الحياة. و بينهم الشمعة التي تضيء في ظلام الأ يام. والابتسامة التي تتحدى عبس الزمان!.

إنك دائما بين الناس تجد من يقف بجوارك. من يؤنس وحدتك. من يقتسم معك متاعبك.

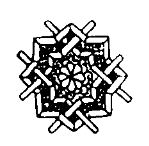
لا تتعجل. انتظر. سوف تنشق الأ رض في يوم ما ويخرج منها ذلك المارد الذي يحول ضعفك إلى قوة، ويجعل من عجزك قدرة. ومن مرضك صحة.

إنه ليس مخلوقا من الجن، وإنما هو أحد الناس الذي سيكون أشبه بنداء «افتح يا سمسم» في قصة المغارة في ألف ليلة وليلة!

إنك ستجد دائما أمامك في أوقات الشدة اناسا لا تعرفهم، يكونون من حيث لا تدري درعا تحميك أو مظلة تقيك من عواصف الأ يام، أو مخبأ تختفي فيه من غارات الزمن. وكل ما عليك أن تفعله هو أن تحب الناس. أن تعذرهم إذا أخطأوا، أن تسامحهم إذا أساءوا إليك، أن تمد يدك إليهم إذا وقعوا على الأ رض.

احذر أن تدوس على عنق واقع على الأ رض، احذر أن تعبس في وجه محتاج، احذر أن تصم أذنيك عن سماع استغاثة مسكين، إنك بذلك تفقد عضو يتك في بنك الحب والانسانية. وهو بنك له فروع في كل مكان، ولكنه لا يتعامل أبدا مع الحاقدين ولا مع الأنانيين، ولا مع الذين لا قلوب لهم.

ومن حسن الحظ أن الأغلبية الساحقة من أهل بلادي إذا أحبوا عشقوا، وإذا عشقوا أخلصوا، وإذا أخلصوا تفانوا.. ولهذا فان الله لن يتخلى عنهم أبدا.



رجال صغار في بلد كبير!

يجب أن نعود إلى الاهتمام بتعليم اللغات في مدارسنا. المستقبل لشبان يعرفون عدة لغات. وقد انتهى عصر اللغة الواحدة من سنوات طويلة!

إن سعد زغلول تعلم اللغة الفرنسية وعمره ٤٠ سنة، وتعلم اللغة الألمانية وعمره ٥٠ سنة، وتعلم اللغة الانجليزية وعمره ٦٠ سنة!.. فالعلم لا يتوقف عند سن معينة، ونحن عندما نطلب العلم من المهد إلى اللحد إنما نتكلم لغة العصر الذي نعيش فيه!

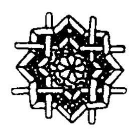
لقد تعلم سعد زغلول اللغة الفرنسية ليحصل على ليسانس الحقوق من باريس وهو مستشار في محكمة الاستئناف، وتعلم اللغة الألمانية وهو زعيم للمعارضة في الجمعية التشريعية عندما كانت تتوقع الدنيا أن الحضارة الألمانية ستغزو العالم، وتعلم اللغة الانجليزية ليعرف لغة العدو الذي يحارب به في ثورة ١٩١٩ وكان أستاذه في اللغة الفرنسية هو حسين رشدي باشا، وأستاذه في اللغة الانجليزية هو مكرم عبيد، أما أستاذته في اللغة الألمانية فهي فتاة في العشرين سنة لها قصة غريبة. فقد انتهز سعد زغلول وزوجته سفرهما إلى ألمانيا عام ١٩١٣ وطلبا فتاة تجيء معهما إلى مصر وتعلمهما الألمانية، وتقدمت الآنسة فريدا كابس. وعلمت سعد زغلول الألمانية قراءة وكتابة.

ثم قامت الحرب العالمية فنفاها الانجليز من مصر، وعندما تولى سعد زغلول رياسة الوزارة دعاها إلى العودة، وعملت وصيفة لصفية زغلول وأهدتها أم المصريين عقدا من اللؤلؤ بلغ ثمنه يومئذ عدة آلاف من الجنيهات مكافأة لها على أنها خدمتها ٣٠ عاما باخلاص عجيب. وبعد أن ماتت صفية زغلول رأت فريدا أن تعود إلى ألمانيا وتبرعت بهذا العقد الثمين للدفاع الوطني ثم ماتت وتركت بيتا صغيرا في الهرم وبيتا صغيرا جدا في حلوان وإذا بوزارة المالية تستولى على البيتين مدعية أن فريدا ليس لها أقارب، وكأنها تكافئها على تبرعها بعقد اللؤلؤ للدفاع الوطني وتكافئها على خدمتها التي شهد بها التاريخ لصفية زغلول وسعد زغلول! مع أن فريدا لها أخت مقيمة في ألمانيا الغربية ولها أقارب ومن حقهم أن يرثوا قريبتهم.

ولكن العقلية عند بعض الموظفين في المالية أن مهمتهم هي السلب والنهب، وأن «خبط» أموال الناس شطارة وتفان في خدمة الدولة! وهم لا يعلمون أن الدولة لا تخدم بهذا «الخبط» وأن مهمة الدولة أن تبحث عن الذين لهم مال عندها لا أن تتهرب منهم كالمماطلين والأفاقين!

إن هذه التصرفات الصغيرة تسيء لدولة كبيرة. تشد الحزام على بطنها لتدفع الملايين.. ولهذا فهي تتهرب من الملاليم.

هذه التصرفات الصغيرة هي تصرفات رجال صغار جدا في بلد كبيرة جدا!



ندق ناقوس الخطر!

تحولت مدينة القاهرة إلى صفيحة قمامة! أكوام الزبالة بجوار الشيراتون والهيلتون! عربة الزبالة تجيء بجوار حديقة الأسماك في الزمالك وتنقلب في الشارع باتفاق بين الزبال وأحد المتعهدين، فيملأ الشارع بالزبالة ليختار منها ما يريد وبينه وبين نقطة شرطة الجزيرة بضعة أمتار.

كل يوم ترتكب هذه الجريمة ولا يتحرك أحد! لا تعرف ماذا يفعل المشرفون على النظافة هذه الأيام؟ هل كلهم في اجازة؟ هل كلهم في بعثات إلى الخارج لتوسيخ عواصم العالم؟

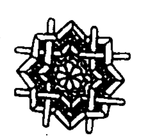
الأموال التي تنفق على النظافة ذهبت في يوم من الأيام إلى جيوب غريبة! سمعنا أنهم بدلا من المقشات اشتروا سيارات لكبار الموظفين وبدلا من المقاطف اشتروا مكاتب أنيقة لكبار الموظفين!

ثم نسمع أننا نفكر في إقامة مؤتمر سينما في العاصمة؟ ولست أعرف ماذا سنقدم لهؤلاء الضيوف. ليس عندنا قاعة الآن صالحة لعرض سينمائي محترم! سينما مترو أصبحت بغير بساط! مقاعد دور السينما محطمة! آلات التكييف معطلة! «الفرجة» الوحيدة هي المرورعلى أكوام الزبالة، والتفرج على الأرصفة المكسرة، والموضة التي تنفرد بها مدينة القاهرة دون عواصم العالم هي حفر الشوارع كل أسبوع بحجة إصلاح ماسورة أو تصليح كابل تليفون أو البحث عن المسؤولين عن نظافة القاهرة!

لا يجوز السكوت أبدا على الاهمال والقذارة والتهاون الموجود في مدينة القاهرة. لا نفهم أين تذهب ضريبة النظافة التي يدفعها سكان القاهرة. إن قذارة القاهرة سوف تسبب انتشار الأوبئة والأمراض وسوف تدفع آلاف الملايين ثمنا لهذا الاهمال، مما يمكن أن نوفره لو أنفقنا الآن بضعة ملايين في شراء ماء وصابون ومقشات وأدوات نظافة وفي تشغيل «البهوات» الذين يجب أن نبدأ بكنسهم إذا أردنا أن نكنس مدينة القاهرة!

كل ابن من أولادنا في خطر.

واجبنا أن ندق ناقوس الخطر.. قبل أن تلتهم القذارة أكبر عاصمة في الشرق الأوسط!



الذين غلبوا القنبلة الذرية!

سألت بعض أصدقائي اليابانيين كيف استطاع شعب اليابان أن يقف على قدميه بعد أن ألقت أمريكا القنبلة الذرية. وبدلا من أن يتحول إلى رماد تدوس عليه الأقدام أصبح عملاقا اقتصاديا ينافس الولايات المتحدة، حتى غمرت مصنوعاته أسواق العالم وأخذت تطرد أمامها كل الصناعات الأخرى!

قال لي أصدقائي اليابانيون إن السر الأول هو شعور العامل الياباني أو الموظف الياباني بالانتماء إلى المصنع أو المؤسسة التي يعمل فيها. يحس بفخر في الانتماء إليها. يحرص على سمعتها واسمها وعلى جودة انتاجها. يتحمس لها كما يتحمسون في مصر للنادي الأهلي ونادي الزمالك!

أنظر إلى هذه الفرحة التي تملأ المدينة عندما يصيب النادي الأهلي هدفا... هناك يتظاهر العمال فرحا لأن مصنعهم أصاب هدفا من أهداف الانتاج!

إنك تستطيع أن تسب موظفا يابانيا وتشتمه، فيتلقى شتائمك بأدب وهدوء، ولكن إذا حدث وهاجمت المصنع الذي يعمل به، أو شتمت المؤسسة التي ينتمي إليها احمر وجهه وانتفض وغضب كأنك أهنت شرفه! فهو يعتبر العمل الذي ينتمي إليه هو بيته، وهو وطنه، يدافع عنه ويحارب من أجله، و يعتبر كل نجاح يحققه المصنع نجاحا شخصيا له.

إذا مشى الموظف في فناء الشركة ورأى ورقة ملقاة على الأرض انحنى عليها وحملها واتجه إلى سلة القمامة ووضعها فيها. لا يتردد في أن يقوم بمهمة كناس وهو مدير للشركة! ذلك أن انتماءه للشركة يجعله يحرص على نظافتها ومظهرها، وكأنها بيته!

ولقد كان المصري في وقت من الأوقات مشهورا بهذا الانتماء. يتعصب للمحافظة وللمدينة وللقرية وللشارع وللحارة! ثم في السنوات الأخيرة أصيب بعضنا بشعور اللامبالاة! لم يعد بعضنا يحس بهذه الرابطة المقدسة التي تربطه بهذه الأمكنة كأننا أجانب عنها، وكأننا لسنا قطعة منها!

إننا يجب أن نعلم أنفسنا الانتماء من جديد ونبدأ بالمدرسة، و بالشارع، و بالحي..

إن الذين لا ينتمون إلى أحد... لا ينتمي إليهم أحد ولا يحسب لهم أي حساب!

يجب أن نتعلم درسا من الذين استطاعوا أن يغلبوا القنبلة الذرية!



لست وحدك!

لا تخف! إذا تألبت كل قوى السلطان عليك والحق معك فأنت لست وحدك. مادام الحق معك فالله معك، ومن معه الله قد يخسر المعارك الأولى، ولكنه لا يخسر المعركة الأخيرة أبدا!

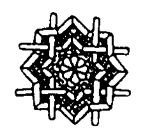
جاءني اليوم رجل خائف، وقف مع حق رجل ضعيف ضد باطل ظالم قوي. وقد سمع أن الظالم له أعوانه، والأعوان لهم نفوذ وسلطان، وهو يخشى أن يلفقوا له تهمة أو يدسوا اسمه في مؤامرة، أو يشيروا إليه في تقرير سري، فيذهبوا به وراء الشمس انتقاما لموقف شريف وقفه، وكلمة حق قالها!

قلت له إن سيادة القانون أنهت عصر التلفيقات والتقارير المزيفة والمؤامرات الوهمية. انك تتكلم بلغة زمن مضى، كأنك تركب حمارا في عصر الصواريخ! انتهى الزمن الذي كانوا يدسون فيه قطعة الحشيش في جيب بريء و يقدمونه ظلما إلى محكمة الجنايات، ثم تطورت بعد ذلك قطعة الحشيش فأصبحوا يدسون في جيبه مؤامرة انقلاب أو تهمة سياسية، و يقدمونه إلى محكمة استثنائية تحكم عليه أخذا بالشبهات ونزولا على الحكمة القائلة كل مصري مجرم حتى ولو ثبتت براءته!

لن يجرؤ أحد اليوم على كتابة تقرير كاذب، أو تزوير اتهام ملفق، انهم يعرفون تماما أن أحدا من كبار المسؤولين اليوم لم يعد يأخذ بالتقارير، لأن المسؤولين يعرفون كيف كانت تكتب التقارير وتزيف التقارير..

إن العدالة المعصوبة العينين ليست مغلولة اليدين، انها لا تميز بين كبير وصغير، بين صاحب نفوذ ورجل من الشارع، انها لا تتردد في البطش بكل يد تحاول أن تلفق تهمة لبريء أو تنتقم من مظلوم عقابا له لأنه قال: أنا مظلوم!

في عصر النور لا مكان للهمس ولا للذين يهمسون!



استقلال الجامعة!

نحن نؤمن باستقلال الجامعة. ولكن ليس معنى استقلال الجامعة أن يرفض أستاذ في الجامعة أن يدلي بأقواله أمام النيابة.

وليس معنى استقلال الجامعة أن يقرر مجلس إحدى الكليات ترقية أستاذة مساعدة في الكلية إلى درجة أستاذ، فيكتب رئيس المجلس تقريرا يقول فيه: «يرى البعض ترقيتها إلى وظيفة أستاذ» ويخفي عن مجلس الكلية أن هذا «البعض» هو أغلبية المجلس المكونة من خمسة أساتذة!

وليس معنى استقلال الجامعة أن يعقد مجلس كلية اجتماعا فلا يحضره سوى ٩ أساتذة من ٢٢ أستاذا! وإذا بالمحضر يسجل أسماء أساتذة غائبين عن الجلسة أنهم حاضرون!

و يعتذر عميد الكلية عن هذا التزو ير بأن أستاذة حضرت جزءا من الجلسة ثم خرجت، وأن أستاذا كان موجودا في الكلية أثناء اجتماع مجلس الكلية و وعد بالحضور وانتهت الجلسة قبل أن يحضر «وقد جرى العرف في السنوات السابقة في مثل هذه الحالة أن مجلس الكلية يعتبر الأستاذ الموجود بالكلية حاضرا إذا وعد عميد الكلية بهذا»!

هذا ليس نكتة ولا قفشة ولا تشنيعة إنما هو كلام رسمي منقول عن محضر رسمي مطبوع لاحدى جلسات مجلس كلية إحدى جامعاتنا!

إن الاعتداء على حق أصغر أستاذ في أي كلية في الجامعة هو الذي يفتح الباب للاعتداء على استقلال الجامعة كلها!

إن واجب كل أستاذ في الجامعة أن يهب للدفاع عن حق كل مدرس صغير مظلوم في الجامعة، لأن السكوت على ظلم أصغر موظف في الجامعة سوف يؤدي في يوم من الأ يام إلى ظلم كل أستاذ في الجامعة وكل مدرس في الجامعة وكل طالب في الجامعة!

لا يصنع الطغاة .. إلا العبيد!



الصليب يعانق الهلال !

منذ يومين أقيم سرادق بجوار مسجد عمر مكرم، يتقبل العزاء في شهيدين من شهداء الثورة الفلسطينية. الشهيد الأول الحاج فايز جابر وهو مسلم والشهيد الثاني جايل ناجي العرجا وهو مسيحي.

وكان الشيخ محمود البنا المقرىء يتلو آى الذكر الحكيم، ثم يتلوه قسيس من كنيسة دير الملاك فيلقي عظة.

وكانت أسرتا الشهيدين تقفان معا وكأنهما أسرة واحدة تتلقى العزاء في الشهيد المسيحي والشهيد المسلم على السواء..

وهذه هي مصر !

مصر التي تعانق فيها الصليب مع الهلال. التي خطب فيها في ثورة ١٩١٩ القسس في المسجد، وعلماء الأزهر في الكنائس!

مصر التي لا تعرف التعصب، تؤمن بالله وترفض أن تفرط في وحدتها، التي كانت وستبقى مضرب المثل في الايمان الحقيقي. فالايمان لا يعرف التعصب، و يرفض بشدة أن يضرب العربي شقيقه العربي بالرصاص لا لذنب إلا لأنه ولد وهوينتسب إلى دين آخر!

إن ما يجري في لبنان اليوم هو درس لكل من يحاول أن يعبث بالوحدة الوطنية، فان لبنان وقف على قدميه وطوائفه متحدة، وركع مثخناً بالجراح وهو طوائف متنازعة متباغضة!

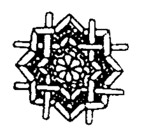
إن كل رصاصة في أي بلد عربي يطلقها عربي بدين معين على عربي بدين آخر هي رصاصة موجهة إلى قلب الشعب العربي!

يكفي أن نعلم أن اسرائيل تنشر الآن في أنحاء العالم صورما يحدث في لبنان على أنه دليل همجية العرب وتعصبهم.. والمسيحيون والمسلمون في لبنان أبرياء من هذا الاتهام فالذي يجري فيه ليس حربا بين طوائف، ولكنه في الواقع خطة وضعتها اسرائيل، وجدت عربا يقومون بتنفيذها، وهم يعلمون أولا يعلمون!

وإذا كانوا يعلمون بما يفعلون فهذه مصيبة!

وإن كانوا لا يعلمون فالمصيبة أكبر!

وهم على أي حال مصيبة على الوطن العربي!



حميدة الخياطة!

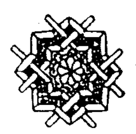
عندما ينجح الرجل في بلادنا ينسى عادة أن ينظر خلفه و يشير إلى امرأة وقفت وراءه، أمه أو زوجته أو حبيبته، كان لها فضل كبير في نجاحه! أما إذا فشل فلا يتردد في أن يمسك بخناق أول امرأة بجانبه ويحملها وحدها مسؤولية فشله وإخفاقه وخيبته في الحياة!

ولقد رأيت في حياتي كثيرات من النساء المجهولات لعبن دورا كبيرا في نجاح رجال كبار، أعطين ولم يأخذن. رأيت امرأة بنت ناطحة سحاب، ولم تسكن فيها، ووقفت من بعيد ترقبها وهي تزدحم بالخارجين والداخلين! وكان ناطحة السحاب هذا رجلا معروفا. وقفت هذه المرأة بجواره في أيام فقره وكفاحه. كانت تعمل خياطة لتجمع النقود الكافية لتعليمه.. واضطر يوما لاجراء عملية جراحية خطيرة فباعت كل مصوغاتها لتدفع له مصاريف الجراحة والعلاج.. أعطته أجمل عشرين عاما من حياتها، وعندما وصل، رفسها بقدمه وتزوج من ابنة أحد الكبراء! ورفضت حميدة الخياطة أن تفتح فمها أو أن تطالبه بثمن شبابها الذي قطفه، أو تطالبه بإعادة الأموال التي أنفقتها عليه. وعرف صحفي بقصتها فذهب إليها يعرض أن يشتريها بمائة جنيه ورفضت.. وخرجت بعد إنصرافه تبيع آخر حلة نحاس في غرفتها لتشتري طعام الأسبوع!

يوجد بيننا بطلات كثيرات مثل ست حميدة الخياطة، كل واحدة منهن كانت بجوار رجل كبير.. «الفرملة» إذا اندفع، والبنزين إذا توقف! والنور إذا أظلمت الدنيا، والدنيا إذا تخلى عنه كل الناس! إذا تعثر سندته.. وإذا تردد دفعته إلى الأمام، وإذا يئس ملأت حياته بالأمل! كل رجل يكافح في الحياة أشبه بالمطرب في حاجة إلى سميعة!.. في حاجة إلى امرأة تقول له «الله» ليبرع و يطرب و يشدو.. والرجل بغير امرأة بجواره أشبه بمطرب بغير سميعة، يغني لنفسه، و ييأس و يكتئب و يتوقف عن الغناء!

كل ما هو مطلوب من الرجل الناجح أن ينحني شكرا للسميعة.. الذين صفقوا له وهتفوا وقالوا له «الله»!

ولكن البعض منا يدير ظهره لمن دفعوه إلى الأمام!



نهاية ظالم!

أعرف صاحبا لي كان يشغل منصبا كبيرا، وفوجيء ذات يوم بقرار بإحالته إلى المعاش. ودهش صاحبي. إنه موظف كفء مستقيم يؤدي واجبه بذمة وإخلاص، و يشهد له رؤساؤه بالهمة والنشاط!

وقيل له إن جريمته أنه كان يجلس مع بعض الساسة القدامى طوال اللسان، وأن أحدهم انتقد أحد مراكز القوى.. وأن صاحبي هز رأسه! وأن أحد أهل الثقة كتب تقريرا سجل فيه جريمة الخيانة العظمى!

وأراد صاحبي أن يرفع قضية فنصحه أصدقاؤه بأن يحمد الله على الاحالة للمعاش فقط، وأنه لوفتح فمه بالاحتجاج فسيجد نفسه في المعتقل!

وسأل صاحبي عن معاشه فقيل إنه ليس له معاش وقبض مكافأة قدرها ٩٠٠ جنيه. وفتح بها ورشة صغيرة يعمل بها في صمت وهدوء. وفتح الله عليه، وأصبح بعد عشرين سنة يملك ست عمارات كبيرة في أجمل أحياء القاهرة!

ولو أنه بقي في وظيفته لما استطاع أن يقتصد في عشرين سنة ثمن شقة واحدة!

وأحس أنه مدين لهذا الرجل الجبان الذي وشى به، وأن هذا الرجل أراد أن يضره، فنفعه. وأراد أن يرتفع فوق جثته فرفعه الله! وكان أكثر ما يحزن قلبه أن الذي وشى به هو من تصور أنه من أعز أصدقائه!

وخطر بباله أن يذهب إلى صاحب التقرير و يشكره على هذه الوشاية!

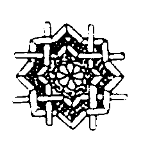
و بحث عنه فعلم أنه كوفيء على وشايته بأن رقي عدة درجات. ثم أصابته هو الآخر وشاية كاذبة هوت به من حالق، وذبحه القدر بنفس السكين التي ذبح بها صاحبي..

وعرف صاحبي أن القدر لم يكتف بحرمان الواشي من منصبه الكبير الذي صعد إليه فوق جثة صديقه. بل أفقده الثروة التي كونها من استغلال النفوذ!

وأن اليد التي كانت تكتب التقرير توقفت عن الكتابة وأصيبت بالشلل!

كل ما هو مطلوب منك أيها المظلوم أن تصبر وأن تؤمن بالله.

الايمان بالله يمنحك الصبر.. ونحن بطبيعتنا نتعجل الأمور. نتصور أن العدالة مثل الطائرات تعمل في مواعيد معينة! ولكننا ننسى أن الطائرات تتأخر أحيانا في مواعيدها وأحيانا يخطفونها في الطريق!



فلنحترم الرأي الآخر !

معنى الديمقراطية أن يشعر كل مواطن مصري أنه ملك في بلاده! الدستور قصره والقانون حرسه والحكام حاشيته والعدالة قلعته!

ولكي تكون ملكا في بلادك يجب أن تحرص على حرية كل مواطن كما تحافظ على حريتك. وأن تعتبر الاعتداء على مواطن مصري واحد اعتداء على الأمة كلها! فليست الحرية هي حريتك وحدك، ولا هي حرية أصدقائك وحدهم، ولا حرية الأغلبية وحدها، بل هي حرية كل فرد في هذه الأمة سواء أحببته أم كرهته، سواء كان معك أو كان ضدك. ولو أجمع الشعب كله على رأي واحد، وخالفه فرد واحد، فيجب أن نعطي هذا الفرد الحق الكامل في ابداء رأيه وفي الدفاع عن نفسه.

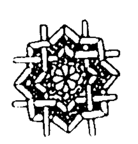
وكل الأخطاء المميتة التي وقعنا فيها كانت نتيجة طبيعة لأننا صادرنا الرأي الآخر، وأبينا إلا أن نسمع صوتاً واحدا، وتوهمنا أننا على حق عندما أخمدنا كل صوت يعارضنا، وأخرسنا كل رأي يخالفنا، والرأي الآخر هو أشبه باشارات المرور في الطرق تحذرنا من مزلقان، أو تنصحنا بتهدئة السرعة، أو تطلب منا أن نحترس من خطر في طريقنا. وبغير هذه الاشارات التي تضايقنا أحيانا يصبح الطريق منذرا بالكوارث وحوادث الاصطدام!

إننا نحتاج إلى بعض الوقت لنتعلم كيف نحترم الرأي الآخر، وقد يكون جنون اليوم هو حكمة الغد، وقد لا يعجبنا أحد الآراء اليوم ونكتشف في المستقبل أننا أخطأنا عندما سددنا آذاننا ورفضنا أن نسمعه أو نناقشه!

ولنذكر مثلا رواد الاصلاح في بلادنا عندما نادوا بأفكار حديثة صدمت الناس فلقد اتهم الشيخ محمد عبده بالكفر عندما طالب بإصلاح الأزهر، واتهم قاسم أمين بالفجور عندما نادى بسفور المرأة، واتهم لطفي السيد بالخيانة العظمى عندما قال إن مصر للمصريين وليست تابعة للخلافة العثمانية في تركيا!

إننا إذا اعتنقنا الديمقراطية حقا واحترمنا الرأي الآخر، فسوف نصبح ملوكا في بلادنا!

أما إذا صادرنا الرأي الآخر فسوف نصبح أشبه بالملوك المخلوعين! ملوك بلا عروش! ذلك لأن الديمقراطية هي العرش الذي يجلس عليه كل واحد منا!



أمّ الدنيا !

في استطاعتك أن تجعل مصر أم الدنيا! ولنبدأ الآن بأشياء صغيرة جدا..

إذا رأينا ورقة ملقاة على الأرض ننحني ونلتقطها. إذا رأينا طوبة على الرصيف أزحناها جانبا. إذا رأينا إشارة مرور حمراء مضاءة توقفنا عندها. نحن اليوم سعداء بأننا دولة سيادة القانون. وليس معنى هذا أن تحني الحكومة وحدها رأسها للقانون بل علينا نحن أن نضرب المثل للحكومة في احترام القانون.

إنه لا يوجد في أي عاصمة في العالم المتمدين كله شعب يهزأ بعلامات المرور كما نفعل نحن. لا أحد منا يتوقف عند الخط الأبيض لا أحد منا يطيع جندي المرور. وعندما العبث لا يصدق أننا شعب جاهد من أجل سيادة القانون، وعانى من غياب القانون.

إن استهتار الشعب بالقانون يشجع الحكام على الاستهتار به. ونحن لا نستهتر بالقانون فقط، وإنما نستهتر بحياة الناس. فقوانين المرور مثلا عندما حددت السرعة قصدت بذلك أن تحمي حياة طفلك وطفلي. قصدت أن تحمي حياتك أنت، و يوم يخالف واحد منا القانون، ويمضي بغير عقاب يشجع ألوفا منا على أن يدوسوا القانون بأقدامهم!

إن صخب الشبان في دور السينما والمسارح والحفلات وتبادلهم الألفاظ الجارحة وإطلاقهم الأصوات النابية يسيء إلى صورة شعب مصر كله في عيون الزائر الأجنبي!

من حق الشباب أن يمرح وأن يلعب وأن يمضي وقتا طيبا، ولكن بغير أن يبدو في هذه الصورة الكريهة المسيئة التي توهم الزائر الأجنبي أننا قوم لا نعرف آداب المسارح ولا آداب السينما ولا آداب المشي في الشوارع!

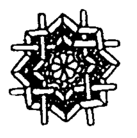
وللأسف ان القانون يعاقب بعقوبات صارمة على هذا العبث ولكن أحدا لا يطبق هذه القوانين و يتصور أن معنى الحرية هو حرية الأولاد أن يصفروا وأن يتبادلوا الكلمات الوقحة في أثناء ظلام السينما!

إن هذه في العادة هي أصوات الجبناء!

لأن الشجعان لا يصرخون أبدا في الظلام.

أشياء صغيرة جدا تجعل مصر جميلة جميلة..

تجعلها أم الدنيا!



قلة أدب « .. سياحي » !

أرسل أحد الأطباء العرب برقية إلى فندق كبير، يطلب حجز غرفة لمدة أسبوع ... وتلقى الطبيب العربي برقية من الفندق بالموافقة على الحجز.

و وصل الطبيب إلى الفندق وفوجيء بموظف استقبال الفندق يقول له إن الحجز لمدة ثلاثة أيام فقط ، وأنكر أن الفندق وافق على أسبوع !

ورفض موظف الاستقبال أن يسلم مفتاح الغرفة للطبيب العربي قبل أن يوقع اقرارا أن الاقامة لمدة ثلاثة أيام فقط !

ووقع الطبيب بامضائه وأمره إلى الله لأنه لم يشأ أن تنام زوجته وابنه في الشارع إذا تمسك بحقه .

واتصل الطبيب بعدد من أصدقائه المصريين يبلغهم ما حدث ، واتصلوا بمدير الفندق فأكد لهم أن ما حدث هو سوء تفاهم ، وأن من حق الطبيب العربي أن يبقى أسبوعا ، وعليه ألا يهتم بما يقوله موظف الاستقبال !

وفوجيء الطبيب العربي بطرده من الغرفة ! وذهب إلى موظف الاستقبال يقول له إن موظف الفندق أبلغه أنه سيبقى .. فقال موظف الاستقبال بعجرفة إنه لا يتلقى أوامره من مدير الفندق ..

واعترض الطبيب العربي بأدب ، فقال له موظف الاستقبال بأنه قليل الأدب !

وشكا الطبيب العربي إلى وزير السياحة !

وسوف يتلقى الوزير كالعادة تكذيبا من الفندق ! وسوف يعتبر الحادث منتهيا . وسوف تستمر معاملة السياح بوقاحة وقلة أدب ورغبة في ابتزاز أموالهم بما ليس له مثيل في أي فندق في العالم ..

وسوف ينصرف السياح عن القاهرة إلى بلاد أخرى لا تشتم السياح ، ولا تسيء معاملتهم ، وسوف تستغني الفنادق المصرية عن عدد من موظفيها !

كل ذلك لأن الانحراف في الفنادق قوي جدا ... والذين يحاربون الانحراف ضعفاء جدا .. جدا .. جدا .



الإنسان المجهول!

منذ ثلاث سنوات جاءني الشاب محمد عرفة بكالوريوس كلية الزراعة في جامعة القاهرة. جاء يطلب عملا ولم يكن في «أخبار اليوم» أمكنة خالية، وعلى الرغم من أنه ليس من خريجي كلية الاعلام إلا أنني وجدت أمامي شابا يريد أن يكافح في الحياة. وعينته في قسم الشكاوى. وهو قسم أحرص دائما أن يتبعني. فانني أحس بأنه قسم المظلومين. ولقد أنشأته قبل أن أذوق طعم الظلم. وعندما عرفت معنى الظلم أحسست أن قسم الشكاوى هو أهم قسم في دار «أخبار اليوم» كلها!

وفوجئت بأن محمداً يعمل معي في الصباح في قسم الشكاوى وكان يعمل في المساء جرسونا في مطعم! ولم أشعر أن هذا العمل يتعارض مع عمل الصحفي، بل أحسست نحوه باحترام أكبر وإعجاب أكبر.

ثم قرر أن يهاجر إلى العراق ليعمل مهندسا زراعيا فشجعته على هذه المغامرة. وأحس بالحنين إلى الصحافة فعاد إلى أخبار اليوم.

وذات يوم جاءته قصة تلميذ سقط على الأرض وأصيب بورم في ركبته ورفضته المستشفيات. وقبله مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية. وباع أهله ما يملكون لعلاجه دون تقدم. ثم طلب المستشفى ٥٠٠ جنيه لإجراء جراحة تجعله يمشي من جديد. ونشر محمد القصة في «الأخبار».. وفي نفس اليوم اتصل مجهول تليفونيا بأخبار اليوم وطلب إرسال رسول ليسلمه الخمسمائة جنيه وذكر عنوانه.

وجلس المتحدث المجهول ينتظر ولم يتصل به أحد. فقد ظن الذي تحدث إليه من «أخبار اليوم» أنه يمزح. ولعله قال إن من غير المعقول أن يدفع قاريء خمسمائة جنيه لطفل لا يعرفه إلا من قصة في جريدة!

وبعد يوم جاء الرجل المجهول إلى مكتبي وقدم لي مبلغ الخمسمائة جنيه المطلوبة. واشترط علي ألا يعرف أحد اسمه، ولا عنوانه، ولا وظيفته ولا جنسيته!

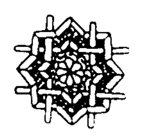
ورفض أن يأخذ إيصالا!

قلت له إنه لابد من تقييد هذا المبلغ فماذا نكتب أمامه؟

وسكت قليلا ثم قال: اكتبوا.. «إنسان»!

حقا انه إنسان، وان الدنيا لا تزال بخير!

فلا تتوهم أن أبواب السماء مغلقة في وجهك. إن الله وضع بعض أبواب السماء في قلوب الناس الطيبين..



عمليات النصب!

نحن شركاء في جرائم الانحراف، عندما نرفض أن نتكلم عن جرائم الانحراف التي تحدث لنا. عندما نرفض أن نشير بأصابعنا إلى المنحرفين. لا يمكن أن تتم عملية تطهير بغير رجال شجعان، لا يخافون ولكن المنحرفين يعتمدون على ارهابنا، وتهديدنا، وايهام البعض منا انهم فوق العقاب. وان الذي يفضح جرائمهم هو الذي سيتعرض للعقاب!

إن بعض الفنادق الكبرى مثلا ترفض أن تقدم لزبائنها جريدة «الأخبار» وقيل لنا في تبرير ذلك إن «الأخبار لم تدفع»! وإنها مادامت لا تدفع فسوف يحرم منها الزبائن! ويدهش نزلاء الفنادق عندما يرون جريدة «الأخبار» ممنوعة من التوزيع في ذلك الفندق الكبير!.. ونطلب من الشاهد أن يوقع اسمه على هذه الواقعة الخطيرة فيرفض خشية أن يبطش به الذي يتقاضى هذه الاتاوات!

حدث أن كان محمد عبدالله رئيس مجلس إدارة شركة الفنادق المصرية في طريقه إلى مكتبه بفندق شبرد، وعلم أن أحد موظفي الاستقبال تقاضى من رجل أعمال فنلندي مبلغ ٥٠ دولارا ليحجز له غرفة لمدة يومين.

وطلب رئيس مجلس الادارة من رجل الأعمال أن يشير إلى الموظف الذي أخذ المبلغ فرفض، وقال إنه لا يريد أن يدخل في مشاكل!

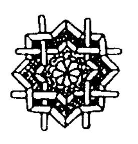
وطلب من المصري الذي عرف الواقعة أن يقول عن الموظف المرتشي فرفض لأنه يخشى سطوة الذين يحصلون على اتاوات!

واستطاع رئيس مجلس الادارة بوسائله الخاصة أن يعرف الموظف وصدر قرار بخصم شهر من راتبه ونقله من الاستقبال إلى وظيفة في قسم الخدمة.

ان مديري الفنادق مسؤولون عن كل انحراف في كل فندق. لأنهم يجلسون في مكاتبهم بينما رأينا مديري الفنادق في مختلف عواصم العالم لا يجلسون في مكاتبهم أبدا. يعيشون في دوامة بين المطبخ والمطعم وبين النزلاء!

إن سياحا أجانب بدأوا «يطفشون» من مصر بسبب عمليات النهب التي تحدث لهم.. وواجبنا أن نحميهم لأننا بذلك نحمي مصر!

إن كل من يغطي انحرافا، أو يتوسط لانحراف، أو يتستر على منحرف هو شريك في الانحراف!



نقيق الضفادع .. لا يخيف السباع!

أنا لا أصدق الخطابات الغفل من الامضاء! وأتصور أن هذه الخطابات تنتشر في عهود الظلام وتختفي في عصور النور. إنك في الدولة الديموقراطية تستطيع أن تقول رأيك بلا خوف و بلا تردد و بغير أن تتلفت حواليك. لن يقطع أحد عنقك. كلمة الحق لم تعد تودي بك إلى الهلاك، إنما هي تهلك كل من يقف في طريقها! ولن يجرؤ مسؤول مهما كانت مكانته أن يخسف بك الأرض لأنك اتهمت أقرب رجاله مادمت تقدم الأدلة والبراهين على الاتهام. ففي زمن الحرية لا يؤخذ الناس بالشبهات والاشاعات والهمس والدسائس و باقي بضائع سوق الاستبداد!

ولكن بعض الناس يمقتون النهار، ليست لديهم الشجاعة أن يرفعوا أصواتهم، أو أن يمدوا أصابعهم. إنهم الجبناء الذين يخافون ولا يختشون. الذين لا تظهر شجاعتهم إلا في السر. الذين يحملون سيوفهم إذا وضعوا أقنعة على وجوههم، أو يغمدون خناجرهم إذا تأكدوا أن الظهور متجهة إليهم وأن العيون لا تراهم. وهؤلاء في رأيي آفة المجتمع. ولا مكان لهم في المجتمع الديموقراطي الذي يؤمن بالجهر والعلنية والشجاعة، ولا يعترف بالهمس والسرية والجبن!

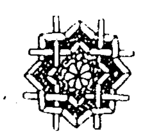
أعرف رجلا وصل إلى مركز مرموق في القاهرة بعد ٢٢ سنة من العمل الشاق المتواصل. عرضت عليه أخيرا بعض الدول العربية مركزا أعلى بمرتب يبلغ عشرة أضعاف مرتبه في مصر. مرتبه الآن ١٣٠ جنيها في الشهر والمرتب المعروض ٢٧٠٠ جنيه شهريا غير البدلات وغير السكن وغير الامتيازات الأخرى.

ورفض الشاب أن يترك وطنه في هذه الظروف، وإذا به يفاجأ بشكاوي مجهولة تنهال ضده تتهمه بكل تهمة في قانون العقوبات. هو لص ومختلس وقواد. وهو في ليلة أول يوليو كان يسكر مع بعض كبار العرب في المكان الفلاني بجاردن سيتي بينما كان في ذلك اليوم في عمل رسمي خارج الحدود! وهو يملك سبع شقق مفروشة يؤجرها للسياح والله يعلم أنه هو يعيش في شقة صغيرة تضيق به ولا يستطيع أن ينتقل إلى شقة أخرى في هذا الزمن الذي أصبح فيه الوصول إلى القمر أسهل من الوصول إلى شقة في القاهرة!

قال لي الرجل المظلوم إنه ضاق بهذه الشكاوى الكيدية والاتهامات بغير توقيع، وإنه قرر أن يقبل المنصب المعروض عليه ليريح و يستريح.

قلت له يجب أن تبقى وتقاوم! الشجاع لا يخاف الجبناء. والمظلوم لا يفر من أمام الظالم. إن عصر الشكاوى المجهولة قد انتهى. والمسؤول الذي يضيع وقته في قراءة هذا النوع من الاتهامات الجبانة لا يصلح لعصر الديموقراطية. كل شكوى مجهولة يجب أن توضع في سلة المهملات. وكل من لديه أدلة على اتهام عليه أن يقف على قدميه و يرفع صوته!

قلت له: امض في عملك يا بني! إن نقيق الضفادع لا يخيف السباع!



يحيا وادي النيل!

فتحنا عيوننا ونحن أطفال على هذا الشعب يهتف «يعيش الاستقلال التام لمصر والسوادن»!

لم يحدث مرة أن هتفنا بحياة مصر دون أن نهتف بحياة السودان. ذلك أن مصر والسودان وطن واحد يمتد من الشمال إلى الجنوب. القدر شاء أن يوحدنا، ولم تستطع الأحداث ولا الأخطاء أن تفرق بيننا.

كان سعد زغلول يقول إن السودان الزم لمصر من الاسكندرية. ورأينا شبانا سودانيين يذهبون إلى السجن وهم يقولون إن مصر الزم للسودان من الخرطوم!

والذين أرادوا احتلال السودان بدأوا باحتلال مصر، والذين أرادوا اليوم أن يتآمروا على مصر بدأوا بالتآمر على السودان. وليس النيل وحده هو الذي يربط بيننا، فما بيننا هو قربى ودم ومصير، أو كما قال النميري إن السودان وشعبه هو توأم مصر وشعبها. الجرح الذي يصيب مصر يدمي قلب السودان. إن المحنة التي تصادفها الخرطوم تهز القاهرة، فليس بيننا حدود مشتركة فقط، بل بيننا آلام مشتركة وأحلام مشتركة. بيننا نضال مشترك من أجل الحرية والاستقلال. إن الذين يعرفون تاريخ مصر جيدا يعرفون أن زعماء مصر رفضوا أن يقبلوا جلاء الانجليز عن مصر وحدها إذا لم يصحب ذلك جلاء الانجليز عن السودان. يعرفون أن عددا كبيرا من الوزارات المصرية استقال بسبب الايمان بحق السودان في الحرية.

يعرفون أن شبابا سودانيا وضباطا سوادنيين دخلوا السجون وماتوا فيها وتشردوا في المنافي، وفقدوا كل ما يملكون من أجل مطالبتهم بوحدة مصر والسودان..

الذي بيننا وبين السودان ليس سياسة. ولكنه حياة. والمصريون الذين يتوجسون خيفة من كل حديث عن الوحدة بعد ما ذاقوه من طعنات خناجر في ظهورهم، لا يترددون أن يشعروا بفرح من كل خطوة نخطوها نحو السودان، ذلك لأننا نؤمن أن الدفاع عن السودان، هو دفاع عن كل مصري، وأن كل تهديد لحرية السودان واستقلاله هو تهديد لحرية مصر واستقلالها.

شيء جميل رائع أن يعيش الانسان حتى يسمع من جديد الهتاف بحياة وادي النيل!.. وشيء أجمل أن يتحول الهتاف إلى اتفاق للدفاع المشترك.

***

أعداء النهار!

نطالب بمطاردة الانحراف بكل حزم وعدم التهوين من قدره بأي شكل من الأشكال. نطالب أجهزة الرقابة الرسمية والرقابة الشعبية من مجلس الشعب والتنظيمات السياسية بتعقب المنحرفين. ونطالب بأن تكون الأضواء مضاءة والستائر مرفوعة والحديث عن الانحرافات ونقدها مباحا.

وهذا يقطع الطريق على مدرسة الظلام! أولئك الذين يبكون و يولولون عندما يشير كاتب أو نائب إلى أي انحراف، و يعتبرون كشف الأستار جريمة في حق النظام، وتشو يها لسمعة الدولة، وإقلاقا لراحة المسؤولين! أولئك أعداء النهار الذين يعتبرون الليل حليفهم، والأحكام الاستثنائية ستارهم، وتكميم الأفواه درعهم!

لا يشين مصر أن يظهر فيها لصوص، وإنما الذي يشينها و يدمغها أن نتستر على اللصوص، ولا يسيء لسمعة مصر أن تظهر فيها أقلية تستغل نفوذها، وإنما يشوه اسم مصر أن يقال إننا نحمي الذين يسرقون مال الشعب!

في العالم اليوم يقظة أخلاقية ضد الرشاوى واستغلال النفوذ، وسوف يشرف مصر كثيرا أن تكون في مقدمة دول العالم ضربا على أيدي المستغلين والمستفيدين وتجار النفوذ..

كلما أضأنا النور زاد رعب اللصوص!

***

أحلى ما في الدنيا صداقة حلوة!

لا تصدر أحكاما نهائية على الناس! فلا يوجد في الحياة أبيض فقط ولا أسود فقط، هناك مئات من الألوان والظلال. ما تراه أنت أسود يراه غيرك رماديا أو أسمر. وما يراه غيرك أبيض ناصع البياض قد تجد أنت فيه أكثر من بقعة سوداء.

لهذا يجب أن تعطي عذرا للطبيعة البشرية، فلا تحكم مثلا بالاعدام على صداقة حلوة لأن صديقك أخطأ في حقك. حالو أن تضع نفسك مكان صاحبك، وأن تجد له عذرا. وابحث له عن مبرر.

إننا في أحكامنا السريعة نرتكب مظالم فادحة. القاضي العادل يمكث عدة أيام يدرس القضية و يقرأ المستندات و يقلب الرأي قبل أن يصدر حكمه.

وأنت ليست لك تجربة في القضاء، ولهذا يجب أن تتمهل في إصدار حكمك. واعلم أنك إذا خسرت صديقا حميما اليوم فمن الصعب جدا أن تجد صديقا جديدا بعد ساعة.. فالأصدقاء لا يباعون في السوق مثل الأحذية إذا بلى حذاء اشتريت بدلا منه حذاء آخر.

الصديق هو إنسان نادر الوجود. فاذا عثرنا عليه يجب أن نرعاه ونحافظ عليه، وأن نعلم أن الصداقة علاقة حلوة جدا كالعلاقة بين الابن وأمه، أو بين الأب وابنته، أو بين الأخ وأخيه. فاذا أخطأ والدك فليس من المعقول أن تغيره أو تبدله أو تبحث عن والد آخر! وإنما الذي نفعله عادة أننا نحاول أن نعتذر عنه وأن نصالحه وأن نسترضيه.. وهذا هو نفس ما يجب أن نفعله مع أصدقائنا.

و بعض الناس يقولون إن الأصدقاء مخلوقات على وشك الانقراض من الأرض. ولا أوافقهم على هذا الرأي، فليس صحيحا أن صداقات الماضي كانت أقوى وأمتن وأصلب من صداقات هذه الأيام. يجب ألا ننسى أن القهر والكبت والإرهاب يفت الصخر ويمزق أحلى العلاقات الانسانية، ويجب أن نعذر أصدقاءنا الذين لم يستطيعوا أن يصمدوا أمام الطوفان.. فهذا ليس ذنبهم وإنما ذنب الطوفان..

واليوم وقد فتحنا النوافذ من جديد أتوقع أن نرى صداقات حلوة من جديد، صداقات تصمد للزمن والمحن ولقسوة الأيام!

إن أحلى ما في الدنيا صداقة حلوة!



حددوا نسل القاعدين القرفصاء !

من رأي بعض أساتذة الاقتصاد السياسي في مصر أن البلاد العربية لا تشكو من انفجار سكاني، وأن من العبث انفاق هذه الأموال الطائلة على تحديد النسل، وإنما يحسن توجيه هذه الأموال لعمل دراسات لاعادة توزيع السكان في البلاد العربية وفي افريقيا.

ومن رأي هؤلاء أن سكان مصر ليسوا أكثر من الهم على القلب كما يتوهم الذين يفكرون بعقلية الماضي، بل هم ثروة قومية يجب المحافظة عليها وزيادتها. وأن الذي يجب التفكير فيه الآن ليس هو أن اقنع العامل بالاكتفاء بولد واحد أو ولدين، فانه من سخرية القدر أن نسبة زيادة السكان في مصر زادت بعد حملة تحديد النسل ! أي أنه كان من نتيجة هذه الملايين التي أنفقناها في السنوات الأخيرة أن ضاعف الناس من نسلهم !

فالذي يجب أن نعلمه الآن هو كيف نجعل العامل المصري قادرا على أن يسد الفراغ الموجود في المنطقة، فلا أضاعف مثلا حملة الدرجات الجامعية في الوقت الذي لا يحتاج فيه أي بلد عربي لمحام أو أديب وانما يحتاج إلى سمكري أو ميكانيكي أو بناء! وهكذا يصبح من السهل أن أوجه الذين يولدون إلى الفراغ الذي يملأونه، بدلا من أن أمنع ولادتهم، وهو الأمر الذي فشلنا فيه حتى الآن!

فنحن الآن في حاجة إلى إحصاءات عما تحتاجه الدول العربية ودول العالم الثالث من عمال في العشر السنوات المقبلة، وعن تخصص كل عامل مطلوب، وعلينا أن ننشيء المعاهد التي تلبي هذه التخصصات المطلوبة. وبلا شك ان هذه المعاهد الصناعية تحتاج إلى أموال طائلة، ويمكن أن تساهم فيها الدول التي عندها مشروعات ضخمة، وتعجز عن تنفيذها لافتقارها إلى العمال الذين يقومون بها.

ثم ان هناك أعمالا لا تتطلب دراسات طويلة. أحد كبار المهندسين قال إنه يمكن تدريب نقاش في أسبوعين اثنين! ان المطلوب مئات الألوف من النقاشين في البلاد العربية ولا يوجد لدينا العدد الكافي منهم، وبعضهم وصل أجره اليومي إلى أربعة وخمسة جنيهات في اليوم!

فلنبدأ من الآن... إن طريق الألف ميل يبدأ بخطوة واحدة!

إن ملايين العمال غير المدربين وغير الفنيين كارثة على أي بلد!

ولكن ملايين العمال المدربين والفنيين نعمة كبرى لأي بلد!



طالبة الجامعة حاملة صفيحة الماء على رأسها!

طالبة باحدى كليات الجامعة. من أسرة رقيقة الحال. تقطن في حي شعبي. أبوها حارس أمين، لا يكفيه مرتبه التافه لينفق على بيته وأولاده العديدين ولشراء الخبز والفول المدمس كل يوم!

واضطرت الأم أن تعمل. أصبحت تحمل على رأسها صفيحة المياه، وتنقلها من مكان بعيد إلى المساكن والطوابق العليا. تصعد ألوف السلالم وتقطع المسافات الطويلة لتسد الأفواه الصغيرة المفتوحة. وأنهكها المرض والعمل الشاق المتواصل فسقطت مريضة، ولم تعد تستطيع حمل صفيحة المياه على رأسها والصعود والهبوط.

واضطرت طالبة الجامعة الشابة أن تترك محاضراتها في الجامعة لتقوم بما كانت تقوم به أمها. واستمرت على هذه الحالة حتى انتهت السنة الدراسية ونجحت طالبة الجامعة ونجحت أخواتها في مدارسهن! وتحاملت الأم على نفسها ومعها الطالبة وإحدى الأخوات وخرجن لنقل المياه. حتى يستطعن تسديد دين تراكم بسبب انقطاع الطالبة عن حمل المياه على رأسها في شهر الامتحانات!

وتقول لي طالبة الجامعة إنها تريد أن تبحث عن عمل آخر بعيدا عن حيها وإن أهل حيها يجرحون كرامتها وكبرياءها وهم ينظرون إليها باحتقار لأنها تحمل صفيحة الماء على رأسها!

وأنا أقول لها: إنني أحنى رأسي لها! وأعتقد أن غيري يراها وهي تحمل صفيحة الماء على رأسها أجمل من كثيرات على رؤوسهن باروكة! فالعمل الذي تقوم به عمل مجيد يستحق الاحترام والتقدير، وتأكدي أن كثيرين ينظرون إليك وعلى رأسك صفيحة المياه كأنك ملكة على رأسها تاج!

كان أجدادنا ينظرون إلى الصبايا يحملن القلة والبلاص ويملأن المياه من شاطيء الترعة بإعجاب، ومن هنا خرجت الأغنية القديمة التي تقول: «البحر بيضحك ليه؟.. وأنا نازلة أدلع أملا القلل»! ذلك أن البحر يضحك زهوا وإعجابا بامرأة تعمل!

وأنت لا تتدلعين يا فتاتي الصغيرة وأنت تقومين بهذا الجهد الشاق، أنت تجدين غاية الجد. أنت في نظري أكثر احتراما وكرامة من مئات الفتيات الأنيقات التافهات الجاهلات اللاتي يعشن عالة على أسرهن، و يتصدرن السيارات الفاخرة!

إن الشاب الذي يريد أن ينجح في الحياة يجب أن يبحث عن فتاة شريفة مثلك، تكافح مثلك، ترفع رأسها وفوقها صفيحة مياه! والفتاة التي تفعل اليوم ما تفعلينه سوف تجعل من الرجل الذي يختارها شابا عظيما!

إن كثيرين سمعوا قصتك وعلى استعداد أن يقفوا بجانبك!

تعالي إلى مكتبي وفوق رأسك صفيحة المياه!

إن كل أبواب «أخبار اليوم» ستفتح على مصاريعها لك!

***

أجمل فتاة في العالم!

الدنيا بخير ..

نشرت قصة طالبة الجامعة التي تحمل على رأسهـا صفيحة الميـاه كل صبـاح ، وتمشي الساعات. وتصعد ألوف السلالم ، لكي تساعد أمها المريضة وأخواتها.. والتي اضطرت أن تنقطع عن المحاضرات، ومع ذلك نجحت في الامتحان بالجامعة ونجح كل أخواتها الصغيرات في المدارس.

وما كادت تظهر «فكرة» حتى وجدت أبواب السماء تفتح في قلوب عشرات من الناس. وحرصت ألا أذكر اسم الطالبة ولا الحي الشعبي الذي تقيم فيه، ولا الكلية، لأنني أعلم أن فريقا منا لا يزال يعيش في الجاهلية. لا يحترم المرأة العاملة. لا يعرف أن نساء مصر فريقان اما ملكة واما جارية! فكل فلاحة تزرع هي ملكة مصر. وكل عاملة في مصنع هي ملكة مصر. وكل ربة بيت هي ملكة مصر. وكل موظفة هي ملكة مصر. أما الجارية فهي التي لا عمل لها إلا الجلوس في النوادي وحضور عرض الأزياء والتحدث في التليفونات!

وزارتني طالبة الجامعة. واخترت خطابا من الرسائل التي وصلتني. من رياض محمود الشعيبي المدير العام لمؤسسة الخليج العربي للأعمال الفنية. ومقرها الرئيسي في دبي بالامارات العربية المتحدة. قال لي: «إنني وأنا أحيي من أعماق قلبي تلك الفتاة التي تحدثت في (فكرة) عن كفاحها من أجل تحقيق حياة أفضل أرجو أن تكون صورة هذه الفتاة أنموذجا لشبابنا». وذكر أنه رصد مبلغ ثلاثين جنيها تدفع لها شهريا حتى تنتهي دراستها.

وفوجئت بالطالبة ترفض قبول هذا المبلغ! وألححت عليها فقالت: إنها لا تقبل أن تأخذ مليما واحدا دون أن تؤدي عملا في مقابله. وإنها تفضل أن تعود وتحمل صفيحة المياه على رأسها من جديد!

واتصلت بالشركة وأبلغتهم رفض الفتاة، واقترحت عليهم أن يدفعوا لها هذا المبلغ في مقابل أن تعمل على الآلة الكاتبة في غير مواعيد دراستها، فقبلوا على الفور. وستذهب الطالبة صباح اليوم لتسلم عملها!

قلت لها وهي معي: ما هي أمنيتك في الحياة؟!

قالت: كانت أمنيتي في العام الماضي أن أقتصد مبلغا زهيدا جدا وأشتري هدية رمزية أقدمها لأمي في عيد الأم عرفانا بكفاحها من أجلنا. وللأسف لم أستطع أن أقتصد أي مبلغ. كل مبلغ صغير أقتصده كنت أضطر إلى إنفاقه في شراء طعام لنا!

قلت لها: اعملي كما عملت. انني أعطيت لأمي كل المرتب الذي قبضته لأول مرة في حياتي! أعطي لأمك مرتبك هذا الشهر!

قالت مستنكرة: مرتب شهر فقط.. انني قررت أن أعطيها مرتب كل شهر!

وعندما سمعتها تتحدث عن أمها بكل هذا الحب أحسست كأنني أجلس مع أجمل فتاة في العالم!

---***---

الحكم على ابن أخت كارتر بالسجن عشر سنوات !

سطع اسم «جيمي كارتر» مرشح الحزب الديموقراطي فجأة. أصبح اسم الحاكم المجهول لولاية صغيرة على كل لسان.. باعتباره الرجل الذي سيعيد للولايات المتحدة اسمها الذي رماه الرئيس نيكسون في الوحل، والذي سيرفع رأس أمريكا الذي نكسه الرئيس نيكسون في فيتنام!

وكان سر تألق (كارتر) أن أسرته أسرة فاضلة وأنه يعيش حياة نظيفة، وأن أفراد أسرته فوق مستوى الشبهات، وأن أحدا لم يسمع عن واحد منهم ما يسيء أو ما يشين!

وقال (كارتر) جملته التي رفعته فوق الأعناق، وهي: (إن الشعب الأمريكي شعب حسن الأخلاق يستحق حكومة حسنة الأخلاق)!

وهذه الجملة هي التي قضت على كثيرين من المرشحين لرياسة الجمهورية المعروفين بسوء الأخلاق، أو بأن لهم مغامرات. أو بأن في عائلاتهم بعض الفساد!

وفجأة ظهر أن للمرشح لرياسة الجمهورية ابن أخت اسمه (وليام كارتر)، يبلغ من العمر ٢٩ سنة متهم بأنه لص اشترك في جريمتي سرقة بالاكراه!

ولم يحاول (كارتر) أن ينقذ ابن أخته من السجن لينقذ سمعته. ولم تحاول الأسرة أن توكل محاميا كبيرا لتخفيف الحكم، وإنما أعلنت أخت كارتر أن الأسرة غير مسؤولة عن سوء خلق أحد أفرادها، وهي تتركه للقضاء العادل.

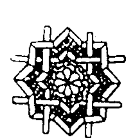
ولم يأبه القضاء لأن كارتر من أسرة مرشحه لرياسة الجمهورية، وإنما حكم عليه بالسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة!

لا أتصور أن هذا الحادث سوف يسيء إلى (كارتر) في الانتخابات القادمة. كل أسرة فيها الطيب والخبيث، ولا يمكن أن نلوم شجرة طيبة لأن فرعا من فروعها أصبح فاسدا!

إن الذي كان يسيء لكارتر هو أن يتستر على ابن شقيقته. أن يتدخل لايقاف سير العدالة أو أن يطالب له بأي امتياز أمام القانون!

وهذا هو الفرق بين (نيكسون) الذي كذب على الشعب ليتستر على خطأ ارتكبه وبين (كارتر) الذي لم ينكر أن ابن شقيقته لص، وأنه نال جزاءه كأي لص آخر...

وهذا هو معنى سيادة القانون!



لامحسوبية!

كانت بريطانيا تحتل الولايات المتحدة الأمريكية بجيوشها..

وكانت أمريكا إحدى مستعمرات التاج البريطاني..

وقاد جورج واشنطون الجيش الأمريكي إلى النصر، وطرد الانجليز المحتلين، وأنشأ دولة الولايات المتحدة الأمريكية، وأعلن أول دستور ديموقراطي في العالم.

انتخب جورج واشنطون رئيسا للجمهورية لمدة أربع سنوات.

وعندما انتهت فترته الأولى أعيد انتخابه رئيسا للجمهورية للمرة الثانية.. وبعد ٢٠٠ سنة، وفي يوم الثلاثاء الماضي وافق مجلس الشيوخ الأمريكي على قانون بترقية جورج واشنطون إلى رتبة جنرال.. وبعد أيام سوف يجتمع مجلس النواب الأمريكي للموافقة على نفس القانون!

ذلك أن جورج واشنطون حقق كل هذه الأمجاد لأمريكا، ولم يصل إلى رتبة الجنرال، بل كان في رتبة العميد!

ولم يشأ بعد أن انتخب رئيسا لأمريكا أن ينعم على نفسه برتبة اللواء، أو أن يطلب من الكونجرس إصدار قانون بمنحه رتبة اللواء.. لأنه لم يشأ أن يحصل لشخصه على قرار استثنائي واحد!

وبعد ٢٠٠ سنة قرر البرلمان الأمريكي أن يمنحه هذه الرتبة بصفة استثنائية، ذلك لأنه ليس من حق أحد أن يرقي ضابطا في غير دوره حتى ولو كان أعظم رئيس لجمهورية الولايات المتحدة!

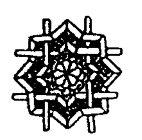
ترى.. هل يزيد جورج واشنطون شيئا بمنحة رتبة جنرال؟

إن عاصمة الولايات المتحدة كلها تحمل اسمه، وإحدى الولايات الأمريكية الكبرى سميت باسمه، وكل شارع كبير أو ميدان كبير أو جسر كبير اسمه واشنطون!

ولكن الذين اتصلوا بواشنطون في حياته قالوا إنه كان يحلم بأن يكون جنرالا!

وإنه لم يستطع أن يحقق هذا الحلم لأنه يخالف القانون!

وجاء الشعب بعد ٢٠٠ سنة يحقق الحلم البسيط للقائد الذي قاده للحرية والاستقلال!



دعاء نصف شعبان !

يا رب اعطني القوة أن أقف بجوار كل مظلوم ، واعطني الجرأة أن أقف ضد كل ظالم . .

يارب اعطني الصبر وسعة الصدر، لا تجعلني أضيق بأنين المسحوقين فان من حق كل مقهور أن يصرخ حتى لو كانت مرت مائة سنة على آخر جلدة بالسوط فجروح سياط الظلم لا تلتئم مع الأ يام . وإنما تزداد قروحا وصديدا ونزيفا !

يا رب اعطني البلاغة لأنطق بكلمة الحق في مواجهة الأقو ياء ، وامنع شفتي من أن ترددا الباطل نفاقا لأصحاب السلطان !

يا رب اجعلني قو يا مع الجبابرة وضعيفا مع الضعفاء ، قاسيا مع الطغاة ورحيما مع المقهورين !

يا رب افتح عيني حتى أرى أخطائي قبل أن أرى خطايا الناس ، واعطني الشجاعة أن أكشف عيوبي قبل أن أكشف عيوب الآخرين . .

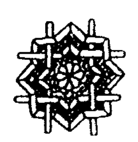
يا رب لا تجعلني أختص بحبي أقرب الناس إلى فقط ، بل ضاعف مساحة قلبي حتى يتسع للناس جميعا ، اجعلني أحب المظلوم حتي يحصل على العدل ، وأحب المقيد حتى يتحرر، وأحب المريض حتى يشفى ، وأحب الجائع حتي يجد طعاما ، وأحب العاطل حتى يجد عملا ، وأحب الصغير حتي يكبر، والضعيف حتى يطغى و يتجبر!

يا رب ساعدني أن أضيء شمعة في ظلام يائس . أن أغرس زهرة في كل صحراء . أن أجفف دمعة من عين حزين . أن أفتح ثغرة في كل طريق مسدود . أن أحمل على كتفي متاعب الآخرين ولا أثقل أكتافهم بمتاعبي .

يا رب اجعلني صديقا للناس جميعا . فقيرهم قبل غنيهم . وصغيرهم قبل كبيرهم . المحتاج فيهم قبل القادر منهم .

يا رب خذ مني الغرور واعطني الثقة بالنفس . خذ مني شهوة الانتقام واعطني التسامح . خذ مني الأنانية واعطني نكران الذات . خذ مني كل ما أملك واعطني حب الناس !

يا رب ! هذا دعائي لك في نصف شعبان !



٨٠٠ موظف
يقومون بعمل موظف واحد!

مشكلة مصر الكبرى هي العمالة الزائدة! هذا الزحام في الشوارع. هذا الاختناق في الاتوبيسات. هذا الغلاء في الأسعار. هذا الجنون في ايجار الشقق سببه الأكبر أن في القاهرة مئات الألوف من الناس يتقاضون مرتبات دون أن يؤدوا أي عمل، وتضيف المؤسسات أجورهم ومرتباتهم على أسعار الانتاج، فتشتري بجنيهين ما ثمنه جنيه واحد!

لا تجد في الصباح في أي مدينة من المدن الشوارع مزدحمة بالمارة والمتسكعين والمشترين، أغلبهم موظفون وموظفات استطاعوا التزويع من أعمالهم، وانتشروا كالجراد في شوارع القاهرة. وهم معذورون لأن ليس لديهم مقاعد يجلسون عليها ولا مكاتب يعملون فيها، ولا أعمال يزاولونها!

وقد حدث في يوم الاثنين الماضي اجتماع في مبنى التليفزيون لتطبيق سياسة نظام الادارة بالأهداف، وإذا برئيس قطاع الهندسة يصرخ ان لديه ٨٠٠ موظف يقومون جميعا بعمل موظف واحد فقط!

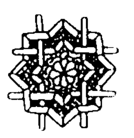
وراجعه رئيس الاتحاد في هذا التصريح الخطير، وقال له: انت مهندس ويجب أن تحرص على دقة الأرقام! وعاد المهندس الكبير وأكد أن لديه ٨٠٠ موظف يقومون بوظيفة يستطيع أن يقوم بها موظف واحد!

هذا الرقم المذهل موجود في كل وزارة وكل مؤسسة وكل إدارة وكل شركة. ألوف بلا عمل. وهم يحضرون إلى مكاتبهم و ينصرفون، وكل مجهود يقومون به هو أن يقولوا للذي يعمل صباح الخير، فيعطلوه عن العمل ليرد التحية بأحسن منها!

لقد كان الدكتور فؤاد شريف يتزعم مشروع إدارة الدولة بالأهداف، أي أن تكون المحاسبة على النتائج فقط لا الاجراءات، وكان يصادف دائما مشكلة العمالة الزائدة التي تقصم ظهر أي تجديد أو ابتكار أو انطلاق. ذلك أننا «شطار» جدا في الاجراءات و«خيبة» في النتائج! ونحن نعتقد أن هذا المشروع الكبير لن يموت بموت فؤاد شريف. ويجب أن يمضي فيه الشبان الأكفاء الذين اختارهم لمعاونته، وضحوا بمرتباتهم الضخمة في الخارج ليقوموا بتحويل إدارة «الكوبيا» إلى ادارة الكومبيوتر!

وليس من المعقول أن نجعل رجل الشارع يدفع مرتب ٨٠٠ موظف من أجل عمل يقوم به موظف واحد!

نريد عملا للعاطلين ولا نريد عاطلين تحت اسم مستعار!



إنني أبحث عن زينب!

فتاة جميلة، في العشرين من عمرها، تزوجت وأنجبت طفلة حلوة. وشعرت أنها أسعد امرأة في العالم. وفجأة أحست أن عينيها مليئتان بالرمل. دعكت عينيها فاحمرت العينان السوداوان. أسرعت إلى أبيها تنتحب وهي لا تعرف ما جرى لعينيها! طاف بها الأب على أطباء العيون. أنفق الأب ٧٠٠ جنيه على العلاج، تحويشة العمر ليسترد بها لزينب نور عينيها.. وذهبت الفلوس ومعها نور العينين!

باعت أثاث بيتها، لم تيأس، استمرت على العلاج. وفجأة هوت على رأسها مطرقة هائلة ثانية، أرسل لها زوجها ورقة الطلاق! ماذا يفعل الزوج بزوجة عمياء؟! واتجهت زينب إلى السماء وقالت يارب!

ورغم عماها رأت في السماء نور الله!

وتغلبت على يأسها، ومسحت دموعها، وقررت أن تكافح من جديد من أجل ابنتها ونور عينيها!

وكان أحد الشبان السعوديين يستشفى في أوربا من مرض أصابه، وقرأ قصة زينب في «الأخبار»، وأحس كأن دموعها في المعادي تسقط على وجنتيه في أوربا.

وأرسل لي مبلغ ١٤١٥ جنيها نفقات علاج زينب والاشراف على حالتها الصحية..

وبدأت أبحث عن زينب لأسلمها مبلغ الألف وأربعمائة وخمسة عشر جنيها.. ولأقول لها إن الدكتور بهي الدين شلبي أستاذ العيون بكلية طب القصر العيني سيعالجها مجانا، ولأذكر لها ان الدنيا بخير، وان الحياة مليئة بالناس الطيبين.. وانها كانت على حق عندما لم تتجه ببصرها إلى أحد ليساعدها، وإنما اتجهت إلى السماء وقالت: يا رب!

إن الله يسمعنا و يرانا.. ولا يتخلى أبدا عنا.. كل ما هو مطلوب منا أن نؤمن وأن نصبر وألا نيأس أبدا من رحمة الله!

إنني الآن في انتظار زينب عبدالتواب بيومي المقيمة في ٦ شارع محمود دو يدار منشية جبريل بالمعادي..

ابحث معي عنها!



الأخطاء والمطبعة بالجملة!

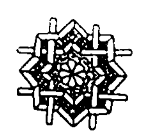
أحيانا أشعر بالفزع وأنا أقرأ الصحف المصرية. هذه الأغلاط النحوية. هذه الأخطاء المطبعية. إنك تتصور في بعض الأحيان أن رؤساء التحرير في مصر هم من ساقطي الشهادة الابتدائية! لم تكن الصحافة المصرية أبدا بهذا الاهمال. كانت الغلطة المطبعية الواحدة تثير الجريدة وتقيمها وتقعدها. ويجري تحقيق. و يعاقب المسؤول. وتحمر وجوه المحررين والمصححين خجلا! أما الآن فتمر الأخطاء المطبعية كأنها القاعدة، وتصبح الجمل الصحيحة هي الاستثناء! و يظهر أننا نسينا أن كثيرين من قراء الصحف يتعلمون اللغة منها، فكأننا بهذه الأخطاء نعلمهم الجهل!

وكان مصححو الصحف في الماضي من علماء الأزهر ومن أساتذته الممتازين، ثم صدر قانون غبي يمنع هؤلاء من العمل في الصحف و بذلك حرمنا من علمهم وخبرتهم. وصدر قانون أغبى يحرم الصحف من أعظم المصححين فيها ويحيلهم إلى المعاش قبل أن تعد الصحف من يحل محلهم، و بذلك بدأت الصحف تمتلىء بأخطاء تلاميذ المدارس الأولية!

وكنت قد أنشأت في أخبار اليوم قسما للمعلومات مهمته مراجعة كل سطر من الناحية العلمية والتاريخية، وكان يتألف من أستاذ في كلية الصحافة وأستاذ في كلية العلوم وأستاذ في قسم الجغرافيا بكلية الآداب، وجاء أحد الوزراء يشرف على أخبار اليوم ورفت الأساتذة الثلاثة وعين بدلا منهم عسكري بلوك أمين إحدى المحافظات!

واستدعيت هذا العسكري وسألته عن الشهادات التي يحملها.. فأجابني بأنه زوج أم السيدة حرم الوزير.. وهذا وحده يكفي ليحل محل ثلاثة يحملون شهادات الدكتوراة!

إن نتيجة اختفاء المراجعة العلمية أننا نقع في أخطاء.. لقد كتبت مثلا إحدى الصحف مقالا يستغرق صفحة كاملة تتساءل أين توجد صورة الراهبة للرسام محمود سعيد.. ولو كان قسم للمراجعة لقال: إن هذه الصورة معلقة في مكتب المندوب المصري الدائم في الأمم المتحدة بشارع ٦٧ بنيو يورك!



لا نريد طغاة ولا مستبدين!

قرأت في احدى الصحف كاتبا يدعو إلى اطلاق أيدي رجال الشرطة، و يقول: إنه خير لنا جميعا أن يكون هناك مائة رجل شرطة مستبد من أن يكون هناك مجرم عات يعيث في الأرض فسادا!

لا يا سيدي! أنا أفضل أن يكون في مصر مائة مجرم، ولا يكون فيها شرطي مستبد واحد!

إن مستبدا واحدا يستطيع أن يرتكب ألف جريمة. يستطيع أن يلفق التهم للأبرياء.. يستطيع أن يعذب الناس بلا ذنب ولا جريمة!

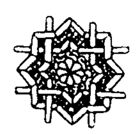
إن دول العالم المتحضر كلها ترفض أن يكون رجل الشرطة مستبدا.. إنها تفضله انسانا! إن هذه الدعوة للاستبداد هي بقايا عصر الطغيان الذي في طريقه إلى الانقراض! نعم هناك اناس غاضبون على قانون الحريات لأنه حرمهم من أن يكونوا آلهة وفراعنة وطغاة! لأنهم أغبى من أن يحكموا بعقلهم بعد أن تعودوا على الحكم بالكرباج! لأنهم تعودوا أن يدوسوا القانون بأقدامهم، ومطلوب منهم الآن أن يضعوه فوق رؤوسهم!

هذه الأصوات النشاز ليست صوت الشعب المصري، الذي أصبح الآن يتشبث بالحرية و بالعدالة و بالديمقراطية والذي عرف أن معنى «الاستبداد» هو المعتقلات وهو التعذيب وهو المحاكم الاستثنائية وهو التلفيق وهو إهدار الكرامة الانسانية، وهو الظلم بكل أشكاله وألوانه ومعانيه!

الذين هتكوا عرض أهالي كمشيش كانوا رجال أمن «مستبدين» والذين علقوا المشانق وضربوا الأبرياء بالسياط كانوا رجال أمن «مستبدين» والذين تستروا على جرائم الاختلاس والرشوة كانوا مستبدين أيضا!

لا يا سيدي! مصر ليست في حاجة إلى رجال شرطة مستبدين..

إن الاستبداد هو الذي يخلق أعتى المجرمين! ومصر اليوم لا تريد الا حراس القانون! وكل المجرمين واللصوص والمنحرفين الذين تسمع عنهم الآن هم للأسف تلاميذ مدرسة الاستبداد!



مات ملك الصحافة !

مات لورد طومسون ملك الصحافة في العالم ، الرجل الذي بدأ حياته يبيع الصحف في الشوارع ومات وهو يملك ١٤٨ صحيفة و١٣٨ مجلة في أنحاء العالم ! والذي كان وهو شاب يبيع أجهزة الراديو كبائع متجول ، وأصبح يملك مائة محطة تليفزيون وإذاعة في أنحاء العالم !

قال لي مرة إنه ولد من أسرة فقيرة جدا في كندا . اضطر أن يشتغل كناسا ليحصل على مصاريف تعليمه . اشتغل صبيا في صالون حلاقة وطرده صاحب المحل لأنه يجرح ذقون الزبائن ، ذكر لي انه تعلم من الناس وان الناس هم أكبر جامعة في العالم !

كانت هوايته الأولى هي شراء الصحف . أي صحف . لا يهمه اللغة التي تصدر بها ، أذكر انه ذهب مرة لزيارة الرئيس جمال عبدالناصر في بيته بمنشية البكري وفوجيء عبدالناصر باللورد طومسون يعرض عليه شراء جريدة الاجيبشان جازيت وهي الجريدة التي تصدر بالانجليزية بالقاهرة ويملكها الاتحاد الاشتراكي ..

وقال له الرئيس : هذه الجريدة تخسر !

قال طومسون : سوف أجعلها تكسب .. ان صناعتي تحويل الجرائد الخاسرة إلى جرائد رابحة !

وقال لي لورد طومسون يومها إنه لا يقرأ الصحف التي يملكها ، إنه فقط يقرأ ميزانياتها ! وإنه لا يتدخل في تحريرها .. كل ما يحدث إذا رآها خاسرة ، أن يقترح تغيير رئيس التحرير والمدير العام !

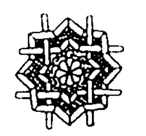
ولكنه خرج عن هذه القاعدة عندما امتلك جريدة التيمس ، وكانت تخسر ملايين الجنيهات سنويا ، ورفض أن يبيعها أو يغلقها ، وقال : إن إصدار جريدة عظيمة يساوي خسارة عدة ملايين كل سنة !

وتتساءل الأوساط الصحفية في العالم ماذا سيحدث لجريدة التيمس بعد وفاة ملك الصحافة ؟ هل سيقبل ابنه الوريث أن ينفق هذه الملايين كل سنة من أجل أن يشعر أنه يصدر جريدة عظيمة ؟!

بعض الناس يشعرون بسعادة حين يضحون بحياتهم كلها من أجل إصدار جريدة عظيمة !

وبعض الناس لا يشعرون بأن الجريدة العظيمة تساوي القرشين اللذين دفعهما فيها !

هذا هو الفرق بين عشاق الصحافة والذين لا يهتمون بها !



الذين ينصبون على العرب!

لا يجوز أن نحكم على كل العرب بأخطاء بعض العرب ، كما لا يجوز أن نحمل مصر كلها خطيئة بعض الأفراد المنحرفين فيها!

ونحن نسمع الآن من اخوتنا السياح العرب أشياء مذهلة عما يلاقونه من عمليات نصب واستغلال وسوء أدب من بعضنا!

وليس ذنبنا أنه يوجد بيننا بعض المحتالين وبعض النصابين وبعض المنحرفين ، ففي كل بلد يوجد هذا النوع من الأفاقين ، ولكننا نكون مذنبين حقا عندما لا نطارد هؤلاء الذين يسيئون إلى مصر وإلى سمعتها وإلى مواردها من العملة الصعبة!

بعض هؤلاء لا يفرق بين التجارة وبين النصب والاحتيال والابتزاز. وبعضهم يتصور أن الشطارة هي أن يعصر السائح العربي ويمتص دمه حتى إذا خرج من مصر أقسم ألا يعود إليها!

وبعضهم إذا باع شيئا لسائح بخمسة قروش ، وأعطاه السائح مائة قرش ، يرفض أن يعيد إليه الفكة ، متصورا أن واجبه الوطني أن ينهب كل سائح أجنبي!

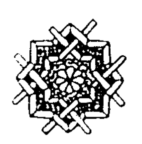
وبعضهم يسيء أدبه مع السائح ، ويعامله كأنه ضيف ثقيل ، جاء إلى مصر وأنه يريد أن يشترينا بفلوسه.

وأحب أن أقول لاخواننا العرب الذين يشكون من هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق إنهم ليسوا وحدهم ضحاياهم ، بل إن المصريين أنفسهم يلاقون الأمرين من سوء المعاملة ، من بعض الناس الذين يتوهمون أن معنى الحرية هو الوقاحة وقلة الأدب..

وهذه روح لم تكن أبدا موجودة في بلادنا ، بل هي نتيجة لسنوات القهر والحرمان والاستبداد. ولا شك أنها سوف تختفي مع الأيام.

ولكن يجب أن يعلم المسؤولون عن السياحة أن التهاون مع هؤلاء البلطجية الذين يبيعون مثلا تذكرة حفلة عبدالحليم حافظ عدة مرات سينتج عنه ، أن كثيرين سوف يطفشون من مصر ولا يعودون إليها!

واجب الشرطة ليس القبض على بائع خيار يزحم الطريق ، وإنما واجبها أولا أن تقبض على اللصوص والأفاقين والمحتالين الذين يملأون ردهات الفنادق والحفلات الساهرة ويقتنصون السياح العرب ويفعلون بهم ما تفعل الذئاب بالشاه أو ما يفعل اللئام مع الأيتام!



ذكرى سعد زغلول!

كان ذلك منذ ٤٩ سنة!

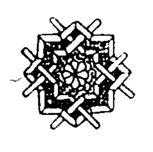
في مساء يوم يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٧ مات سعد زغلول. وتقدمت أم المصريين صفية زغلول وغطت جسمه بملاءة بيضاء. وخرج الأطباء الذين يعالجونه من غرفة نومه منكسي الرؤوس. فشل الطب وفشلت دعوات الملايين. ولو كانت حقنة البنسلين اكتشفت في تلك الأيام لأمكن إنقاذ حياته..

وكان واضحا لنا في عصر ذلك اليوم أن الأطباء يئسوا من شفائه. وكان سعد يشعر بدنو أجله وأرادت صفية زغلول أن ترفع من روحه المعنوية فانحنت عليه وقالت له وهي تخفي دموعها: «أنت بخير يا سعد». وقال سعد في صوت متحشرج: «أنا انتهيت. مفيش فايدة»! والتقط خصوم مصر كلمة «مفيش فايدة» وراحوا يدعون أن سعد زغلول يقصد منها أنه لا فائدة من هذا البلد! وأصبحت هذه الكلمة هي شعار المتخاذلين اليائسين غير المؤمنين بقوة هذا الشعب. وكان هذا عكس روح سعد زغلول فسر قوته أنه فلاح مصري فيه من صلابة الصخر الذي صنع الأهرام، وفيه من اندفاع المياه التي تجري في نهر النيل.

وهذا الايمان بقوة الشعب المصري هو الذي جعله يقود ثورة على أقوى دولة عظمى في العالم. قبل أن تتحرك الهند أو تتحرك تركيا أو تتحرك اليونان أو يتحرك أي بلد عربي أو أي بلد في الشرق الأوسط.. وكان تحديده لأن يتحرك يوم ١٣ نوفمبر أي بعد ٤٨ ساعة من انتصار بريطانيا وهزيمة ألمانيا. وسجود الدنيا كلها لأكبر امبراطورية في العالم لا تغيب عنها الشمس!

ولم يخيب هذا الشعب ظن زعيم الشعب. كان الشبان يعلقون في المشانق وهم يهتفون بحياته، وكان الشهداء يسقطون صرعى الرصاص وهم يعلنون تمسكهم بمبادئه وكانت الزوجة تطلق من زوجها لأنه لم ينتخب مرشح سعد زغلول! وكانت الفلاحة المصرية تبيع كردانها الذهبي لتقدمه لقيادة الثورة لتنفق منه، عندما وضع الانجليز أموال جميع قادة الثورة تحت الحراسة حتى تتوقف الثورة وتصاب بالشلل! ولم تتوقف الثورة لحظة واحدة. ولم يكن أحد من رجالها يتقاضى مرتبا. كان الناس تنفق من قوتها على السياسة، لا تقتات من السياسة!! كانوا يذهبون إلى الموت وكأنهم مدعوون إلى حفلة ساهرة! كانوا يتزاحمون على التضحية وكأنها أكبر مناصب الدولة!

عشت زمنا كان الشهيد هو أعظم رجل في مصر!



لا يمكن أن تزرع وردة أثناء العاصفة !

في كل يوم يطرق بابي رجال أعمال أجانب وعرب ومصريون يسألونني: هل أنت متأكد أن الانفتاح «جد»؟ وهل لن تعود عقارب الساعة إلى الوراء فتؤمم كل شركة ناجحة وتضع الحكومة يدها على كل مشروع ناجح، وتفرض الحراسة على الناس، وتصادر الأموال بغير محكمة و بغير قانون؟!

ولا أثور على هذه الأسئلة الساذجة، وأعذر أصحابها، فأنا أعلم أن رأس المال جبان، ما حدث في الماضي هو رأس الذئب الطائر الذي يتعظ الناس بما حدث له عندما قال رأيه بصراحة لأسد الغابة!

أنا أعرف أن من حقهم أن يثقوا و يتأكدوا قبل أن يضعوا أموالهم في أعمال جديدة.

وكما أنه لا يمكن أن تزرع وردة أثناء العاصفة، فانك لا تستطيع أن تستثمر أموالك في بلد كل يوم فيه قانون جديد يلغي قانونا قديما! ولا تستطيع أن تبني بيتا فوق بركان مهدد بالانفجار. ولا تستطيع أن تقيم مصنعا في منطقة ستتحول إلى ميدان قتال! كل هذه احتمالات يضعها صاحب رأس المال أمامه، و يقلبها، و يدرسها، و يسأل فيها و يستشير، وكثيرا ما تصرفه مسألة تافهة عن مشروع كبير!

أذكر منذ بضع سنوات وصل أحد كبار الألمان إلى مصر ومعه مشروع ضخم لبناء فنادق في القاهرة ونزل في فندق مشهور وسرقت حقيبة يد زوجته من غرفتها في الفندق، وإذا بالرجل يطوي مشروعه و يعود إلى بلاده في أول طائرة و يلغي مواعيده مع وزير المالية وكبار المسؤولين! وقال إن زوجته كرهت مصر لأنهم سرقوها فيها، وإنها قررت ألا تعود إليها و لهذا فهو لا يستطيع إقامة مشروع في بلد ترفض أن تزوره زوجته، وإذا كانت الدولة لم تستطع أن تحمي كيس نقود زوجته فكيف تحمي مشروعه الكبير! وأحد كبار الصناعيين الفرنسيين عاد مرة إلى بلاده لأن أحد موظفي المطار أساء معاملته، وكان الفرنسي الكبير جاء يحمل مشروعا لإنشاء مصنع للاتوبيسات في مصر.

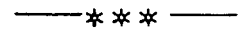
وهذه أسباب تافهة عندي وعندك ولكنها كبيرة جدا عند الرجل الذي يريد أن يستثمر أمواله في بلد غريب! ابتسامة قد تضاعف حجم المشروع، وكلمة باردة من موظف صغير في إدارة إحدى الوزارات قد تقضي على مشروع كبير!

المحتاج قد يتحمل أن تستقبله بالشتم والسب والإهانة، ولكن صاحب رأس المال اعتاد في بلاد أخرى أن يستقبل بفرش الرمل وأقواس النصر والزغاريد!

وخبراء الانفتاح يقولون لنا إنهم لا يطلبون منا أن نحمل أصحاب المشروعات الجديدة فوق رؤوسنا، بل كل ما يطمعون فيه ألا ندوسهم بالأقدام!

نحن لا نطالب بأن تكون المعاملة الحسنة لأصحاب الملايين وحدهم، نريدها للجميع على حد سواء!

ولحسن الحظ أن مدرسة ضرب الناس «بالجزمة» تنقرض يوما بعد يوم!



الاستفادة من الكوارث !

كانوا يقولون في الماضي إنه تحت كل طوبة في مصر بقال يوناني ! وسوف يجيء يوم يقال فيه : إنه تحت كل طوبة في الدنيا عالم مصري .. وفي كل يوم أتلقى رسائل من مختلف بلاد العالم عن شبان مصريين تفرقوا في البلاد الأخرى ، وحققوا نتائج علمية باهرة، وعرضت عليهم مناصب مرموقة في مؤسسات وشركات عالمية كبرى !

ولقد كنت دائما أؤمن بمبدأ يقول : « ضرورة الاستفادة من الكوارث » فإذا ووجهت بكارثة لا أكتفي بالبكاء على ما أصابني، بل أفكر كيف أستفيد منها وأتغلب عليها ، وأحولها من هزيمة إلى نصر..

و يبدو أن جيل الستينات الذي ووجه بالقهر والحصار والتضييق والتهديد كان يؤمن بهذه النظرية، لأنه انطلق وراء الحدود يجاهد و يكافح و يتعلم و يتثقف و يغامر حتى تغلب على العقبات والصعاب ، وحتى صمد للمطارق التي كانت تهوى على رأسه وترغمه على الركوع والاستسلام !

استطاع هذا الشباب بفضل ما في أعماق المصري من التحدي ، ورفض الهزيمة ، والإصرار على المقاومة ، أن يحتل مراكز هامة في كثير من فروع الاقتصاد العالمي ..

ومنذ أيام قابل أحد أساتذة كلية العلوم في جامعة الرياض مندوب شركة فيليبس العالمية .. وطلب منه الاستاذ المصري أن تقدم الشركة خبيرا عالميا يضع دراسة عن إقامة مشروع مستشفى على أحدث طراز في القاهرة.

وغضب المندوب الهولندي ، وظن أن الاستاذ المصري يسخر منه وقال له : كيف تقول لي هذا ؟ ألا تعلم أن المستشار الفني للشركة في هذا الموضوع هو مصري اسمه « فلان » وهو يقيم في القاهرة !

فلم يتصور الهولندي أن أحدا في مصر لا يعلم أن أعظم خبير في هذا الفرع هو شاب مصري !

عندما أرى شباب بلادي يحتل هذه المراكز الهامة في المراكز العلمية والجامعات والأعمال الكبرى ، أحس أن أعلام بلادي مرفوعة في كل ركن من أركان الدنيا !

في استطاعتك يا ولدي أن تكون إحدى هذه الرايات الخفاقة !

اقرأ كثيرا .. ادرس كثيرا .. اعمل كثيرا !

* * *

ليلة القدر !

منذ سنوات طويلة خطر ببالي وببال علي أمين أن نحقق لبعض قرائنا بعض ما نستطيع من آمالهم وأحلامهم! وطلبنا إليهم أن يكتبوا لنا بما يتمنون... ولم نخبرهم بما ننوي أن نفعله بأحلامهم. ثم اتفقنا أن نحاول تحقيق بعض هذه الأحلام الممكنة في ليلة القدر. وألفنا لجنة من محررات دار أخبار اليوم تفحص الأمنيات وتختار منها حوالي مائة أمنية، في حدود ميزانية قدرناها.

وفي ليلة القدر من كل عام كانت تطرق محررات أخبار اليوم عددا من البيوت السعيدة. هذا تعطيه فراشا، وهذه تعطيها طقم أسنان، طفل يتسلم دراجة، أم تتلقى تليفزيونا وهكذا..

وأقبل عدد من أهل الخير يشاركوننا في تحقيق هذه الأماني.. ونجحت الفكرة وحولت كثيرا من الليالي التعسة إلى أيام سعيدة!

وفجأة صدرت الأوامر بوقف ليلة القدر!

لماذا؟

لأنها ضد الاشتراكية! وذهلنا.. هل الاشتراكية ضد إسعاد التعساء؟ هل هي ضد ابتسامة على شفتي طفل؟ هل هي ضد تحقيق أمنية فقير جائع؟ هل هي تعارض شراء كتب لطالب في الجامعة؟ هل هي ضد إيفاد طلبة الدبلوم في كلية الهندسة للتمرن في مصانع رولزرويس في انجلترا!!

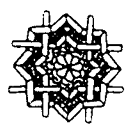
وهكذا ألغيت ليلة القدر عدة سنوات في أخبار اليوم! وفجأة وجدناها تظهر في الاذاعة والتليفزيون ولم يستطع أحد أن يفتح فمه ويقول: هل ليلة القدر حرام في أخبار اليوم وحلال في الاذاعة! وهل هي رأسمالية في أخبار اليوم واشتراكية في التليفزيون!

وإذا بها نفس حكاية التركي المفلس الذي جلس أمام جامع السيدة زينب ووضع أمامه عددا من القلل وراح يصدر الأوامر اشرب من هذه.. ولا تشرب من هذه!

ثم عادت الحرية!

وعادت معها ليلة القدر!

أكتب إلى أخبار اليوم أمنيتك واكتب على المظروف «ليلة القدر».



الرئيس الرذيل !

أحرجني بسؤاله! هل أنصحه أن يطبق القانون أم يساير «الكوسة»؟ لقد اختار في عمله الجديد أن يطبق لائحة العمل بحذافيرها فأصبح في نظر مرؤوسيه الرئيس الرذيل ثقيل الدم، الذي يتمنى الموظفون أن يصدمه أتوبيس في طريقه إلى العمل، أو أن يقبض عليه في تهمة، أو تجيء له مصيبة من السماء!

وهو يقول لي إنه يعامل مرؤوسيه نفس المعاملة التي يعامل بها الرئيس مرؤوسيه في أي مكتب مماثل في أوربا وأمريكا! هناك يعاقبون الموظف الذي يقرأ الصحف في مكتبه أو يحل الكلمات المتقاطعة، أو يحول المكتب إلى صالون! هناك لا يجرؤ موظف على التوقيع على الساعة ثم التزويغ من العمل! هناك لا يستطيع أن ينصرف موظف أو موظفة من مكتبه قبل الساعة المقررة بدقيقة واحدة!

ولقد أراد أن يطبق هذه القواعد فقامت الدنيا عليه، وأصبح شخصية مكروهة ملعونة، وهدده بعض مرؤوسيه أن يضربه علقة إذا أصر على تطبيق القانون!

قلت له: لا تنس أن هناك لا توجد أزمة مساكن! لا يقف الموظف أو العامل ساعات في انتظار الأتوبيس! لا يركب الأتوبيس ويتشعلق على السلم كبهلوان. لا يصل إلى مكتبه وأعصابه محترقة من الشتائم التي سمعها. هناك لا يغوص في بحيرات من المجاري في طريقه إلى عمله. لا يستيقظ في الصباح ويفتح الحنفية فلا يجد ماء! لا يركب المصعد فيتوقف به بين الطوابق! لا يستيقظ في الصباح المبكر على صراخ الباعة المتجولين ولا على صوت الراديو وهو يصرخ في أذنه بأنكر الأصوات! هناك لا يبقى الموظف نصف ساعة يطلب مكتبه فتجيب مرة وزارة الأوقاف ومرة سوق الخضار ومرة مستشفى الأمراض العقلية!

إننا يجب أن نعلّم الناس من جديد احترام العمل. وهذه مهمة يجب أن نبدأها كلنا معا في كل فرع من الفروع. غير معقول ألا يجد الموظف كرسيا يجلس عليه ثم أحاسبه على أنه زوغ من العمل! غير معقول أن يرى مكتبه لم ينظف منذ أسبوع وأحاسبه على الهروب من صندوق الزبالة الذي يعيش فيه. غير معقول أن أضع جاهلا رئيسا لمكتب ثم أحاسب حاملي شهادة الدكتوراه من مرؤوسيه أنهم يجلسون يحلون ألغاز الكلمات المتقاطعة!

إن شوارع القاهرة المزدحمة في الصباح بالمزوغين والمزوغات دليل على أن الإدارة في بلادنا في حاجة إلى إعادة إنشاء من جديد!



الزوجة المسجونة !

شكت لي زوجة شابة أنها عاشت في القاهرة ٦ سنوات ولم تر مدينة القاهرة! لم تر أهرام الجيزة! لم تر الشارع!

ثم تعود وتتذكر أنها خرجت في خلال هذه السنوات مرتين في سيارة مغلقة، مرة لتذهب إلى مستشفى الولادة لتضع طفلها، ومرة ثانية ذهبت مع زوجها إلى طبيب للعلاج!

وهي تقرأ عن مدينة القاهرة في الصحف فتتخيل أنها مدينة الأحلام، أو أنها مدينة في الجنة. وتسمع عن دور السينما والمسارح كأنها تسمع عن قصص خيالية في ألف ليلة وليلة!

وزوجها يتصور أن الزوجة المحترمة هي التي لا تخرج من باب بيتها، أو تطل من الشباك، أو تستقبل جارة لها. وهو يعتقد أن البعد عن الناس غنيمة، وأن أي امرأة تخرج إلى الشارع معرضة أن يهاجمها الذئاب أو ينقض عليها لصوص الأعراض. وأنا أرى أن من حق كل إنسان أن يفكر كما يشاء، وليس من حقي أن أدس أنفي في خصوصيات الناس. ولكنني لا أتصور أن تحويل بيت الزوجية إلى سجن يحوله إلى قلعة للأخلاق الفاضلة. وأعتقد أن هناك فرقا كبيرا بين الزوج «الحمش» والسجان! من حق كل زوج أن يضع شروط حياته الزوجية، ولكن هذه الشروط يجب أن تكون مبنية على الاحترام. لا على أن الزوجة هي جارية يستعبدها، أو أسيرة حصل عليها في معركة حربية. إننا رأينا زوجات من أفضل نساء الدنيا يعملن في الحياة العامة، وكن دائما محل إجلال واحترام. وعشنا مع فتيات عاملات شريفات طاهرات يخرجن إلى الشارع في الصباح و يعدن إلى بيوتهن في المساء، و يعملن طول اليوم جنبا إلى جنب مع الرجل فلا يخدش أحد حياء واحدة منهن بكلمة نابية، ولا يعاملها زميلها العامل إلا أنها أخته أو أمه أو ابنته! وإذا كان هذا الزوج لا يحب أن تخرج زوجته وحدها من بيته فهذا حقه. ولكن واجبه يحتم عليه أن يخرج معها، أن يذهب بها إلى الحدائق، أن يصحبها إلى السينما، أن يمشي معها أمام المحلات التجارية لتشتري ما يستطيع أن يدفع ثمنه!

أما الرجل الذي يشعر بالعار والخجل إذا مشى مع زوجته في الشارع فلا أنصحه أن يتزوج أبدا!



خفة الدم .. وقلة الأدب!

نحن شعب خفيف الدم، ولكن هناك فرقا هائلا بين خفة الدم وقلة الأدب!

هذه الألفاظ البذيئة التي نسمعها في الشوارع ودور النينما والتي يتبادلها الأصدقاء لا تدل أبدا على سرعة بديهة ولا على خفة روح وإنما تدل على انحطاط الذوق.

ولقد كان القانون يعاقب على من يخدش الحياء والاعتبار، ثم نسيت الشرطة هذه المادة عندما رأت كبار رجال العرب يتبادلون السباب والشتائم ــ على ما يظهر ــ ولم نسمع مرة واحدة أن شرطيا قبض على شاب لأنه تلفظ بلفظ ناب في شارع، مع أنني أعتبر هذه الكلمات التي أصبحنا نسمعها كثيرا في هذه الأ يام هي ما يجب أن يطلق عليه الفعل الفاضح العلني في الطريق العام، وهي أكثر خدشا للحياء من رؤية شاب يقبل فتاة في محطة الأ توبيس!

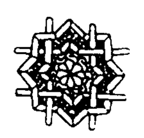
وكثرة الألفاظ النابية تدعونا إلى أن نطالب الأطباء النفسيين ببحث هذه الظاهرة، فمنذ أكثر من عشر سنوات لم نكن نسمع هذه الألفاظ إلا نادرا، قد نسمعها في عدد قليل من الأ زقة، ولكن كثيرا من الأ زقة كانت تعتبر هذه الألفاظ «عيبا» لا يجوز التلفظ بها أمام النساء والأطفال! ولقد هالني مرة أنني كنت في مكتب أحد مراكز القوى منذ أكثر من عشر سنوات، وكان يتحدث في التليفون مع أحد سفراء مصر في الخارج، و يبلغه تعليمات رسمية بما يجب أن يقوم به من أعمال ديبلوماسية..

وسأله السفير: هل هناك أوامر أخرى يا أفندم؟

وإذا بمركز القوى هذا يقول له كلمة نابية جدا لا تخطر على البال!

وسمعت من الطرف الآخر في التليفون السفير المصري يقهقه، و يعتبر هذه الكلمة النابية «عطفا ساميا» و«شرفا ما بعده شرف» دليلا على أنه أصبح موضع ثقة مركز القوى!

ولهذا يجب أن نحارب هذه الكلمات البذيئة في البيوت والمدارس والأندية.. والوزارات أيضا!



اختفاء صبي الورشة!

كان «صبي» الورشة هو معلم المستقبل! هؤلاء العمال المهرة الذين برزوا وتفوقوا وقامت على أكتافهم أعظم الحرف وأدق الصناعات كانوا صبيانا عند ميكانيكي صغير، أو ترزي غير معروف، أو ورشة مجهولة.

شربوا المهنة وهم أطفال صغار من أسطوات كبار. وكان هؤلاء الأسطوات هم معاهد التدريب والجامعات الفنية الصناعية وهم الذين أفرخوا أمهر عمالنا وصناعنا وأصحاب الحرف عندنا..

كم من أم صحبت طفلها البالغ من العمر ثماني سنوات إلى جراج ميكانيكي، وطلبت من أسطى الجراج أن يضع الولد تحت رعايته.

ألوف بدأوا صغارا جدا.. يمسحون البلاط. ينظفون الآلات. يلمعون النوافذ. ثم قفزوا بعد ذلك إلى الصناعة فأجادوها وجددوا فيها، وعشقوا الآلات التي يعملون أمامها فعشقتهم.

في ظل هذا الحب المتبادل أمكن للصناعة المصرية أن تتفوق وتغزو الأسواق العالمية وتنافس صناعة الدول المتقدمة!

كانت السيجارة المصرية في يوم من الأيام أعظم سيجارة في العالم. كان الحذاء المصري أمتن حذاء في الدنيا. كان الحرير المصري أعجوبة الأسواق. كانت زجاجة العطر المصري حلم بنات أمريكا. كانت آلاتنا متخلفة وعمالنا متقدمين..

كان العامل المصري يعمل في جو غير صحي وبغير ضمانات وكان يلقى أشكالا وألوانا من العنت والاستغلال ومع ذلك كانت أصابعه تصنع المعجزات.

واليوم يشكو خبراء الصناعة في العالم من هبوط مستوى بعض أنواع الانتاج المصري، نتيجة أن كثيرين من العمال المهرة هاجروا إلى بلاد تدفع أضعاف ما ندفع للعامل الفني.

وقد كان من الممكن ملء الفراغ بإعداد أجيال جديدة من العمال ولكن اختفاء الصبيان أفقد الصناعة أكفأ عمالها. وقيل: إن القوانين التي وضعت لحماية الصبيان والتأمين عليهم هي التي جعلت الورش تستغنى عن خدماتهم.

ولا شك أنه يمكن التوفيق بين هذه الحمايةو بين عودة الصبيان ليفرخوا العمال المهرة الذين سيعيدون للصناعة المصرية أمجادها.

إن معاهد التدريب لا تكفي ولا تغني عن هؤلاء الصبيان الذين أذهلوا خبراء العالم بذكائهم وسرعة التقاطهم للصناعة وفهمهم لكل آلة جديدة، حتى أنهم يقولون: إن الصبي العامل المصري ممكن أن يستوعب في شهر ما يستوعبه عامل آخر في ستة أشهر أو تسعة أشهر!

إن معاهد تدريب الصبيان في بلادنا قليلة وليست كافية..

وليس لدينا الأموال الطائلة لفتح ألوف معاهد التدريب.

ولكن بقرار واحد ممكن إقامة ألوف معاهد التدريب في كل ورشة وكل دكان صغير في مصر!



كيف تشكو ؟

بعض الذين يشكون إلى المسؤولين يكتبون لي يسألونني كيف يكتبون شكواهم، ولمن يرسلونها، وما هو مصيرها؟

والذين يتوهمون أن الشكاوى تنتهي دائما إلى سلة المهملات لا يعرفون أن في مكتب كل مسؤول قسما خاصا يقرأ كل شكوى و يبحثها ويحاول أن يجد حلا لها.

وكل واحد منا يتصور أن شكواه لها حق في أن تسبق كل شكوى أخرى، وأنها الشكوى الوحيدة العادلة. التي لا تحتمل البطء أو التأجيل. ولا نعرف أن بعض المسؤولين يتلقى ألف خطاب كل يوم. ولا يستطيع عقلا أن يقرأ كل خطاب، ولدى عدد من الموظفين مهمتهم قراءة كل شكوى وتلخيصها وعرض ما يرون أنه أهم المشاكل وفي أحيان يخطيء هؤلاء الموظفون في تقديرهم بأن يسيئوا تلخيص الشكوى أو تكون قلوبهم من حجر!

حدث مرة أن قرأ سعد زغلول وهو رئيس. وزراء نبأ انتحار أحمد حلمي باشا وزير الزراعة السابق بأن أطلق على نفسه الرصاص ونجا بأعجوبة من الموت، وأسرع رئيس الوزراء مذهولا إلى المستشفى يسأل صديقه القديم لماذا انتحر؟ وقال الوزير المنتحر لسعد: أنت السبب! لقد أرسلت لك خطابا أقول لك: إن حالتي المالية سيئةوإنني في أشد الحاجة إلى المساعدة وإلا سأقتل نفسي. وعندما لم تهتم بنجدتي أطلقت على رأسي الرصاص!

وذهب سعد على الفور إلى مكتبه وتبين أن سكرتيره تلقى فعلا خطابا بامضاء أحمد حلمي وفيه التهديد بالانتحار. ولم يخطر ببال السكرتير أن المهدد هو وزير سابق! وقال سعد إنه يجب أن يعرض عليه خطاب أي فرد يهدد بالانتحار سواء كان شحاذا أو وزيرا! وقال للسكرتير: إنني مسؤول عن حياة كل مصري!

وإذا أردت أن تصل شكواك بسرعة اكتبها باختصار! الشكوى المطولة تضيع في الطريق بين الاختصار، و بين ضيق وقت المسؤول، والذين يتوهمون أن كثرة الكلمات تقنع الوزير لا يقدرون أن أي وزير في الدنيا ليس لديه وقت أن يقرأ خطابا من ١٠ صفحات!

اكتب شكواك باختصار. اكتبها بخط واضح. تذكر أن أغلب الوزراء من ز بائن أطباء العيون، يقفزون السطور إذا وجدوا الخط رديئا، والمعاني غامضة. والكمات بلا معنى!

إن كلمة «آه» تصرخ أعلى ألف مرة من خطاب مؤلف من ألف كلمة!..

***

«العز»
لا يقف أمام باب واحد إلى الأبد!

إذا كنت تواجه وحدك قوى هائلة فلا تفزع! أنت لست وحدك. الله معك والحق معك. وأنت مع الله والحق أقوى من كل سلطان، وأكبر من أي كبير، وأضخم من أي جبروت!

لا تهتز رعبا لأنك تقف على الأرض، وخصمك جالس فوق قمة الأهرام. لأنك ضعيف وهو جبار. لأنك لا ظهر لك ولا سند لك، وهو «مسنود» ومؤيد من كل القوى وكل الجهات!

لا تنظر إلى نفسك فترى ضآلتك.. ولكن أنظر إلى حقك فترى عظمته. لا تتوهم أن هذه القلاع الضخمة ممكن أن تحمي ظالما من مظلوم، أو تنصر صاحب القوة على صاحب الحق!

الأرض كروية. تدور وتدور بمن فوقها! العز لا يقف أمام باب واحد إلى الأبد. الذين يدوسونك اليوم بأقدامهم ستجدهم غدا تحت أقدامك. الذين يحاولون إذلالك بجاههم وسلطانهم سيصبحون غدا أذلاء يبحثون عن قلب يرحمهم أو يغفر لهم!

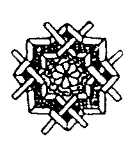
لم يحدث في التاريخ كله أن بقي حذاء طاغية يدوس إلى الأبد على رقبة إنسان مقهور.. فجأة يجد الظالم نفسه تحت الحذاء، ويجد المظلوم نفسه قد استطاع أن يسحق قوى ما كان يخطر بباله أنه يستطيع أن يقف أمامها!

اصمد! الفرق بين الشجاعة والجبن دقيقة واحدة! قدرتك في الاستمرار على المقاومة هي فرصتك لتحطيم قوة أكبر من قوتك.. الحرب ليست قتالا فقط، انها صمود واستمرار وصبر.. أنت بالايمان قادر وحدك أن تكتسح جوعا، الضعيف المؤمن أقوى ألف مرة من قوي لا إيمان له. وهذا الايمان يجعل منك قلعة تحتمي فيها، وتتلقى عنك السهام والضربات. لا تنظر إلى المرآة وترى فيها حجمك الصغير إلى جانب حجم خصمك العملاق! انظر إلى السماء ترى أنك أعلى منه! انظر إلى حقك تجد أنه أقوى منه!

أنت لست ضعيفا يا بني!

أنت قوي جدا..

الله معك!



توقفت كل ساعاتنا !

توقفت ساعاتنا. لم تعد تتحرك عقارب الساعات والدقائق والثواني. المحافظة على المواعيد أصبحت من بقايا الرجعية والإقطاع! الحرية هي أن أعدك بأن أجيء لزيارتك في الساعة العاشرة صباحا فأحضر إليك في الساعة الثانية عشرة ظهرا! أن أعدك بصنع حذاء لك في شهر فبراير فلا أسلمه لك إلا في شهر أغسطس. حتى القطارات التي كانت منذ عشرين سنة تصل في مواعيدها بالثانية، أصبحت تصل متأخرة أربع ساعات وأحيانا لا تصل على الإطلاق!

ونحن نخترع دائما الاعتذارات والأسباب. ولم يفكر جهاز الإحصاء في بلادنا أن يقول لنا إن تأخير المواعيد يكلف مصر آلاف الملايين من الجنيهات!

أصبحنا نعتقد أن من حق كل إنسان أن يكذب، وأن يحدد موعدا لا يلتزم به، وأن يعقد اتفاقا لا ينفذه، ومع الأيام أصبح هذا العبث واقعا تعودنا أن نعيش فيه. لا يدهشنا. ولا يذهلنا ولا نحاول أن نعبر هذا الحصار المضروب!

ما من حفلة غنائية تبدأ في موعدها. ما من ستار في مسرحية يفتح في الساعة المحددة في الاعلانات. ما من برنامج تليفزيوني يعرض في الموعد المنشور في الصحف. كأننا أقسمنا بالطلاق ألا نحترم موعدا، أو أننا اكتشفنا أن المحافظة على المواعيد لا تتفق مع كرامتنا!

وهذا العبث يحدث في كل المستويات حتى في اجتماعات اللجان الرسمية، ورحم الله أياما كان الواحد منا يعتذر عن خمس دقائق تأخرها عن الموعد المحدد..

حدث منذ أيام أن طلب أستاذ في الجامعة أن يقابلني وحددت له موعدا في مكتبي في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت..

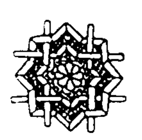
ولم يحضر في الموعد..

وفي يوم الخميس الساعة العاشرة صباحا جاء يطلب مقابلتي..

وخجلت منه واستقبلته! وفوجئت به لا يعتذر بكلمة واحدة عن أنه تأخر خمسة أيام كاملة عن موعدنا! وعاتبته لأنه لم يحضر ولم يعتذر!

وإذا به يقول لي: ما تبقاش يا أخي دقة قديمة! مواعيد إيه؟ وساعات إيه؟ ده كلام بتاع زمان!

وأحسست في هذه اللحظة أنني فعلا من قدماء المصريين!!



الذي يلعن الدنيا .. تلعنه الدنيا !

قال لي إنه فشل في كل شيء! فشل في دراسته، فشل في حياته .. فشل في عمله، فشل في زواجه. فشل في أن يكون له أصدقاء! وهو لا يعرف لماذا يلاحقه الفشل في كل مكان يذهب إليه. الذهب يتحول بين يديه إلى تراب. الصفقة الرابحة لا يكاد يتولاها حتى تخسر. الزهرة لا يكاد يمسكها بيده حتى تذبل!

قلت له لابد أن فيك عيبا يجعل الفشل يتبعك إلى كل مكان!

وأقسم أن لا عيب فيه، وإنما العيب في الناس، كل الناس سيئون، كلهم لا يحبون الخير لأحد، كلهم يحملون سكاكين خلف ظهورهم، ولا يكاد يدير ظهره لهم حتى تنهال عليه عشرات السكاكين!

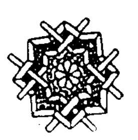
وأحسست أن الرجل الذي أمامي مريض. إنه ينظر إلى الدنيا من ناحيتها الشريرة القبيحة السوداء. يرى الشوك ولا يرى الورد! يرى البقع في الفستان ولا يرى الفستان الجميل.. قلت له أحسب أنك عندما تمشي في الشارع لا تبحث عن وجه جميل تستمتع به، وإنما تبحث عن عاهة ترثي لها! عندما تقرأ الجريدة تبدأ بصفحة الوفيات! عندما ترى زفة عروس في الشارع تدير وجهك إلى الناحية الأخرى. عندما تزور مدينة تبحث عن الحفر في الطريق! ولا تتطلع إلى الأبنية الجميلة حولك! وفتح الرجل فمه دهشة وقال: هذا صحيح! كيف عرفت عني كل هذا؟

قلت: إننا عادة نطل في المرآة فنرى وجها شريرا فنقول إن كل الناس أشرار وننسى أن هذا الوجه هو وجهنا نحن! ونطل مرة أخرى في المرآة ونقول إن كل الناس خبثاء، وننسى أننا نحن الخبثاء! فنحن عندما نحكم هذه الأحكام الظالمة على الناس إنما نصف أنفسنا!

الذي يلعن الدنيا تلعنه الدنيا. والذي يبتسم لها تبتسم له. والذي يحبها تحبه. والذي يمقت الناس إنما يدعو كل الناس إلى كراهيته وازدرائه فاذا أردت أن تغير ما حولك فابدأ بنفسك! أنت الدنيا.

لا تقل : لماذا لا يحبني الناس؟

قل أولا : لماذا لا أحب الناس؟



فيلم الرسالة !

شاهدت فيلم «الرسالة» في إحدى دور السينما في لندن. إنه يعرض في ١٢ دارا للسينما في وقت واحد. و يعرض باللغة العربية في دار سينما كيرزون. لم أصدق وأنا أشهد الفيلم. لا يمكن أن يكون هذا هو الفيلم الذين منعناه وهاجمناه ولعناه! لم أشهد طوال حياتي فيلما يشيد بالاسلام و يدعو إليه كهذا الفيلم، على كثرة الأفلام الاسلامية التي صورناها وسمحنا بعرضها، لم أشهد فيلما يصور مباديء الاسلام ومثله وتعاليمه وقيمه ومعانيه كهذا الفيلم. لم أقرأ مقالا لأي عالم من علمائنا الأجلاء يدعو لهذا الدين العظيم، و يوضح مزاياه بهذه القوة وهذا الوضوح.

أفهم أن يعارض هذا الفيلم كل ملحد وكل عدو للدين. ولكن لا أفهم أن يعترض مسلم على فيلم يصور ما تحمله الذين آمنوا بمحمد من تعذيب واضطهاد ومطاردة وتشريد. وهم مصممون أن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله. أفهم أن يقاوم هذا الفيلم الذين لا يريدون أن تعلم الدنيا بطولة المسلمين الأوائل، وصمودهم وقوة إيمانهم، وصبرهم على الطغاة، ثم انقضاضهم على كل طاغية وكل ظالم وكل جبار..

الفيلم يهز مشاعر كل من يشاهده.. يجعلك تشعر بفخر أنك مسلم. رأيت كثيرين من غير المسلمين يبكون وهم يشهدون هذا الفيلم. عرفت أن عددا من غير المسلمين اعتنقوا الإسلام عقب مشاهدتهم هذا الفيلم. أحسست أنه يساوي أن ينفق عليه المسلمون مئات الملايين من الجنيهات لتعرف الدنيا ما هو الاسلام، وانه دين رفع شأن المرأة، ومنع التفرقة العنصرية، ودعا إلى المساواة، ونادى بالحرية والعدل والديموقراطية، أرسى قواعد المروءة والشهامة حتى في معاملة الأعداء، واحترم الأديان الأخرى، وحرم التعصب.. ورحب بالاخاء بين كل المؤمنين بالله مهما اختلفت أديانهم.

كل هذا واضح في صور الفيلم وقصته، ولم تظهر في الفيلم صورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا صوته، ولا أحد من الصحابة.. كل ما رأيناه هوسيف علي بن أبي طالب دون أن نرى صورته..

الذين هاجموا الفيلم لم يروه... أو ربما لم يروه في صورته التي رأيناه بها..

إن الفيلم لن يخسر شيئا إذا لم نعرضه في مصر! وإنما سوف يخسر المصريون الذين لم يشاهدوا فيلما عظيما يشيد بدينهم العظيم.



شيئ مذهل !

سافرت إلى باريس ولندن في الأسابيع الماضية. رأيت العجب الذي لا يخطر على البال! صدق أو لا تصدق.. أقمت في فندق، فتحت الحنفية ونزل الماء صافيا ليس فيه عكارة، ولا هباب اسود. ولم تنقطع المياه أثناء الاستحمام! أمسكت التليفون فوجئت بالحرارة موجودة. أدرت القرص فجاء الرقم صحيحا، تمت المحادثة دون أن يدخل أحد في الخط!

أضأت مفتاح الكهرباء أضيء النور وبقي الضوء يملأ الغرفة، ولم تنقطع الكهرباء.

فتحت التليفزيون فوجدت الارسال مستمرا. انتظرت لافتة «نعتذر لانقطاع الارسال» لم تظهر اللوحة حتى انتهى البرنامج. نزلت إلى الشارع فأشرت إلى أول تاكس فحدثت المعجزة ووقف. ولم أر في لندن ولا في باريس اختناقات المرور رغم ملايين السيارات. وأردت أن أتحدى نفسي وركبت سيارة أوتبيس ووجدت مكانا، ولم أقم بأي حركة بهلوانية من أجل أن أحصل على مقعد.

ومشيت على قدمي في الشارع فلم أجد حفرة واحدة ولا خندقا واحدا! ورأيت جنازة لم تعطل المرور، ولم أسمع صراخا ولا عويلا، ولم أسمع ميكروفونات تعلن عن المأتم وعن وفاة المرحوم! الناس تتكلم همسا. ودخلت محلا تجاريا وقابلني صاحب المحل بأدب ولم يشتمني ولم يطردني، ولم يرغمني على شراء شيء..

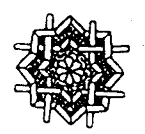
ومشيت أعجب لما أرى ثم دخلت في شارع جانبي فوجدت سيدات يجلسن على الأرصفة، وقد ارتدين ملايات لف سوداء، ووجدت أطفالا يلعبون نطة الانجليز في نصف الشارع، ووجدت ألبسة وكلسونات معلقة في النوافذ والبلكونات!..

وظننت أنني ركبت بساطا سحريا أعادني إلى القاهرة!

ولكني علمت أنني مررت بأحد الأحياء التي يقيم فيها الآن في لندن أثرياء العرب وأصحاب الملايين من إخواننا من المحيط إلى الخليج!

ولهذا لم أشعر بالغربة!

لا في باريس.. ولا في لندن!



الهرم الرابع !

خوفو بنى الهرم الأكبر. وخفرع بنى الهرم الثاني. ومنقرع بنى الهرم الثالث. ومحافظة القاهرة والجيزة بنت الهرم الرابع من أكوام الزبالة التي تتركها في الشوارع والتي لا يوجد لها مثيل في أي عاصمة في العالم. واذا كان المسؤولون قد عجزوا عن إيجاد حل لهذه الأكوام، فيجب أن نرسلهم في بعثة إلى عواصم العالم المتمدين ليتعلموا كيف تنظف المدن! أما السكوت على هذا العبث فهو ليس إهانة لمدينة القاهرة فقط، بل هو إهانة للشعب المصري !

إزالة أكوام القمامة لا تحتاج إلى عملة صعبة، ولا تحتاج إلى عقل الكتروني نستورده من الخارج، ولا تحتاج لعلماء في الذرة والتكنولوجيا لا يتوافرون في محافظة القاهرة والجيزة.

ماذا حدث في البلد حتى أصبحنا نسكت عن هذا الاهمال ؟ فلو حدث هذا في أي بلد آخر لحوكم المسؤولون جميعا، أو لصدر قرار باستبدالهم وتعيين من يتولون هذا المرفق، الذي يهدد بالأوبئة والأمراض والدمار والذي أصبحت تنشر مقالات وأبحاث في صحف العالم عن المدينة الجميلة التي تحولت فجأة إلى صفيحة زبالة !

يقولون إن سبب هذه الكارثة عدم وجود من يقبلون العمل في وظائف عمال نظافة ! هذا كلام فارغ.. يمكن علاجه برفع أجورهم ولكن السبب الأول أن النقود التي جمعت من الشعب من أجل النظافة لا تنفق من أجل النظافة إنما تنفق على مرتبات المديرين وكبار الموظفين وعلى سيارات جديدة للبهوات الذين يجلسون في مكاتبهم بلا عمل !

مطلوب إصدار قرار شجاع باعادة مصلحة التنظيم وانتزاع هذه الاختصاصات من محافظة القاهرة والجيزة. وانتزاع الميزانية وتعيين موظفين شبان صغار لإدارة المصلحة الجديدة، وتسريح جميع البهوات من الكناسين !

السياح الذين يزورون القاهرة الآن لا يلتقطون صور الآثار وانما يلتقطون صوراً لأكوام الزبالة... باعتبارها من عجائب الدنيا السبع !



العرب يحتلون أوربا وأمريكا !

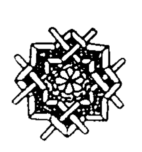
العرب بدأوا في احتلال أوربا ! في فرنسا وحدها مليون وأربعمائة ألف عربي . في بلجيكا ٤٠٠ ألف عربي بينهم ٨٠ ألف يملكون الشقق والبيوت التي يقيمون بها . في لندن الشوارع مليئة بالرجال العرب والنساء العرب والأطفال العرب . النكتة التي يرددونها في انجلترا اليوم أن الشرطة ضبطت في اكسفورد ستريت وهو الشارع التجاري رجلا يتكلم اللغة الانجليزية . وكثير من كبار أطباء لندن كتبوا أسماءهم على عياداتهم باللغة العربية . وتدخل المحلات التجارية وتذهل عندما تجد لافتات كبيرة مكتوبا عليها باللغة العربية «شرفتونا وأهلا وسهلا» ! وأصبح العرب يشترون كل ما تقع عليه عيونهم في لندن . إذا رأوا بيتا اشتروه .. إذا أعجبوا بقصر دوق بريطاني اشتروه ! أحدهم اشترى نادي الضباط في لندن الذي كان يجتمع فيه ضباط الطيران والبحرية والجيش في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهو ناد تاريخي له ذكريات في حياة الشعب البريطاني ! ونفت جريدة التيمس أعظم صحيفة بريطانية في صفحتها الأولى أن العرب سيشترونها !

والذي يحدث للعرب اليوم هو نفس الذي حدث للأمريكيين عقب الحرب العالمية الثانية عندما بدأوا يغزون انجلترا ، وأصبحوا بثرائهم يشترون أفخر السيارات وأضخم البيوت وأجمل النساء ، وأحس الرجل البريطاني بالغيرة والهوان . وتحدثت الصحف البريطانية عن الرجل الأمريكي القبيح قليل الذوق قليل الأدب الذي يمضغ اللبان و يشرب الكوكولا !

واليوم نقرأ حملات مماثلة على العرب في كل صحيفة بريطانية . وانبرت بعض الأقلام العاقلة تقول للشعب البريطاني إنه شعب فقير وإذا أراد أن يرفع قيمة الجنيه الاسترليني و يسدد ديونه ويحصل على العملة الصعبة و يرفع مستواه فعليه أن يرحب بالعرب كما هم بخرقهم للعادات والتقاليد والأصول الانجليزية ، و بفتحهم للراديو والتليفزيون بأعلى طبقة ، وبمشيهم بالجلاليب والبجامات في الشوارع ، و بامتناعهم عن شد السيفون في الفنادق الكبرى .. مادام الواحد منهم يملك مليون جنيه في يده !

وسوف يقتنع الشعب الانجليزي و يأخذ السياح العرب أصحاب الملايين بالأحضان .

وسيتولى الانجليز شد السيفون !



رائحة الظلم!

السجن له رائحة غريبة..

عندما دخلت زنزانة السجن لأول مرة شممت رائحة غريبة لم أعهدها وإذا بها نفس الرائحة التي شممتها بعد ذلك في زنزانة السجن الحربي، ثم في زنزانة سجن الاستئناف، ثم في زنزانة سجن القناطر ثم في زنزانة ليمان طره. رائحة عجيبة. لم أكد أشمها حتى شعرت أنني أدوخ ثم أختنق.

لا أستطيع أن أصف هذه الرائحة، فيها مزيج من العفونة، من النتن، من الموت، من ذلك الصهد الذي يلفح وجه المرء عندما يفتح باب قبر مهجور.

لعلها رائحة الظلم، رائحة أنفاس مئات من المعذبين، رائحة زفراتهم وأنينهم، رائحة دموعهم التي انهمرت ودمائهم التي نزفت، رائحة تعيش في الزنزانة ولا تتركها أبدا كأنها هي الأخرى مسجونة سجنا مؤبدا.

مهما فتحت النافذة أو فتحت الأبواب، هذه الرائحة تبقى ولا تزول.

وبعد قليل يكتشف المسجون أن هذه الرائحة ليست رائحة زنزانته فقط. إنما هي رائحته هو. رائحة كل المسجونين. رائحة كل السجانين. رائحة أنفاسهم أيضا.

ظننت في أول الأمر أن صدأ القضبان الحديدية على الجدران والأبواب والنوافذ هو الذي يحدث هذه الرائحة النتنة.

وجدت بعد ذلك أن هذه رائحة كل شيء في السجن. حتى الأشجار التي نراها. حتى الأرض التي نمشي عليها.

ومن الغريب أنني رأيت كثيرا من القطط تموت في الليمان، وأحضر مرة أحد المسجونين السياسيين بعض العصافير فماتت.

لم أكتشف أن الحرية لها رائحة حلوة، وأن السجن له رائحة عفنة إلا بعد أن دخلت إلى الزنزانة.

ما أطيب رائحة الحرية..!



دموع من بنكنوت !

قالت إنها تريد أن تقابلني لمسألة شخصية !

واستقبلتها في مكتبي، فاذا بها محامية شابة تقول لي إن شقيقها طيار استشهد، وأن أمها وأختها وهي يردن أن يفعلن شيئا من أجل ذكراه !

وتصورت أنها تريد أن ننشر نبأ الاحتفال بالذكرى في صفحة الوفيات، وإذا بها تقول: إن أمها فكرت هي وأختها أن يكون الاحتفال بالمساهمة في ليلة القدر، بمبلغ متواضع من أجل المرضى الذين في حاجة إلى علاج.

وسألتها عن المبلغ المتواضع.

فقالت في استحياء: إن والدتي وأختي تريدان أن تدفعا خمسة آلاف جنيه.. وأنا أريد أن أدفع ألف جنيه..

وفتحت حقيبتها وأخرجت مبلغ ستة آلاف جنيه نقدا وطلبت مني أن أعدها !

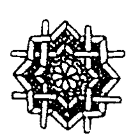
ورفضت أن أعدها لأن السيدة التي تفعل كل هذا من أجل فقراء لم تعرفهم ولم تسمع عنهم لا يجوز أن يعد أحد بعدها..

إن هذه الأم التي سكبت دموعها من أجل ابنها الوحيد أرادت أن تجفف دموع أكثر من مائة شخص لا تعرفهم! انها علمت أن أعظم تحية لذكرى إنسان تحبه أن تحاول مساعدة ضعفاء يحتاجون إلى المساعدة أو مرضى يحتاجون إلى العلاج. أو فقراء يحتاجون إلى أن نمد لهم أيدينا.

إن اسم الشهيد الذي يحيون ذكراه هو الطيار أحمد مدخت عامر وهو الابن الوحيد للسيدة ملك أحمد زكي قلاوون وكريمتها الصغرى الآنسة أركيد حنفي عامر، أما المحامية التي تبرعت بألف جنيه فهي كريمتها الكبرى السيدة سناء عامر رئيسة قسم القضايا في شركة التأمين الأهلية وحرم العقيد الدكتور مختار المهدي المستشار بجراحة المخ والأعصاب بمستشفى المعادي !

إن ليلة القدر ستزور أكثر من مائة مريض في هذا العام.

إنها أجمل باقة ورد توضع على قبر شهيد...



المؤمن بالله لا ييأس أبداً !

لا تقف عاجزا مشدوها أمام الكارثة التي تحل بك..

يجب أن تستفيد من الكوارث. قف على قدميك وابدأ من جديد.. إذا وجدت عشرة أبواب موصدة فادفع الباب الحادي عشر، فستجده ينتظرك مفتوح الذراعين! الفاشلون هم اليائسون. والناجحون هم الذين فشلوا مائة مرة، وحاولوا وحققوا نجاحا مذهلا في المرة المائة أو الألف.

أعرف أن مسجونا سياسيا، أمضى خمس سنوات متنقلا بين السجن الحربي والقلعة وطرة وسجن أسيوط ومعتقل الواحات الخارجة وسجن مصر ثم سجن الحضرة في الاسكندرية.. وأفرج عنه. كان يحمل شهادة الحقوق وعمره ٢٤ سنة. بحث عن عمل بعد خروجه من السجن في عصر الخوف، فلم يجرؤ أحد أن يقبله في أي عمل. بل لم يجرؤ أصدقاؤه أن يصافحوه. بعض أصدقائه من شدة الرعب، كانوا ينتقلون إلى الرصيف الثاني إذا رأوه أمامهم على الرصيف. كان المسجون السياسي منبوذا مرفوضا.. أشبه بمريض الكوليرا ولكنه لم ييأس. هرب إلى ألمانيا. التحق بمعهد جوتا في برلين. عمل كمساري ترام في الشتاء من الساعة الخامسة إلى ٧٫٣٠ صباحا، عمل مساعد عامل بمرتب ٣٠٠ مارك في الشهر كان يأكل و يسكن بمائة مارك و يدفع ٢٠٠ مارك لتسديد مصاريف المعهد!

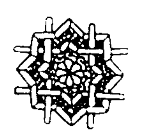
تحمل البرد والجوع، لم يشرب سيجارة واحدة. لم يذق نقطة خمر. لم يذهب إلى سينما. لم يحصل على اجازة. واستطاع أن يحصل على دبلوم من الجامعة.. وعمل في إحدى الشركات الكهربائية الكبرى، وترقى في مناصبها، ثم استقال.. قرر أن يعمل في الأعمال الحرة..

وهو يربح الآن ١٥٠٠ جنيه في الشهر، و يعمل مستشارا لاحدى الشركات الكهربائية الكبرى..

سره أنه لم ييأس. الضربات التي انهالت على رأسه لم تسحقه. كلما أوقعته على الأرض نهض واقفا من جديد. الظلم الذي أصابه لم يشله عن التفكير، وإنما دفعه إلى أن يحارب الظلم بالعمل والدراسة والنجاح.. لم يفكر أن يقدم التماسا يطلب فيه عملا، ويمضي الأيام يتنقل بين مكتب ومكتب، بل اعتمد على نفسه، واستطاع بالصبر و بالمثابرة و بالاستمرار أن يجعل من سنوات الأشغال الشاقة دافعا لتحدي الظلم والظلام!

قال لي إن المؤمن بالله لا ييأس أبدا.. وإن ما رآه من الظلم والظلام كان من الممكن أن يؤدي بشاب ضعيف أن يكفر بكل شيء ولكن الذي حدث له أن الظلم والظلام ضاعفا إيمانه.. والايمان ضاعف صبره وقوته وتصميمه على النجاح.

إن الذي يعرف الله لا يعرف اليأس!



عاصمة جديدة .. بدل القاهرة !

كانت مدينة ريودي جانيرو عاصمة البرازيل تشكو جميع الأمراض التي تشكو منها القاهرة، المدينة تختنق بالسكان. الشوارع تضيق بالسيارات، أرض البناء غير متوافرة الخدمات عاجزة عن خدمة العدد الضخم من الأهالي الذي يتزايد يوما بعد يوم! رأى الحكام أن مشاكل العاصمة لا يمكن أن تحل بالقطاعي، وتقرر على الفور إنشاء عاصمة جديدة هي «برازيليا». وتوقع كثيرون فشل المشروع، وإذا بالعاصمة الجديدة تحل كل مشاكل العاصمة القديمة! وتصبح مورد ربح للدولة ولا تكلفها سوى مبالغ معقولة.

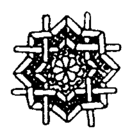
لماذا لا نرسل فورا بعثة من المهندسين إلى مدينة «برازيليا» لنرى كيف أمكنهم انشاء هذه العاصمة الجديدة. كيف بدأوا المشروع وكيف جعلوه مشروعا ناجحا لا يكلف دافع الضرائب نفقات باهظة.

ماذا لو أنشأنا عاصمة جديدة في الصحراء. شققنا فيها الشوارع الواسعة. قسمناها إلى عدة مدن سكنية. قدمنا الأرض مجانا أول الأمر لكل من يبني بيتا من طابق واحد أو طابقين. ثم بعد الألف بيت الأولى نبيع الأرض بالتقسيط لمدة خمس وعشرين سنة ثم نخصص منطقة أخرى للعمارات الشاهقة ونعطي الأرض رخيصة لكل من يبني عمارة على أساس المساكن الجاهزة! ونشترط إيجارا زهيدا للشقة.

لقد رأينا عمارات تقوم في أوربا وأمريكا في خلال شهرين أو ثلاثة أشهر. وكانت الأحزاب في انجلترا تناقش بعدد الشقق التي تبنيها وزارة كل حزب.

إننا يجب أن نواجه مشكلة المساكن بتفكير جديد. بحلول جذرية سريعة بعمليات بناء ضخمة بانشاء شركات بناء جديدة تطرح أسهمها في مصر والبلاد العربية، يجب أن يقال للشعب إننا سنبني في هذا العام أربعمائة ألف شقة مثلا، وإنها ستسلم للساكنين في يوم كذا. لا نريد وعودا ضخمة، ولكن نريد أرقاما. ان من حق كل شاب في مصر أن يعرف أنه سيجد غرفة يتزوج فيها في يوم من الأيام، أما أن نعتذر عن مشاكلنا بضيق ذات اليد، فهذا لا يقنع عروسين مضى عليهما خمس سنوات ينتظران الزواج بلا جدوى!

المصري الذي كان أستاذا للبناء منذ عهد الفراعنة لا يمكن أن يعجز اليوم عن حل مشكلة المساكن. هذه المشكلة ليست مشكلة وزارة الاسكان وحدها. إنها مشكلة يجب أن تشترك فيها جميع كليات الهندسة وجميع معاهد البحوث، وتعقد لها المؤتمرات فهي اليوم مشكلة كل بيت. ومشكلة كل أسرة ومشكلة كل شابة وكل شاب..



خمسة قروش .. صنعت مليونيرا !

كان عاملا صغيرا يعمل في محل تجاري بمرتب متواضع . ووضعت زوجته طفلها الأول . وأراد أن يشتري لها فرخة بهذه المناسبة السعيدة ووضع يده في جيوبه ولم يجد ثمن الفرخة .

وأحس برغبة عارضة أن يشتري في هذا اليوم لزوجته وطفله الأول أشياء صغيرة تسعد الأم في يوم ولادتها . وذهب إلى صاحب المحل التجاري يبلغه نبأ ولادة زوجته مولودها الأول ، ورغبته أن يحتفل بها بشراء بعض الأشياء الضرورية . وقال إنه يحتاج إلى خمسة جنيهات كقرض وسوف يسدد كل شهر جنيها ، لمدة خمسة أشهر.

ورفض صاحب المحل أن يقرضه المبلغ . .

وانكسر قلب العامل الصغير، مشى إلى بيته يتعثر في خطواته ، يائسا حزينا بائسا ، أحس أنه أتعس رجل في العالم. شعر بمرارة وأسى لم يعرفهما أبدا. أحس أن روحه تتمزق.

ومضى يكافح و يعمل سنة بعد سنة وفتح الله عليه ، وأصبح مع الأيام تاجرا صغيرا، ومع السنين تاجرا كبيرا. وكان يتذكر دائما قصة الجنيهات الخمسة ، التي رفض صاحب الدكان أن يقرضها له . وعندما أعطاه الله وفتح عليه آل على نفسه ألا يترك عاملا من عماله يقف هذا الموقف المهين المؤلم الذي وقفه من أجل خمسة جنيهات . ولهذا كان يساعد كل محتاج و يسارع إلى نجدة كل ملهوف كان يرى فيه نفسه ، كل ما كان يتمنى أن لا يترك رجلا يقف موقفه و يعيش محنته .

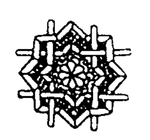
وزارني ، وقال إنه يريد أن يساهم معنا في ليلة القدر وإنه جاء يستشيرني في الأشخاص الذين أرى أنهم يستحقون المساعدة .

قلت : إن بين مئات الألوف من الطلبات في ليلة القدر، حوالي مائة ألف طالب وطالبة يطلبون ثمن كتب أو مصاريف الدراسة أو ملابس لدخول الجامعة . إن بينهم طالبا يقول أنه لم يرتد بذلة جديدة طوال حياته . وطالبا ذهبنا لنصوره فوجدناه بالجلابية ، ورفض أن يتصور بها لأنها ممزقة ، وطلب من المصور أن ينتظر حتى يقترض جلابية نظيفة . وطالبا يمشي كل يوم ٢٠ كيلومترا على قدميه لانه لا يملك أجر القطار في الدرجة الثالثة أو تذكرة الأوتبيس .

وقال الرجل في حماس إنه مستعد أن يساعد ألف طالب وطالبة من هؤلاء، و يدفع عشرة جنيهات لكل واحد منهم .

وجلس خضر العطار وكتب شيكا باسمي بمبلغ عشرة آلاف جنيه . .

وقال خضر وهو يسلمني الشيك إن الله عودني إذا دفعت قرشا للخير أن يرزقني بعشرة قروش .



كل سنة وأنت طيب !

كل سنة وأنت طيب. أيامك أعياد وأيام بلادك أمجاد.

كل سنة وأنت حر. بلا سجون ولا معتقلات ولا محاكم استثنائية ولا رقابة صحفية ولا تأشيرة خروج.

كل سنة وأنت آمن. لا تخاف إلا الله. ولا تحني رأسك إلا لله. ولا نعبد إلا الله..

كل سنة وأنت صاحب هذا الوطن وحاميه. أرضه محررة وأمانيه محققة والسلام يرفرف على كل من فيه..

كل سنة ومرتبك يكفيك. الغلاء لا يقصم ظهرك. والأسعار لا تنكد عليك الحياة وطوابير الجمعية تقصر وتقصر حتى تنتهي وتزول!

كل سنة وانت في بيت مريح. تستطيع أن تدفع أجره بغير أن ترهن ملابسك أو تستدين مدى الحياة. وصاحب البيت لا يعذبك بوقف المصعد أو بإغراقك في مواسير المياه!

كل سنة وأنت تجد مكانا في الاتوبيس أو الترام فلا تتشعلق فيه كبهلوان، أو تحشر فيه كسردينة في علبة السردين...

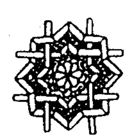
كل سنة وأنت تستطيع أن تمشي في شوارع المدينة دون أن تنكفيء على وجهك وتقع في حفرة أو تتعثر في مطب.. أو تغرق في بركة من برك المجاري!

كل سنة وأنت تستطيع أن تمسك سماعة التليفون فتجد فيه حرارة، وتدير القرص فيجيء لك الرقم المطلوب فلا تفقد أعصابك كل يوم عشر مرات كلما أمسكت سماعة التليفون!

كل سنة وأنت ترى المدينة نظيفة بلا جبال من القمامة وتلال من الزبالة، وكناسين نائمين بلا عمل، وموظفين يشترون بأموال النظافة سيارات أنيقة و يضنون على الشعب بعربة لحمل القمامة!

كل سنة وأنت تضحك! فان الضحك يطيل العمر والعبوس يقصر العمر!

كل سنة وانت تحب الناس والناس تحبك.. فحب الناس أجمل نعمة في الحياة!



فلنواجه أخطاءنا !

من أهم أسباب فشل بعض الادارات والمؤسسات والشركات في بلادنا أن يتولى أقزام القيام بأعمال كبيرة، ويحرصون على أن يستعينوا بمساعدين أصغر منهم حجما، وأقصر منهم قامة، ليبدو الضئيل منهم كبيرا بين الصغار، والقصير منهم طويلا بين الأقزام!

وكل خراب أصاب إدارة أو مؤسسة في بلادنا كان نتيجة طبيعية لرفض الاستعانة بالخبراء والكفايات وتفضيل الامعات والاصغار الذين يجيدون الخضوع والانحناء.

ومن أهم الأسباب أيضا كثرة التغيير والتبديل في قيادة المؤسسات، ولنجرب في العهد الجديد سياسة جديدة، وهي أن نختار رئيس العمل لمدة خمس سنوات، ونتركه يعمل طوال هذه المدة، ولا نحاسبه إلا على النتائج، فليس أسوأ في إدارة شركة من عدم استقرار المديرين في مناصبهم، وفي احاطتهم بالاشاعات وفي نقلهم وتبديلهم كأحجار الشطرنج..

وكان من أسوأ ما نكبت به الادارة المصرية أن بعض صغار الموظفين الفاشلين كانوا يتصلون بأجهزة الامن وبالرقابة الادارية وبالنيابة الادارية، ويشغلونهم بتقارير عن رؤسائهم وزملائهم، وتبدأ تحقيقات ولا تنتهي، ويتوقف العمل في انتظار نتيجة التحقيق، وينقسم الموظفون إلى أحزاب تتراشق بالتهم والأكاذيب. ولو أن أحد غواة الاحصاء درس عدد الساعات التي فقدتها كل مصانع مصر في تحقيقات ثبت كذبها لعلم أن انتاج مصر تأثر كله نتيجة هذه التحقيقات التي لم تسفر عن أي شيء.

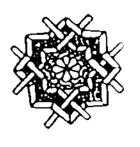
إن السرقات والاختلاسات كثرت وكبرت مع كثرة أجهزة الرقابة وتشعبها، ومنذ أكثر من ثلاثين سنة كان يوجد عندنا ديوان للمحاسبة، وكان قادرا أن يكتشف الجرائم حتى ما يرتكبه الملك نفسه. ولكننا الآن نتوه بين الأجهزة المختلفة للتحقيقات والمساءلات والبحث والتحري والاستقصاء..

لقد أثبتت الدراسات المختلفة أن سبب انهيار الانتاج أو ضعفه يعود إلى أن المديرين وصلوا إلى الحد الأقصى في دخولهم، ولم يعد لديهم حافز يجعلهم يضاعفون الجهد من أجل تحسين الانتاج! لماذا كان الحذاء المصري يحتمل خمس سنوات في الماضي ولا يحتمل سوى بضعة شهور اليوم؟ لماذا «يدوب» القميص المصري أو البدلة المصرية أو الفستان المصري أسرع مما كان منذ سنوات قليلة ماضية؟ لماذا هذا الاهمال الذي نراه في بعض صناعاتنا؟

السبب أن الحافز الذي نعطيه للمجددين والمبتكرين أتفه من أن يحركهم أو يبعث فيهم الحمية والنشاط والرغبة في الاجادة!

يجب أن نواجه أخطاءنا بشجاعة. فسياسة وضع رؤوسنا في الرمال هي السياسة التي ستؤدي إلى استمرار الضيق الاقتصادي في بلادنا..

إن مصر فيها كل الامكانات للانطلاق.. ولا ينقصها إلا أن نواجه أخطاءنا بشجاعة..



لا يكفي البرلمان !

يجب أن تعامل الحكومة كل مواطن كما تعامل رئيس الحكومة . تحترمه . تهتم به . توفر له أسباب الراحة . تلبي طلباته . تزيل متاعبه إذا شكا من انقطاع المياه تسارع إلى إعادة توصيلها . إذا ضاق بانقطاع حرارة التليفون تبادر إلى إعادة الحرارة . إذا حفرت أمام داره حفرة تهرول إلى ردمها . إذا تكاثرت القمامة في شارعه أمرت سيارات النظافة أن تنطلق إلى إزالتها . إذا بعث بشكوى حققتها على الفور، لا أن تهمل الرد عليه وتتركه سنوات معلقا بين الأرض والسماء !

ليس معنى الديموقراطية أن يكون في البلد برلمان فقط . بل معناه أيضا أن يحس كل مواطن في البلد أن الدولة تحترمه وترعاه وتخدمه كأنه أكبر كبير فيها .

ليس معنى الديموقراطية أن نسمع صوت الجالسين فوق الكراسي ، بل معناها أن نسمع أولا صوت الواقفين على أقدامهم .

إن الحكومة الحالية ورثت عن حكومات سابقة تقاليد غير ديموقراطية وأخطاء يجب الخلاص منها . يجب أن ينتهي استعلاء الذين يخدمون الجمهور. يجب أن يتوقف الاستهتار بالناس ، واهمال شكاواهم وتركهم وقوفا على أقدامهم في الشمس قبل أن يمثلوا في حضرة الموظف الصغير الكبير. هذه « الفرعنة » لا مكان لها في عصر الديموقراطية .

يجب أن نعيد النظر فورا في الطريقة التي تعامل بها مصالح الخدمات أفراد الشعب .

يجب أن يحس كل من يعمل في الخدمات أنه خادم لهذا الجمهور لا سيده ! عليه أن يتأدب في معاملته ، فلا يشخط ، ولا ينطر، ولا يضيق بصاحب حق ، ولا يعبس في وجه مظلوم .

لا توجد مصلحة تلغرافات في العالم ترسل إلى أفراد الشعب برقيات غير مفهومة ، وكأنها مكتوبة باللغة الهيروغليفية . برقية التهنئة تحولها ألى برقية تعزية . والتلغراف يصل أحيانا متأخرا عدة أيام !

لا توجد مصلحة في العالم ترسل في استدعاء مواطن على ورقة ممزقة و بخط غير مقروء ، فلا أعلم هل أنا مطلوب للشهادة أم للحكم علي بالاعدام !

لا توجد إدارة تصدر على الناس أحكاما كأحكام قراقوش ليدفعوا مبالغ معينة ، وترغمهم على الدفع أولا ، ثم الاعتراض بعد ذلك !

يجب أن تؤلف لجان تعيد صياغة الخطابات التي ترسلها الحكومة للجمهور، وتغير لغة المخاطبات الرسمية من أوامر إلى طلبات ، ومن لغة الكرابيج إلى اللغة العربية ! إن وزير مالية انجلترا كان عندما يكتب خطابا إلى مواطن انجليزي متأخر في سداد الضرائب يوقعه بأنه الخادم المخلص !

نحن لا نريد ذلك لا سمح الله ! نريد أن لا نعتبر الموظف الذي يتعامل مع الجمهور هو العسكري ، ونعتبر الجمهور هو المجرم الأثيم الهارب من العدالة !

هذه هي الديموقراطية الجديدة ، التي نريد أن تصل إلى كل شارع وكل حارة وكل زقاق في البلاد . .

——***——

لابد من عمليات جراحية لمدينة القاهرة !

لا بد من عمليات جراحية لمواجهة أزماتنا !

مشكلة المرور مثلا لا يمكن حلها إلا إذا نقلنا العاصمة إلى مكان آخر، ومن الممكن أن يتم هذا في خلال خمس سنوات .

ويجب أن نبدأ من الآن بالغاء محطة مصر، وأن تتوقف القطارات في محطة شبرا ، و بذلك لا يزحم الركاب وسط البلد، و ينزلون بقرب الكورنيش .

وتتوقف قطارات الصعيد في الجيزة ، و بذلك لا تمر في وسط القاهرة، وتزحمها أكثر مما هي مزدحمة الآن .

إن لدينا في شبرا محطة وميدانا تستطيع وسائل المواصلات أن تقف فيه، من تاكسيات وأتو بيسات لتنقل الناس من الكورنيش مباشرة إلى مصر الجديدة وشبرا ، ثم إلى الزمالك والجيزة والسيدة زينب والمعادى وحلوان دون أن تمر بوسط البلد .

ولدينا أكبر شارع فى العالم ولكننا لم نفكر حتى الآن في استعماله ، مع أن قدماء المصريين سبقونا إلى ذلك .. هذا الشارع هو نهر النيل ، ومن الممكن أن نسير فيه بواخر تحمل آلاف الركاب ، على أن تكون فيه «مراسي» أمام الأحياء المختلفة تنتظر أمامها الأ وتو بيسات والتاكسيات لتنقل الناس إلى الأحياء القريبة في دورات سريعة .

إن في جاكارتا مثلا وهي عاصمة اندونيسا واجهوا قلة التاكسيات، بتشغيل «البيتشا» وهي كنبة تحمل اثنين من الركاب ، وتدفعها فيسبا ، يعمل عليها الآن ألوف من طلبة الجامعة في أوقات فراغهم ، بعضهم في الصباح و بعضهم في المساء .

وعندما نلغي محطة القاهرة ونلغي سكة الحديد بين محطة الجيزة ومحطة القاهرة و بين محطة شبرا ومحطة القاهرة ستخلو منطقة كبيرة من الأ رض في وسط القاهرة يمكن فيها إقامة حدائق وملاعب و بذلك لا تختنق القاهرة ، بل إن دخان السكة الحديد الذي يخنق السكان المقيمين في وسط البلد سيختفي ، ويحل مكانه رائحة الزهور من الحدائق !

الفكرة بسيطة جدا . وتحتاج إلى الاقدام !

***

لنبني بأنفسنا !

عقب انتهاء آخر زيارة قام بها خروشوف زعيم الاتحاد السوفيتي لمصر، دعا الرئيس جمال عبدالناصر مجلس الوزراء للانعقاد، وقال — للوزراء: «إن خروشوف قال لي ابعدوا عن الزراعة وابعدوا عن التجارة الخارجية وابعدوا عن الاسكان. نحن فشلنا في أن تتولى الدولة حل هذه المشاكل. ان غلطتكم أنكم بدأتم حيث بدأنا ولم تبدأوا حيث انتهينا، و بذلك تستفيدون من أخطائنا» ..

ولم ير أحد يومها أن يأخذ بنصيحة خروشوف، فقد كان المعتقد أن الدولة قادرة على أن تتولى كل شيء، وقادرة أن تصنع كل شيء!

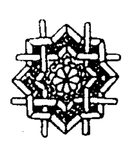
ونحن نخطيء اليوم خطأ كبيرا إذا اعتمدنا على أن تحل لنا الدولة مشكلة الاسكان.. يجب أن يساهم الشعب مساهمة ضخمة في هذه المهمة الثقيلة، ولهذا يجب أن نشجع الناس على البناء. لو أعلنا مثلا أن كل من يبنى بيتا أو عمارة يعفى من الضرائب لمدة عشر سنوات ولو أمرنا بدخول جميع مواد البناء إلى الجمارك المصرية بغير دفع جمارك ولا رسوم، كل هذا سوف يؤدي أوتوماتيكيا إلى تخفيض أسعار البناء، وإلى الاقبال على إقامة العمارات والبيوت.

في ١٩٣٢ تولى الرئيس فرانكلين روزفلت رئاسة جمهورية الولايات المتحدة في أزمة مالية طاحنة، العمال عاطلون، البناء متوقف، لا أحد يفكر في أن يبني بيتا أو عمارة، وأنشأ روزفلت بنك تسليف لأصحاب البيوت، يقرض الراغب في بناء بيت ثمن البناء و يقسطه على ٢٥ سنة، بضمان البيت نفسه، ويمنح أرض فضاء تسدد قيمتها على خمسين سنة، وكانت البيوت صغيرة ومتشابهة، ولكن روزفلت استطاع أن يحول ملايين الناس الذين يسكنون بالاجرة إلى أصحاب بيوت صغيرة.

إن هذه الاقتراحات تستحق الدراسة، وهي تهدف أن يتولى الشعب بناء بيوته معتمدا على نفسه، ولقد صرح المهندس عثمان أحمد عثمان وزير الاسكان في مؤتمره الصحفي بأن تدخل الحكومة هو السبب في أزمة الاسكان.

إن الحكومة تكسب من حل أزمة الاسكان أضعاف أضعاف ما تكسبه من الضرائب التي تأخذها من أصحاب البيوت والعمارات، ومن الرسوم التي يدفعها الناس ثمنا لمواد البناء..

إذا كنت لا تريد أن تبقى عشر سنوات منتظرا في الشارع فتقدم وتعال نبني بيوتنا بأنفسنا!



دكتور فكري أباظة!

منذ ١٥ عاما، في يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٦١ كتب فكري أباظة كلمة منزوية في صفحة ٥٨ من المصور قال فيها: «بالرغم من أن فرانكو أنقذ أسبانيا من مجازر الشيوعية والحرب الأهلية، وقام بعدة إصلاحات في الصميم، بالرغم من ذلك فهو لا يظفر بالحب الذي يستحقه، ولا بعرفان الجميل الذي هوبه جدير من بعض خصومه. وتحليلنا ــ على قدر إدراكنا ــ أن هؤلاء الخصوم يؤثرون الحرية الشخصية على كل مجد وكل اصلاح.. حرية الكلام، وحرية الحل والترحال وحرية الاجتماع الخ.. تلك غريزة «الآدمية» أي الحرية ــ ولا حيلة للمنطق فيها ولا حيلة للاقناع».

وما كاد يصدر هذا المقال حتى صدر قرار بفصل فكري أباظة من منصب رئيس مجلس ادارة دار الهلال وبفصله من رئاسة تحرير المصور وبحرمانه من المرتب والمكافأة والمعاش.

وصدر بلاغ رسمي بأن فكري أباظة ارتكب جريمة الخيانة العظمى وأنه كتب مقالا يدعو فيه أن تندمج اسرائيل في الدول العربية في اتحاد واحد، بعد أن تتنزل عن صفتها الدينية، وهي الدعوة التي دعا إلى ما يشابهها الفلسطينيون بعد ذلك بسنوات!

ولكن البلاغ الرسمي أخفى السبب الحقيقي للخيانة العظمى وهو المطالبة بالحرية!

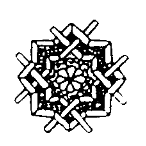
ومكث فكري أباظة تسعة أشهر في الشارع لا يجد ثمن الدواء ولا العلاج بعد أن خدم الصحافة العربية أكثر من أربعين عاما. الرجل الذي كان باعة الصحف في العشرينات يهتفون باسمه صائحين «فكري أباظة. الأهرام». كان مقاله الصغير الذي لا يتجاوز نصف عمود، في أهمية سقوط وزارة أو قيام حرب! ومنعوا فكري أباظة من الدفاع عن نفسه، وأرغموه على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها..

وأمس أهدى الرئيس أنور السادات الدكتوراه الفخرية إلى فكري أباظه تقديرا لدوره الكبير في صحافة مصر.

إن الكلمة لا يمكن أن تسجن في سجن، ولا أن تشنق في مشنقة، ولا أن تدمر بالمدافع... إنها كالهواء لا يمكن أن تقبض عليه. وكالنور لا يمكن أن تنكر ضوءه إلا إذا أغمضت عينيك..

وسيبقى فكري أباظه رمزا للكلمة المصرية الحرة، بلا منصب وبلا لقب ومهما صعد إلى المناصب، ومهما هبط منها، فان هذا الهبوط والصعود أشبه بالنغمات التي تصنع اللحن الجميل!

ولم يكبر فكري أباظة بالدكتوراه الفخرية. وإنما كبرت مصر بهذه الدكتوراه.



الرسام رخا !

كان عمرنا ١٤ سنة. وأصدرنا ــ علي أمين وأنا ــ مجلة لطلبة المدارس باسم «التلميذ» وأردنا أن يكون غلافها بالألوان شأن المجلات الكبرى. وذهبنا إلى مكتب الرسام الشاب الموهوب محمد عبدالمنعم رخا في سوق الخضار. واتفقنا معه على أن يرسم صورة الغلاف في مقابل خمسين قرشا! وبدأنا منذ ذلك اليوم صداقة حلوة دامت العمر كله. تابعنا رسوم رخا وهي تغزو مجلات وصحف مصر كلها.. رأيناه وهو يمضي أربع سنوات في السجن محكوما عليه بتهمة العيب في الملك فؤاد. عملنا معا في مجلة «الاثنين».. وعندما استقلت من رئاسة التحرير تضامن معي رخا.. استقال دون أن أطلب إليه الاستقالة. أصدر معي «أخبار اليوم» دون أن يسألني عن المرتب الذي سيتقاضاه. عشنا معا الانتصارات والهزائم. خضنا معا الأزمات والمعارك.. تحملنا معا الضربات والمطارق. على شفتيه دائما ابتسامة لم تفارقه أبدا.. وذات يوم عرضت عليه جريدة منافسة مرتبا ضعف مرتبه، وكان في حالة نفسية سيئة، فرحب بالتغيير، وترك أخبار اليوم، ولكنه عاد إليها بعد ساعات بنفس مرتبه القديم. لم يطق أن يبعد عن جو الجريدة التي عشقها واشترك في إنشائها، حتى ولو كان في جيبه أكثر من مائتي جنيه كل شهر زيادة عن مرتبه!

وفي أزمة مارس سنة ١٩٥٤ وقفت نقابة الصحفيين، وكان رخا وكيلا لها، تطالب بانهاء الديكتاتورية وعودة الديمقراطية. وكان رخا أكثر حماسا للحرية، وعقابا له لفقت ضده تهمة كاذبة. كنا جميعا نعلم حقيقتها.. كانت موقفا مشرفا وطنيا لرخا قلبوه إلى جريمة انتقاما منه، لأنه لعن الديكتاتورية ونادى بالحرية.. وصدرت الأوامر إلى «أخبار اليوم» بأن تفصل رخا، وأن تمتنع عن نشر رسومه. ووقفت «أخبار اليوم» إلى جانب ابنها البريء، كما وقفت إلى جوار صحفيين آخرين أبرياء، اتهموا بنفس التهمة لانهم ارتكبوا نفس الجريمة، وهي المطالبة بالحرية والديمقراطية فورا. ويومها كان المصري يستطيع أن يدافع عن زميله المظلوم، دون أن يعلق في مشنقة أو يودع غياهب السجون. وانتصرت «أخبار اليوم» وبقى رخا يرسم صورها التي كانت حديث الدنيا، بقى يرسم الابتسامة على شفاه الملايين.. بقى يجعل الخطوط تتكلم وتسخر، وتبكي وتضحك، وتزأر في بعض الأحيان.

ومرت الأيام العابسة، وعادت الدنيا تضحك من جديد. وذكرت الدنيا رخا الذي فكر في كل الناس ونسى نفسه. وسلم الرئيس أنور السادات شهادة تقدير إلى الرسام رخا الذي شارك برسومه في معارك الوطن، وكان في الصف الأول في صحافة مصر طوال خمسين سنة، كان فيها النجم اللامع، والرسام العبقري.. والفنان الموهوب.

إن رخا ليس رساما عظيما فقط.. إنه انسان عظيم أيضا.. إذا صادق أخلص، وإذا أحب تفانى، وإذا حارب بذل روحه ودمه فداء للرأي الذي يؤمن به. وإذا ضحك فمن قلبه.. وإذا بكى فبكل خلجة من خلجات نفسه.. وإذا رسم جعل الورق الأبيض ينبض بالحركة والحياة!

ـــــ * * * ـــــ

تعمير الانسان !

لسنا في حاجة إلى تعمير المدن والمباني فقط . نحن في حاجة إلى تعمير الانسان المصري . إزالة الخرائب التي في داخل البعض منا . إزالة بقايا أنقاض الهزيمة. إزالة روح التشاؤم والأنانية والشك وعدم الثقة . لا يزال البعض منا لا يصدق أنه انتصر فيفكر بعقلية المغلوب المقهور المهزوم . ولا يزال البعض منا لا يصدق أننا في بداية عصر الحرية والديمقراطية فيتصرف كما يتصرف العبيد المقيدون بالسلاسل والأغلال .

كثيرا ما تسمع حولك أنصار التردد والهزيمة ، يحاولون تثبيط همتك وإضعاف حماسك و يقولون لك : «يعني انت يا أخي اللي راح تصلح الكون» ؟

نعم أنت تستطيع أن تصلح الكون . فهذا الكون هو أنت ، وإذا أصلح كل واحد منا نفسه انصلح الكون . وإذا بقي كل واحد منا مشغولا بنفسه ، لا مباليا بشؤون وطنه متفرجا على الأحداث من بعيد فسوف تبقى جميع الأزمات وتتفاقم ، سيزداد الغلاء أكثر مما هو، ستتضاعف أزمة المساكن أكثر مما هي ، سيختنق الناس في الاتوبيسات وعربات الترام ولقد كان يزورني أحد كبار الاقتصاديين الأجانب وقال لي : إنه لو أن كل مصري قام بواجبه لحلت جميع أزمات مصر في عامين دون أن تحتاج إلى أي معونة أجنبية . وإن أخطر ما لاحظه في مصر أن واحدا من عشرة يعمل ، وأن التسعة الآخرين لا يعملون، أو يتفرجون أو يعطلون الانتاج ، أو يشغلون العاملين بأحاديث تلهيهم عن عملهم، أو يقدمون شكاوى و بلاغات ضد الذين يعملون . وفي رأيه أن مضاعفة الانتاج سوف تؤدى إلى مقاومة الغلاء الفاحش . وقد لاحظ مثلا وهو في لندن إنه طلب في التليفون القاهرة في الساعة الخامسة صباحا فقالت له عاملة التليفون في لندن انه ممكن محادثة أي عاصمة في العالم ما عدا القاهرة لأن عمال الترنك لا يردون في هذا الوقت لأنهم نائمون وحدث أن طلب صحفي عربي كبير مكالمة خارجية فقالوا له إن عمال المحادثات الخارجية في اجازة وليتكلم بعد العيد.. فهذه الصورة البشعة لا تشرفنا كثيرا .. وأتصور أنه خطأ موظف أو اثنين أدى أن تظهر صورتنا في خارج بلادنا بهذا العبث الشائن ولقد روت لي سيدة أثق بصدقها كيف أن عمال النظافة بجوار كوبري عباس يجمعون التراب من الشوارع و يلقونه في النيل ، لانهم اكسل من أن ينقلوه إلى مكان آخر، فكأننا ننظف الشوارع لنلوث المياه ! وفي كل مكان نرى تصرفا يدل على الاهمال ، وعلى عدم المبالاة ، وعلى عجزنا أن نراقب العمل بأنفسنا ، وعلى خشيتنا أن نغضب الذين يهملون في عملهم ويحطمون سمعتنا حتى لا ينقص عدد الذين يصفقون لنا ثلاثة أو أربعة أشخاص !

هذه الخرائب يجب أن نزيلها من داخلنا لنستطيع أن نبني بلادنا من جديد.

* * *

إذا..؟

إذا انهالت عليك المطارق من كل مكان، وبقيت مرفوع الرأس!

إذا تخلى عنك الذين ساعدتهم، ونسيك الذين ذكرتهم، وتجاهلك الذين عرفتهم، وداسك بالاقدام الذين رفعتهم فوق الرؤوس، ومع ذلك لم تندم على خير جوزيت عليه بالاساءة، ولم تعدل عن طريقك بمساعدة الناس سواء كانوا يستحقون المساعدة أو لا يستحقونها..

إذا أغلقت في وجهك كل الأ بواب، وسدت كل المنافذ، وتنكر لك القريب، وطعنك الصديق، وباعك الحبيب، فلم تلعن القيم الانسانية، ولم تكره الحب، ولم تكره الوفاء..

إذا أظلمت الدنيا، ووجدت نفسك في ليل طويل ليس له نهار، وبحثت عن عود ثقاب في الظلام فلم تجد إلا الأفاعي تريد أن تعضك، وإذا استنجدت بالناس فلم تجد حولك إلا الضباع تحاول أن تنهش ذراعك، ومع ذلك كله بقيت مؤمنا بالله، فلم تكفر بالمثل العليا، ولم تيأس مرة، ولم تعاتب الله على أنه خذلك ولم ينصرك، وتركك ولم يأخذ بيدك، وتجاهل دعواتك وصلاتك..

إذا رأيت حقك يسلب منك، وصرخت مناديا الشرطي فاذا به يرفع يديه بالتحية العسكرية للص الذي سرقك، وللقاتل الذي أراد أن يقتلك، ووجدت هذا الشرطي نفسه يمسك بك أنت المجني عليه، ويضعك في السجن، عقابا لك على أنك صرخت مطالبا بحقك، ومع ذلك بقيت صامدا تحارب من أجل حقك، بغير أن يرهبك تهديد أو وعيد، وبغير أن تخشى أن يلقوك في مشنقة لأنك أصررت على المطالبة بحقك..

إذا قلت رأيك، وأنت تعلم أن هذا الرأي سوف يغضب الأقوياء وأنت ضعيف. وسوف يثير عليك أصحاب السلطة وأنت لا سلطان لك ولا نفوذ..

وإذا علمت أنك لو غيرت رأيك فسوف يحل الثواب محل العقاب، وسوف تغمرك الترقيات بدل التهديد بالرفت، ومع ذلك أصررت على رأيك وتمسكت به..

إذا كنت كل هذا فأنت رجل المستقبل يا بني!



لماذا لا تسمعك السماء ؟

كان غاضبا على السماء!

لم تستجب له السماء مرة واحدة، على الرغم من أنه كان لا يكف عن الدعاء في الليل والنهار. حتى أصبح يشك في أن ملائكة السماء فقدوا حاسة السمع فلم يسمعوا دعاءه، أو أن السماء تعانده فترفض أن تحقق له أمنية واحدة من أمانيه!

وسألته ماذا طلب من السماء؟

فقال إنه يذكر وهو طفل أنه طلب من السماء أن تقصف عمر أحد الأطفال الذين كان يلعب معهم في الحارة، وضربه هذا الطفل، فلم تستجب السماء، وعاش الطفل خمسين عاما!

وذات مرة طلب من السماء أن تخرب بيت أحد جيرانه الذي تشاجر معه، فاذا بهذا الجار يصبح من أصحاب الملايين!

وطلب من الله أن يهدم العمارة على رأس صاحبها الذي أوقف المصعد فاذا بصاحب عمارته المشكو في حقه يشتري عمارتين أخريين!

وطلب من الله أن يشرد رئيسه في العمل الذي خصم من مرتبه ثلاثة أيام، وفي اليوم التالي لهذا الدعاء صدر قرار بتعيين هذا الرئيس مديرا عاما للشركة!

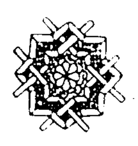
إن الذي ينكد عليه الحياة أن كل شيء يطلبه من السماء تفعل السماء عكسه تماما، حتى أنه بدأ يفكر في أن يغير طريقته، فاذا أراد أن يقطع رقبة خصم له دعا له بطول البقاء، وإذا أحب أن يفتك بعدو له دعا له بالصحة والعافية، وإذا أراد أن يتخلص من رئيسه دعا السماء أن ترقيه وتنصره على كل من يعاديه، فيحال رئيسه إلى المعاش بعد ٢٤ ساعة.

قلت له : أعتقد أن السماء لا تقبل دعوات السوء. الدعوات المثقلة بالحقد والضغينة والكراهية والانتقام لا تقوى على الصعود إلى السماء. إنها مثقلة بهذه الأوزار فتبقى ملقاة على الأرض عاجزة أن تطير إلى فوق! السماء لا تسمع إلا دعوة الخير والحب. إنك بدعواتك السيئة تنافس عزرائيل وتنافس الشيطان، ولكل واحد منهما اختصاصاته! إذا دعوت الله أن ينصر المظلوم فانك بذلك تطلب منه أن يقهر الظالمين. لو طلبت من الله أن يعطيك حقك المسلوب فسوف ينتزعه من الذين اغتصبوه!

إن اللغة التي تخاطب بها السماء يجب أن تكون لغة الحب التي ليس فيها حقد ولا ضغينة ولا كراهية ولا انتقام!

إن لغة السماء تختلف جدا عن لغة الأرض.

تأدب وأنت تتحدث إلى السماء!



مصارف بغير منافسة!

قال لي أحد كبار الأجانب إنه أمضى في مصرف بالقاهرة يوما كاملا ليصرف شيكا يصرفونه في أي بنك في العالم في خمس دقائق على أكثر تقدير!

وأحسست أن الرجل يغمد خنجرا في صدري. فهذه ليست أول مرة أسمع فيها مثل هذه الشكوى من البنوك المصرية. ولقد قيل لنا انه تقرر اختصار اجراءات البنوك، ولكن لا يزال الناس يشكون من أنهم يمضون الساعات في بعض البنوك لصرف شيك!

وقد تفهم من هذه الاجراءات الطويلة العريضة وهذه الامضاءات المتعددة وهذه المراجعات المتتالية أن المقصود بها هو الحرص على أموال البنوك، ولكن الغريب أن الاختلاسات في بنوكنا لم تكن بهذه الكثرة ولا بهذه الضخامة عندما كان الشيك يصرف في خمس دقائق!

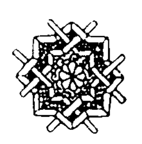
وكنا نحسب أن إنشاء عدد من البنوك الأجنبية سوف يثير روح التنافس في البنوك المصرية، فتحاول أن تتخلص من الأخطاء المتراكمة، ولكن الذي حدث أننا فقدنا الاهتمام بروح المنافسة، ولم يعد يهم الرؤساء أن يربح البنك أو يخسر ماداموا يحصلون على مرتباتهم كاملة بحدها الأعلى سواء ربح البنك مليون جنيه أو ربح مائة مليون جنيه!

الذي لا شك فيه أنه في السنوات الماضية كانت الترقيات في بعض البنوك هي للمحسوبين أكثر مما هي للكفاءات، ولأهل الثقة أكثر مما هي لخبراء الاقتصاد، وكانت النتيجة أن أصبح التعامل مع أي بنك مصري عملية مرهقة شاقة تحتاج إلى الصبر و برودة الأعصاب والتفرغ.. بمعنى أنك لا تستطيع مثلا أن تكون طبيبا وصاحب شيك، فعليك أن تعتزل الطب وتقفل عيادتك وتمتنع عن زيارة مرضاك حتى تتفرغ لصرف الشيك من البنك!

بل اننا سمعنا عن أشخاص يذهبون ليودعوا أموالهم في بعض البنوك فيقابلون أسوأ مقابلة، وكأنهم جاءوا يسرقون البنك أو يقترضون منه بلا ضمان!

كل هذا يجب أن ينتهي فورا. يجب أن يعلم بعض الرؤساء في بعض البنوك أن مصر لن تقبل أن تسير بنوكها بسرعة السلحفاة في عصر تسير فيه كل بنوك العالم بسرعة الصاروخ!

إننا في حاجة إلى إيفاد بعثات فورا إلى الخارج لتعلم شبابنا كيف تدار البنوك الآن في العالم. وكيف يتم صرف الشيك في نصف دقيقة!



عم عباس !

١

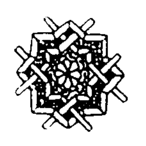
فقد عم عباس الاسكاف بصره. مرضت زوجته وبترت ذراعها. حار ماذا يفعل وعنده عشرة أولاد. أرسل إلى ليلة القدر يطلب عشرين جنيها ليبدأ من جديد. ذهبت إليه نادية سلطان المحررة في الأخبار وأعطته باسم ليلة القدر المبلغ الذي تمناه. أصبح عم عباس سعيدا راضيا وقال: إن الدنيا ابتسمت له من جديد.. بهذا المبلغ المتواضع سوف يحاول أن يقهر الزمن!!

وجاءتني سيدة قالت إنها قارئة فكرة، وقالت إن قناعة هذا الرجل أذهلتها، وإصراره على تحدى المصائب أدهشها، وإنها تريد أن تعطي عم عباس مبلغا آخر هو مائتا جنيه، لتسعده أكثر، ولتحيي فيه اصراره على الثبات أمام الأهوال! إن المائتي جنيه في انتظار سيد حسن أحمد وشهرته عم عباس! وقالت لي نفس السيدة إن والدتها تريد أن تعطيني مائتي جنيه لأي حالة من حالات ليلة القدر. ودعوتها أن تختار الحالة التي تريدها. ومدت يدها بين ألوف الأماني واختارت خطابا من صاحب أسرة مكونة من ٩ أفراد. أصيبت ابنته بالشلل، وباع من أجلها أثاث منزله ولم يكف.. فاضطر أن يمد يده إلى عهدته، وأنقذه أصحاب المروءة وقسطوا عليه المبلغ المفقود، ثم أصيبت ابنة شقيقته وعمرها ١٩ سنة بشلل بالعصب التاسع والعاشر في المخ، واضطر للاقتراض لعلاجها وماتت. وحاصرته الديون وخطر بباله أن ينتحر ولكن إيمانه جعله يبقى ليواجه أهوال الديون. أصبح مدينا بمبلغ مائة جنيه للبنك الأهلى و٢٤ جنيها لبنك ناصر، وحجزوا على الشقة التي يسكن بها ثلاث مرات، كما هو مدين لبعض الأهالي بمبالغ على شيكات بدون رصيد. وأرسل إلى ليلة القدر يطلب منها أن تستجيب لدعائه وتساعده على سداد ديونه.. وأغلقت الدنيا أبوابها في وجهه. من أين يجيء بمائتي جنيه، ومرتبه الصافي هو ١٠ جنيهات و٥٦٧ مليما.

إن ليلة القدر سوف تسدد لحسين عبدالباقي عبدالنبي بالمنيا جميع ديونه في حدود مائتي جنيه.. اننا نحيي الرجل الذي لم ييأس من رحمة الله رغم توالي المصائب والنكبات ورغم إغلاق كل الأبواب!

إننا نبحث الآن عن عنوانه في المنيا!

لأنه كتب لي خطابا طويلا جدا من صفحتين، وذكر فيه كل شيء، ونسى أن يكتب العنوان!



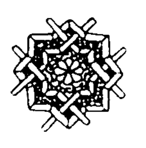
القاهرة تختنق !

القاهرة تختنق، ونحن نحاول أن نضاعف اختناقها. كل مؤتمر جديد نعقده في القاهرة فتتفاقم أزمة المرور فيها أكثر مما هي، وتتضاعف أزمة المواصلات أكثر مما هي، ونضطر إلى طرد السياح من الفنادق، و يصبح الا تصال التليفوني بين القاهرة وأي عاصمة في العالم أصعب من الا تصال بالقمر أو المريخ!

ولست أعرف لماذا لا نفكر أن نعقد المؤتمرات في مدينة الاسكندرية في غير فصل الصيف، ومن الممكن بسهولة ايجاد القصور الخالية والفنادق الخالية والطرق الخالية في الرمل في هذه الأ يام..

سوف يقولون إن الجو في الاسكندرية الآن أبرد منه في القاهرة، ولكنه ليس أبرد من نيو يورك حيث تعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة. وليس أبرد من لندن ولا أبرد من باريس. وقد لا نعرف أن أهم المؤتمرات العالمية لا تعقد في العواصم عادة، بل يختار لها مدينة بعيدة عن الزحام وعن الوزارات وعن المصالح الحكومية، ولكننا اعتدنا على أن نعقد كل شيء في القاهرة! حتى أن هيئة قناة السو يس لها مقر كبير في القاهرة، والمفروض أن تكون في بورسعيد أو الاسماعيلية. وهيئة تعمير الصحارى في القاهرة، ومعهد الصحراء في القاهرة وشركة مصايد الأسماك في القاهرة، ومؤسسة الثروة السمكية وعشرات من شركات البترول بل إن المؤسسات التي لها علاقة بالموانيء والتصدير والبواخر مقرها مدينة القاهرة، والمفروض أن تنقل كل هذه المؤسسات إلى بلاد قريبة من أعمالها فتخلو ألوف الشقق للسكان. إن ديجول واجه مشكلة الاسكان في باريس بقرار واحد، فقد نقل وزارة الدفاع وجميع مصالحها إلى خارج العاصمة لأنه وجد أنه لا فائدة من وجودها في باريس، ونتج عن هذا القرار الواحد أن خلت ألوف الشقق في باريس كانت تسكنها إدارات وزارة الدفاع الفرنسية المختلفة وألوف الموظفين والموظفات.

إن عشرات من المصالح والادارات والمؤسسات لا فائدة من وجودها في القاهرة، وإذا نقلت إلى بلاد أخرى استطاعت العاصمة أن تتنفس، واستطاع ألوف الموظفين الذين ينتقلون إلى الأماكن الجديدة أن يعيشوا فيها بنصف ما ينفقونه في القاهرة، وفي الوقت نفسه نستطيع أن نوفر ملايين الساعات التي نضيعها في مواصلات القاهرة الشاقة المرهقة المؤلمة التي أشبه بحكم بالأشغال الشاقة على سكان المدينة كلها!



مؤتمر القمة !

الشعب العربي يتمنى أن ينجح مؤتمر القمة، وأن يخرج الملوك والرؤساء العرب من الاجتماعات بقرارات موحدة تنقذ لبنان وتنقذ قضية فلسطين وتنقذ الأمة العربية كلها.
فقد أثبتت لنا الأيام بجلاء أن العرب لم يعرفوا النصر إلا وهم متضامنون، ولم يعرفوا الهزيمة والضياع إلا وهم مختلفون متفرقون متنازعون. ونحن في هذه الظروف في أشد الحاجة إلى التضامن مما كنا في أي يوم من الأيام، فلولا خلافاتنا لما انتهزت اسرائيل فرصة الانتخابات الأمريكية لتحصل من فورد وكارتر معا على ما يعتبره المراقبون تراجعا عن موقف امريكا الجديد من العرب بعد حرب أكتوبر و بعد نجاح العرب في استعمال البترول..

هذه الحلقة الجديدة من العودة إلى تدليل اسرائيل، وإلى إغراقها بالسلاح وإلى تهديد الشركات الأمريكية التي تقاطع اسرائيل، وإلى ارغام الجنرال براون رئيس أركان حرب الجيش الأمريكي عن تفسير تصريحاته الشجاعة عن أن اسرائيل تشكل عبئا عسكريا على الولايات المتحدة..

كل هذا ما كان يمكن أن يحدث لو أن الدول العربية كانت متفقة الكلمة، ولو أنها لم تكن مستغرقة في صراعات جانبية لا قيمة لها ولا تفيد أحدا سوى العدو وحده..

الطريق الوحيد أمامنا لنواجه التيار الصهيوني في أمريكا هو أن نعود إلى التضامن الكامل، هو أن نسد جميع الثغرات، هو أن نعلم أن كل خلاف بيننا هو السلاح السري لاسرائيل الذي استطاع أن يهزمنا دائما!

فلنحاول أن ننتزع من العدو هذا السلاح، ولنعلم أن مسؤوليتنا التاريخية اليوم توجب علينا أن نستعيد الأرض التي فقدناها بخلافنا ونزاعنا.

لقد جربنا التضامن فانتصرنا..

وجربنا الخلاف فتحطمت لبنان وتحطم شعب فلسطين..

إن الخلاف هو طريقنا إلى الهزيمة والدمار والفناء. والتضامن سبيلنا إلى البقاء والانتصار..



الحياة تبدأ من الستين !

إذا أردت أن تقتل رجلا يحب عمله فلا تطلق عليه الرصاص، ولا تدس له السم... ما عليك إلا أن تصدر قرارا باحالته إلى المعاش، وتأكد أنه بعد وقت قصير سوف يكون في طريقه إلى السماء!

هذا رأي عدد من كبار الأطباء في العالم الآن. وكانوا إلى سنوات قليلة ينصحون رجال الأعمال بأن يعتزلوا أعمالهم في سن مبكرة، وبان يخلدوا إلى الراحة و يقترحون على الواحد منهم أن يشتري جزيرة صغيرة في اليونان، و يلعب الجولف في الصباح، و يتمشى الهوينا إلى الظهر، ثم يسبح في الماء إلى ساعة الغداء، ثم بعد ذلك يسترخي وقت القيلولة ثم يمضي المساء في مشاهدة برامج التليفزيون السخيفة..

وكان في رأيهم أن هذا الخمول اليومي والبعد عن صخب العمل سوف يطيل العمر ويحافظ على الصحة ويمنع الأمراض!

اليوم بدأ بعض كبار أطباء العالم يعدلون عن نظريتهم، و ينصحون رجل الأعمال أن يستمر في عمله، وأن يذهب إلى مكتبه كل يوم، وأن يبحث مع المديرين مشروعات المستقبل، وأن يصاحب الأرقام والمشاكل والأزمات.

ومنذ أسابيع أعلن أحد كبار أصحاب الأعمال في اليابان أنه سيعقد مؤتمرا صحفيا لمناسبة بلوغه سن السبعين، وأقبل عدد كبير من الصحفيين ومندوبي الاذاعة والتليفزيون على حضور المؤتمر لانهم توقعوا أنه سيعلن اعتزاله العمل، وسيعلن لهذه المناسبة أسماء كبار المديرين الذين سيحلون مكانه في ادارة الشركات الكبرى والمؤسسات التي يتولاها الآن..

وفوجئوا به يقول لهم:

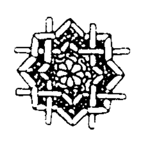
ــ إنني بلغت اليوم سن السبعين... وقررت أن أستمر في العمل إلى سن الثمانين... وعندما أبلغ الثمانين ولا أجد أكفأ مني ليحل محلي فسوف استمر في العمل إلى سن التسعين!

وسأله أحد الصحفيين عن سر قراره الغريب؟

فقال إنه يريد أن يعيش و يعلم تماما أنه اذا اعتزل العمل فسوف يموت بعد وقت قصير جدا، ولهذا فانه يفضل أن يموت بأمر الله... على أن يموت بقرار يصدره هو لأن الرجل الذي يتوقف عن العمل يموت!

أتصور أن هذه القاعدة لا تنطبق على الناس جميعا، وإنما تنطبق على الذين يحبون عملهم و يعشقونه عشقا مبرحا!

إن هذا هو الحب الذي يطيل العمر..!



ابن النجار
في منصب رئيس الجمهورية !

إننا نرجو أن يوفق الرئيس سركيس في حكم لبنان.

إن المهمة صعبة تتطلب ربان سفينة وعامل بناء وجندي مطافىء وعسكري بوليس، ثم تحتاج فوق ذلك إلى قاض نزيه يحكم بالعدل بين جميع اللبنانيين.

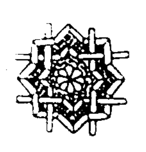
وفي استطاعة الياس سركيس أن يكون كل هذا، فهو ابن نجار لم يرث السلطة ولا النفوذ ولا المال. عرف الفقر وكان يقول إنه أمضى سنوات ينام في سريره بالعرض حتى يتسع الفراش لبقية أشقائه، فالرجل الذي عرف الفقر سوف يعرف الحرمان الذي عاش فيه شعب لبنان.. كيف أصبحت دولة كانت من أغنى دول المنطقة دولة من أفقر دولها. كيف تحولت دولة من الديموقراطية إلى حكم العصابات. كيف سكتت الصحف وتكلمت المدافع الرشاشة. كيف خرست البلابل وصرخت أصوات القنابل! أمة كانت تفخر بالحرية ثم حرمت من أبسط مظاهرها. من يفتح فمه يقتل. ومن يغلق فمه يقتل أيضا!

لقد حكم لبنان في السنوات الأخيرة أبناء العائلات، وحكمها العسكر، وحكمها الجهلاء والسياسيون القدامى ولكن لم يحكمها حتى الآن شباب متعلم.

والياس سركيس سيؤلف وزارة جديدة ويجب أن يختارها على مثاله فانه وصل إلى ما وصل إليه بكفايته لا بالقرابة ولا بالمحسوبية. ولا بالجاه. وهو الآن يتسلم دولة من الخراب ومهمته أن يحولها إلى عمارات. دولة من الأنقاض ومهمته أن يجعلها مؤسسات. دولة من اليائسين ويجب أن يبعث فيهم روح الأمل، فان هذا الظلام مؤقت، والنور هو الذي سوف يستمر، إذا شعر كل لبناني أنه يبني بلدا لا يبني شخصا.

لقد عرف اللبنانيون في الماضي بالتسامح والمحبة ومطلوب منهم الآن أن يدفنوا مع الأنقاض التعصب والأحقاد وروح الانتقام! كل واحد منهم مجروح، فان هذه الحرب جرحت كل لبناني، وكادت تذبح كل لبنان.

من كل قلوبنا نرجو لسركيس عهدا فيه محبة. وديموقراطية وحرية وعدالة وأمن وكل شيء فيه سلام!



صعيدي .. يرأس جمهورية أمريكا !

جيمي كارتر هو أول «صعيدي» يرأس جمهورية أمريكا منذ الحرب الأهلية التي انفصل فيها الجنوب عن الشمال!

وقد كان «الصعايدة» في أمريكا أي أهل الجنوب، يعتبرون أنفسهم في حرب مستمرة مع الشمال على الرغم من أنه مر على الحرب الأهلية أكثر من مائة سنة.

وكان أهل الشمال يجاملون «الصعايدة» فيختارون منهم أحيانا نائب رئيس الجمهورية، وكان دائما رجلا لا نفوذ له ولا سلطان.

فانتخاب «صعيدي» لرئاسة جمهورية أمريكا هو نهاية للنعرة الاقليمية ومولد الوحدة الكاملة بين الشمال والجنوب.

وفي الانتخابات الأمريكية تقاليد غريبة، فهم يمنعون الخمر في يوم الانتخابات و يغلقون جميع الحانات والبارات، حتى يذهب الناخبون إلى صناديق الانتخاب وهم في كامل قواهم العقلية! وفي نيو يورك مثلا كان من المستحيل أن يجد شارب الخمر نقطة خمر في المدينة كلها يوم الانتخاب ما عدا «بار» الأمم المتحدة باعتباره في أرض غير أمريكية!

وكذلك يغلقون المصارف في يوم الانتخاب، حتى لا يسحب المرشحون مبالغ من البنوك لرشوة الناخبين .. و يظهر أن المشرع الأمريكي لم يخطر بباله أنه يمكن للمرشح أن يسحب ما يشاء من النقود من البنك قبل الانتخاب بيوم أو يومين!

ومن الطريف أن سكان العاصمة واشنطون كانوا محرومين من انتخاب رئيس الجمهورية إلى سنوات قليلة وكانت الحجة في ذلك أن العاصمة مليئة بالموظفين الذين يعينهم رئيس الجمهورية، وبذلك فانه يستطيع أن يؤثر عليهم بهذا التعيين .. و بعد جهاد طويل وكفاح مرير قام به أهل العاصمة حصلوا على حق الانتخاب.

وفي رأيي أن الذي هزم فورد في الانتخابات هو أن الشعب الأمريكي يريد التغيير، وأنه يرفض الحزب المسؤول عن فضيحة ووترجيت، وأنه اعترض على العفو الذي أصدره فورد عن نيكسون، فان الشعوب ترفض العفو عن أي رجل اعتدى على حريتها .. وقد كانت جريمة نيكسون أنه كذب على الشعب، وأنه وضع تليفونات بعض خصومه تحت الرقابة وهذا اعتداء على الدستور الذي يمنع رقابة التليفونات!

إن الشعوب تغفر أي جريمة إلا جريمة الاعتداء على الحرية!



بعثة لتعلم الأدب في مخاطبة الشعب

من رأيي أن نرسل بعثة من موظفي الخدمات في بلادنا إلى اليابان، ليتعلموا كيفية معاملة الشعب بأدب وتواضع واحترام..

الياباني لا يصافح الياباني باليد لا يشد على يده عدة مرات، ولا يهز يده عدة مرات، ولا يضغط على يده حتى يكسر عظام أصابعه ولكنه ينحني للياباني الآخر باحترام وهذا الاحترام طابع ملحوظ في معاملة الادارات الحكومية لزبائنها..

المشترك في التليفون لا تجيء له رسالة من هيئة التليفونات تهدده بقطع رقبته في موعد معين إذا لم يسدد الاشتراك. إنها تلفت نظره بأدب!

المصلحة الحكومية لا تطالب الياباني بأن يدفع الحساب الخطأ وبعد ذلك من حقه أن يشكو، ففي كل بلاد العالم تعامل المصالح المواطن كجنتلمان تحترمه، ولا تفرض عليه الغرامة إلا بعد مراجعة وتثبيت ومنحه فرصة كاملة للتحقق من أنه المخطيء!

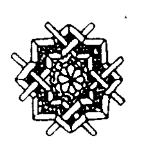
وأهم صفة في اليابان هي الدقة، إذا طلبت الافطار في الفندق في ساعة معينة، دق الجرسون بابك في اللحظة المطلوبة، ليس قبلها بثانية ولا بعدها بثانية.

إذا ذهبت لمقابلة موظف كبير فانه يستقبلك في الوقت المحدد، ولا يلطعك ساعة، ولا يقول لك أن سعادة البيه مشغول في لجنة.

موظف الحكومة يستقبل المواطن في بشر وابتسامة. تجد الابتسامة على كل شفة حتى أنه توجد أوبرا مشهورة اسمها «بلد الابتسامة» ومقصود بها اليابان. فالمطلوب من الدولة أن تبتسم للمواطن ولا تكشر له، ولا تشخط فيه، ولا تتصور أن المواطن يحترم الحكومة إذا تعالت عليه، أو كلمته من طرف أنفها، فنحن في حاجة إلى حكومات نحبها لا إلى حكومات نخشاها ونخافها!

والنظام الياباني قائم على اقتسام السلطة وروح الفريق، أساس تقدم اليابان أن الوزير لا يستطيع أن يقرر إلا إذا رجع أولا إلى المختصين. فهم في الحقيقة أصحاب القرار، وتغيير الوزارات لا يؤثر في العمل.

إن اليابان هي خير «نموذج» يمكن أن تقلده مصر، لأنها دولة ذات تقاليد قديمة مازالت محترمة، لأنها دولة لديها عدد كبير من السكان بالنسبة للرقعة. لأنها دولة تعتمد على الاستيراد في كثير من المواد الأولية والسلع المصنوعة. لأنها تصدر للعالم المنتجات بعد تصنيعها على يد عمالها المهرة وهذا يمكن تحقيقه في مصر لو استطعنا تجنيد الكفايات وخلق القدرات الفنية بأعداد كبيرة في الصناعة والزراعة ثم لأنها دولة شرقية تجرب الديمقراطية بعد سنوات طويلة من الديكتاتورية، هزمت في الحرب في ظل القيود، وانطلقت إلى أعلى مراكز التقدم في ظل الديمقراطية!



العدد الأول من "أخبار اليوم" !

غدا تدخل «أخبار اليوم» عامها الثالث والثلاثين ! ما أسرع الزمن ! في يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٤ صدر العدد الأول من هذه الجريدة التي لم يتوقع لها أحد من الخبراء النجاح لأنها كانت شيئا مختلفا جديدا، ولأنها خرجت على كل قواعد الحساب... وإذا بها تصبح من العدد الأول أوسع الصحف اليومية والأسبوعية انتشارا في الشرق الأوسط، وتربح من اليوم الأول ألف جنيه أسبوعيا بعد كل المصاريف!

ولم أكن واثقا من نجاح الجريدة الجديدة حتى أنني طلبت من أخي على أمين وقد كان مديرا عاما لمستخدمي الحكومة والمعاشات أن يبقى في وظيفته في وزارة المالية، فقد نحتاج لمرتبه للصرف على الجريدة وتسديد خسائرها !

ولم يكن لدى الجريدة مطبعة. كنا نطبع في ثلاث مطابع مختلفة. مطبعة مصر ومطبعة الأهرام ومطبعة المصري !

ولم يكن لدينا سعاة. كنا نحن السعاة. وكنا نحمل الحروف على صفحات الحديد ونمشي بها من شارع الدواوين إلى شارع مظلوم !

ولم يكن عندنا سيارة نقل، فقد كنا نحمل ورق الجريدة فوق عربة كارو ونسير معها من محل تاجر الورق إلى المطبعة !

وكانت إدارة الجريدة في غرف فوق السطوح في عمارة في شارع قصر النيل.

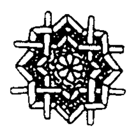
وعاشت «أخبار اليوم» في معارك متصلة. لا تهدأ ولا تسكت ولا تخاف. صودرت عشرات المرات. قبض على محرريها. تعرضت لأزمات متوالية لا تخرج من أزمة إلا لتدخل في أزمة. وكانت تجد في الكفاح متعة. كانت الضربات التي توجه إلى ظهرها تدفعها إلى الأمام ولا تجعلها تنكفيء على وجهها. وكانت الضربات تنهال فوق رأسها فتزيدها ثباتا واستقرارا..

أجمل ما في الحياة أن تبدأ من الصفر. أن تشق طريقك في الجبل. أن تحفر هذا الطريق في الصخور بأصابعك. أن تقع على الأرض وتقوم وتستأنف السير من جديد!

إن نجاح «أخبار اليوم» مدين لألوف من العمال والمحررين.. ومدين أيضا لأكثر من مليون قاريء..

هؤلاء هم الذين صنعوا هذا النجاح..

والحمد لله أولا وأخيرا ..



من حق كل حزب أن تكون له جريدة!

أحزاب بغير صحف أشبه برجال خرس بغير ألسنة!

و بعض الذين يتحدثون عن استحالة اصدار صحف جديدة يبررون ذلك بأن انشاء جريدة يومية جديدة يحتاج إلى خمسة ملايين أو عشرة ملايين من الجنيهات..

وقد يكون هذا صحيحا بالنسبة للستينات. أما الآن فقد تطورت صناعة اصدار الصحف، فلم يعد ضروريا أن تملك الصحيفة أو المجلة مطبعة خاصة بها.

مجلة (تايم) الأمريكية التي توزع ٤ ملايين نسخة تطبع بالأجرة وكذلك مجلة (نيوزو يك) لا تملك مطبعة خاصة بها، ومجلة (ريدرز دايجست) التي توزع ٢٢ مليون نسخة لا تملك مطبعتها، وجريدة (الجارديان) وهي من أكبر صحف انجلترا اليومية لا تملك مطبعة بل تطبع على مطابع جريدة «التيمس»، فقد شعرت الصحف أن خيرا لها ن تبتعد عن مشاكل الطباعة، وتطبع بالأجر في أي مطبعة و بذلك يمكن أن تصدر مجلة أو جريدة في مصر مثلا برأسمال لا يزيد على ألف جنيه.

المهم هو أن نشجع على إنشاء مطابع كبيرة في بلادنا تملكها شركات مساهمة، وممكن أن يساهم فيها مساهمون من البلاد العربية، وأن تكون هذه المطابع تجارية لا علاقة لها بالسياسة، ولا يحق لها اصدار الصحف. وقد لا يعلم الكثير أن صناعة المطابع ممكن أن تدر ذهبا، و بخاصة إذا اعتمدنا على الآلات الالكترونية الحديثة التي تختصر عدد العمال الذين يعملون عليها. وتضاعف الانتاج وتخفض المصاريف.

فلنفكر في حل مشكلة الصحافة في بلادنا بالعقلية العلمية لا بالعقلية التاريخية، فالعلم الجديد قادر على تخفيض نفقات إصدار الصحف، وعلى تسهيل مهمة كل فكر أن يعبر عن رأيه دون حاجة إلى رصد ملايين من الجنيهات.

إنني أتصور أن فكرة تقسيم الصحف بين الأحزاب، هي فكرة غير عملية، وهي أشبه باللعبة التي كنا نعلبها ونحن أطفال، لعبة (عسكر وحرامية)، فنقوم نصف الوقت بدور العسكر ونصف الوقت بدور الحرامية، وعملية توزيع الصحف على الأحزاب تشبه أيضا أيام روسيا القيصرية عندما كانوا يبيعون الأرض بما عليها من فلاحين للمشتري الجديد!

انتهى العصر الذي كان يوزع فيه الصحفيون على الصحف والشركات، كما يوزع ضباط الشرطة الجدد على الأقسام والمحافظات..

إنني أؤمن أن من حق كل حزب أن يصدر ما يشاء من الصحف والمجلات..

ونترك للشعب أن يختار الجريدة التي يقرأها و يريدها..



افتحوا النوافذ ليدخل النور والهواء!

ماذنب الفلاح المصري أن أرسل له طبيبا بلا تجربة ليتولى علاجه وليتعلم فيه!

جرى العرف أنه بعد أن يتخرج الطالب من كلية الطب، وبعد سنة يمضيها في الامتياز، نرسله فورا إلى الوحدات الطبية في الريف. وهي وحدات غير مجهزة، وليست فيها أدوية كافية، وبعضها ليس فيه ماء ولا نور، وليس فيها اخصائي، وهي فوق ذلك بعيدة عن العمران..

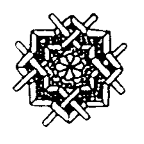
ماذا يفعل الشاب في كل هذا التيه؟ انه يتوه! وإذا تاه الطبيب الشاب داخ معه الفلاح المريض (السبع دوخات)! النتيجة أن يقع الطبيب الشاب فريسة في أيدي بعض الممرضين المتمرسين في تحويل الوحدة الريفية إلى عيادات خاصة. وفي بعض الوحدات الطبية في الريف بلغ الاستغلال بالذين يتولونها أنهم لا يكشفون على الفلاح إلا إذا دفع، ولا توجد رقابة كافية على هذه الوحدات النائية التي لا يستطيع المفتش أن يصل إليها إلا فوق ظهر حمار!

نحن نظلم الفلاح عندما نرسل له أطباء بلا تجربة وبلا مران. ونحن نرى وجوب تعديل هذا النظام فيبقى الطبيب المتخرج في كلية الطب يتمرن سنتين على الأقل في المستشفيات الرئيسية حتى يتمرن على العلاج، فلا نرسله إلى الوحدة الريفية، إلا بعد أن نتأكد أنه قادر على القيام بعمله، ونوفر له أسباب الحياة في القرية، ونجعله يحب أن يعيش في القرية إلى جوار الفلاحين، لا أن يتحين كل فرصة ليهرب من القرية. ويجب أن نعتبر أن أي اهمال في علاج فلاح مصري كأنه اهمال في علاج وزير من الوزراء! في عصر الديموقراطية كل مواطن له أهمية الملك في الدول الملكية.

ويجب إعادة النظر في النظام الذي يمنع الطبيب المصري الشاب من استكمال دراساته العليا في مصر أو في الخارج إلا بعد سنوات محددة وبالدور. كل درجة علمية يحصل عليها طبيب مصري هو مكسب لمصر والمصريين جميعا. والذي لديه القدرة على أن يسافر على حسابه إلى الخارج يجب أن نشجعه على السفر لا أن نضع أمامه المصاعب والعراقيل وكأننا نمنعه من ارتكاب جريمة!

نريد أن نعيد الأمل إلى الطبيب المصري الشاب. نحن مكثنا سنوات نقفل في وجهه الأبواب بالقرارات المرتجلة، والقوانين غير المدروسة، والشعارات الزائفة حتى أصبح بعض طلبة الطب يفضلون الرسوب في الامتحان على الحصول على الدبلوم ومواجهة كل هذه القيود والمصاعب والعراقيل والقوانين والقرارات!

افتحوا كل النوافذ ليدخل النور والهواء والأمل!



السكوت عن جريمة !

لابد أن المشرف على تنظيم مدينة القاهرة رجل متردد جدا . يقر القرار ثم يعدل عنه ثم يعود إليه من جديد !

كان في وسط نفق شبرا رصيف يفصل النفق إلي يمين و يسار.. و بغير سبب ، و بغير طلب ، و بغير منطق ، أصدر المشرف على التنظيم أمرا بازالة هذا الرصيف.. وتصور الناس أن هذا القرار كان محل بحث ودرس قبل أن يتم التنفيذ..

واختلط الحابل بالنابل ، وأصبح المرور فوضى ! وظهر أن القرار غير مدروس وإذا بالمشرف على تنظيم مدينة القاهرة يصدر أمرا باعادة الرصيف إلى نفس المكان الذي كان فيه !

فهل لم يدرس المسؤولون الموقف قبل أن يصدروا قرارهم بالازالة ؟ أم أن هناك صاحب مصلحة في بناء الرصيف ، ثم ازالة الرصيف ثم بناء الرصيف من جديد ؟!

وهذاالشيء نفسه يحدث في شوارع عديدة بمدينة القاهرة ، كأن المقصود هو خلق عمليات يستفيد منها أشخاص معينون.

هذه الفوضى ، وتكـــرار البنـــاء والهدم ، أصبحت عملية ملحوظة في كثير من مرافق الدولة ، حتى أصبحنا نشك في أن هذا تكنولوجيا حديثة في طريقة اختلاس أموال الدولة ، أي اختلاسها بالقرارات وإلغاء القرارات وتعديل القرارات !

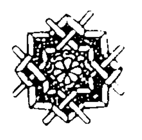
هذا مايردده سكان شبرا ، وأنا لا أريد أن أظلم بريئا ، أو أحكم على متهم بغير أن أعطيه حق الدفاع عن نفسه ، ولكن هذه التصرفات المريبة التي تحدث في أمكنة عديدة تثير التساؤل والدهشة والعجب.. والا تهام !

إن واجبنا أن نحافظ على كل قرش من أموال الشعب ، ولا نعبث به ، ونعرضه للتجارب الساذجة وللقرارات غير المدروسة التي هي أشبه بالسلب والنهب .

واجبنا أن نعترف أن المشرفين على التنظيم في حاجة إلى تنظيم ، وهذا يجعلنا نطالب بإعادة مصلحة التنظيم ، و بإعادة بلدية القاهرة ، و بنزع كل هذه الاختصاصات من محافظة القاهرة.. يجب أن يكون لدينا الشجاعة في الاعتراف بفشل تجربة ضم البلدية والتنظيم إلى محافظة القاهرة ، وأن يكون لدينا نفس الشجاعة في المطالبة بإعادة إنشاء مصلحة المجاري التي لم نر في عهدها كل هذه البرك ، وكل هذه المستنقعات التي زكمت رائحتها الأنوف !

السكوت عما يحدث في مدينة القاهرة هو سكوت عن جريمة ، بل عدة جرائم ترتكب كل يوم في حق هذا الشعب الصابر الذي احتمل حتى الآن ما لم يحتمله شعب آخر !

القاهرة لم تعد عاصمة مصر، بل أصبحت صورة الفوضى والاستهتار والاهمال في الشرق الأوسط !!



الغد أجمل من اليوم !

لا تنظر إلى الدنيا من خلال متاعبك فترى ظلاما . انظر إليها من خلال أحلامك فترى غدا جميلا !

لا تتصور أن عذابك اليومي سوف يستمر، أو أن مشاكلك الحاضرة ستبقى إلى الأ بد !

تأكد أن اليوم أحسن من أمس، وسيكون الغد أجمل كثيرا من اليوم!

إنك تخطيء إذا اعتقدت أن مشاكلنا اليوم لا حل لها. اعلم أن مشاكل اليوم ليست من صنعنا . إنها تركة ورثناها مع الإفلاس والديون والهزيمة والديكتاتورية . واستطاع هذا الشعب أن ينهي الهزيمة وأن ينهي الديكتاتورية و يبدأ في طريق الديموقراطية، وهي أحلام كانت تبدو مستحيلة قبل أن تتحقق، وهذا الشعب نفسه سيعبر الأ زمة الاقتصادية الطاحنة التي لا ذنب له فيها . وسوف يتطلب الأمر تضحيات .

ولكن قبل أن نطلب من الشعب تضحيات فوق ما يتحمل من ضنى وعذاب، يجب أن نحافظ على كل قرش من أموال الدولة التي هي أموال الشعب . يجب أن نقطع كل يد تنهب مال الشعب . يجب أن نضرب بيد من الحديد على كل من يعبث بالمال العام . يجب أن ننظر نظرة جديدة للشعب فنحترمه ونخافه ونرهبه، بعد أن انتهي عصر القهر والارغام .

يجب أن ندافع عن كل مصري وكأننا ندافع عن مصر كلها . فكل موظف كبير يهين مواطنا واحدا إنما يهين البلد كله . وكل مسؤول يعتدي على رجل واحد إنما هو يعتدي على الأمة كلها !

مشكلة رجل الشارع هي أكبر مشاكلنا ، لأن رجل الشارع هو الأغلبية ، وفي عصر الديمقراطية تحكم الأغلبية . .

وأنا اليوم أختار مسألة صغيرة جدا تهم رجل الشارع . أين اختفى وابور الزلط ؟ لم نعد نراه في شوارعنا بعد أن كنا نراه كل يوم؟ من الذي سرقه ؟ من الذي أخفاه ؟ هل تحول إلى سيارة ركوب يركبها أحد كبار الموظفين ، أو اعتمادات شراء وابورات الزلط استعملت في شراء سيارات كبار الموظفين! وتركوا الشعب يقع في الحفر والمطبات والخنادق ؟

من الذي أمر بالغاء الأ رصفة في الشوارع ، وجعلها جراجات تقف فوقها السيارات، أو مخازن توضع فوقها مواد البناء ؟

من الذين حكم على رجل الشارع في بلدنا أن يسير في الشوارع كالبهلوان ولا يجد مترا واحدا في الرصيف يمشي عليه ، كأن هذا البلد أصبح بلد أصحاب السيارات مادام موظفوه الكبار يركبون السيارات ، ولم يعد للماشين على أقدامهم أي مكان ؟

سوف نجعل هذا البلد جميلا إذا لم نسكت على خطأ ، وعندما نحاول أن نصلح كل شيء . . فالذي نحن فيه هو مجموعة من الأخطاء الصغيرة والكبيرة لم نستطع أن نرفضها أو نقاومها أو نقول لها : لا !

——— * * * ———

إذا اشتد الظلام فالفجر على الأبواب!

كل ليل له آخر...

إذا اشتد الظلام فلا تيأس من رحمة الله، كلما اشتد الظلام أمامك فهو دليل على أنك تقترب من أول أشعة لنور الفجر!

كم أحداث مرت علي وتوهمت أنها نهاية الدنيا، وصبرت على ما أصابني فاذا بي أجدها بداية الدنيا.

فإذا كان الظلام يفرض علينا، فنحن الذين نصنع النور بأنفسنا. وكل ذرة من إيمان هي شمعة تضيء لنا الطريق في ظلام الحياة.

وكثيرا ما يجلس الواحد منا في غرفة مقفلة فيخيل إليه أن الليل يحيط به من كل مكان، فاذا استكان لهذا اليأس تغلب عليه، ولكنه إذا وقف واتجه إلى النافذة وفتح الشباك فوجيء بأنه في النهار.

المهم أن تقف على قدميك، وأن تتجه إلى النافذة. لا تستسلم! لا تتخاذل! لا تتوهم أن كل الأبواب سدت في وجهك.

كم من باب تراه من بعيد وكأنه موصد بالضبة والمفتاح، فاذا اقتربت منه وجدته مواربا، وإذا دفعته بيدك انفتح أمامك.

كم من عقبات هائلة تبدو من بعيد كناطحات السحاب، كأنها السدود العالية، وبشيء من المجهود تستطيع أن تخرق فيها ثقبا، بل قد تثبت لك الأيام أن ما ظننته قلاعا من جرانيت إنما هي حصون من ورق!

لا يوجد في الدنيا نجاح دائم ولا فشل دائم. كل واحد منا قادر بغروره واستهتاره وكسله وأنانيته أن يحول النصر إلى هزيمة، وكل فاشل يستطيع بإيمانه واستمراره وكفاحه وصبره أن يحول الهزيمة إلى نصر.

بعضنا يرفع يديه ليستسلم، وبعضنا يرفع يديه ليقاوم.

فريق منا تصرعه الضربة الأولى، وآخرون تخلق منهم الضربة الأولى أبطالا..

ولو عرف كل واحد منا القصة الحقيقية لكل رجل شق طريقه في الحياة ونجح فسوف يذهل عندما يعرف الصعاب والعقبات والأزمات والخطوب التي مر بها.

فهذه محطات يجب أن يتوقف عندها قطار النجاح. وبعض ركابه لا يطيقون العذاب ولا يتحملونه فينزلون من القطار في المحطة الأولى أو الثانية، والذين يصمدون هم الذين يصبرون على العناد والعذاب والضنى والشقاء!

والغريب أن كل عذاب تتحمله اليوم يضاف إلى رصيد نجاحك في الغد. كل فشل تتغلب عليه في البداية يتحول إلى نجاح في النهاية. كل ضربة تهوى على ظهرك في أول الطريق تدفعك خطوات إلى نهاية الطريق!

لا تشك من فشلك اليوم... إنها أجراس النصر للمستقبل!

المهم أن تؤمن وأن تعمل وأن تصبر وأن تستمر!

***

لا ترفضوا المشروعات قبل دراستها !

لم يعد من حق الدولة أن ترفض مشروعا دون إبداء الأسباب ! انتهى الزمن الذي كان من حق أي موظف أن يفعل بأي مشروع مايشاء دون حسيب أو رقيب.

في عهد الانفتاح يجب أن نتتبع ونحاسب كل من يقيم عراقيل في طريق الانفتاح. ونمسك به ونقول له: قف من أنت ! لماذا فعلت مافعلت ؟

أذكر أن البنك العربي الدولي الذي يرأسه الدكتور القيسوني اتفق مع أكبر شركة طباعة في إيطاليا على إنشاء أكبر دار للطباعة في الشرق الأوسط في الاسكندرية وشركة كبرى لنشر الكتب العلمية والمجلات غير السياسية في القاهرة وشركة ثالثة لدراسة المشروعات الطباعية في العالم العربي. وكانت جملة الاستثمارات المقدرة لهذه المشروعات الثلاثة ٢٢ مليون دولار، تدفع منها الشركة الايطالية أكثر من ثمانية ملايين.

ودرس الخبراء المصريون المشروع ووافقوا عليه. ودرس البنك العربي الدولي المشروع ووافق مجلس إدارته عليه. وحضر خبراء الشركة الايطاليون إلى القاهرة في طائرة خاصة ووقعوا على العقد، وسافر الخبراء المصريون إلى ميلانو في طائرة خاصة للاتفاق على التنفيذ..

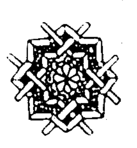
وفجأة أرسلت هيئة الاستثمار خطابا تقول: إن البلد مملوء بالمطابع وإن غرفة الطباعة تعارض في هذا، ونسيت هيئة الاستثمار أن العبرة ليست بعدد المطابع، بل المطلوب هو التقدم التكنولوجي الطباعي، وليس من المعقول أن تبقى مصر متأخرة في الطباعة حتى عن بعض البلاد العربية !

وكان مفروضا على هيئة الاستثمارَ أن تناقش قبل أن ترفض رأي الخبراء المصريين الذين درسوا المشروع. كان من المفروض أن تسأل الصحف المصرية لتعرف أن مطابع مصر لا تكفي لسد حاجة السوق. كان من المفروض أن تسأل وزارة التربية والتعليم وتعلم منها مشكلة الكتاب المدرسي الذي لا يصل إلى التلاميذ إلا بعد شهور من بداية الدراسة. وكان مفروضا أن تسأل الجامعات عن مئات ألوف الكتب الأجنبية التي تحتاجها كل عام!

و يكفي أن على رأس من درسوا هذا المشروع هذه الأسماء: الدكتور عبدالمنعم القيسوني والدكتور مصطفى خليل والسيد حسن عباس زكي والدكتور سيد أبو النجا والمهندس حسن ناجي وغيرهم.

ألا يستحق كل هؤلاء أن يتساووا مع العبقري الذي يرفض المشروع ؟!

كم من المشروعات الكبرى تلاقي نفس هذا المصير.. ونتساءل بعدها لماذا لم ينجح الانفتاح !



جدول الضرب !

سوف نتعقب كل الصعوبات والعقبات التي تقف في طريق الانفتاح إلى أن نفتح كل الأبواب المغلقة! فنحن نؤمن أن الانفتاح وحده هوالذي سوف يجعلنا نخرج من هذه الأزمة الطاحنة، وهو الذي سيجعل هذا الشعب قادرا على أن يأكل لقمة العيش بلا عذاب ولا معاناة ولا شقاء يومي!

تقدمت شركة برنت ووكر الانجليزية عن طريق مستشارها القانوني للمساهمة في مشروع بناء فندق السلام على أرض نادي الشمس بمصر الجديدة. وهو مشروع فندق عالمي يتجاوز رأسماله ١٥ مليون جنيه، والفندق يسع ٥٠٠ غرفة.

وتعهدت الشركة أن يتم البناء في خلال ١٨ شهرا.

وأرادت الشركة إدخال خلاطات الأسمنت الحديثة الميكانيكية لأنه يستحيل إقامة مثل هذا المشروع الضخم في هذا الوقت القصير «بالقصعة» التي يحملهاالعامل فوق رأسه، و يستحيل خلط الأسمنت بالرمل والزلط باليد، والانشاءات على الطريقة القديمة المتخلفة التي عدل عنها العالم كله، حتى المنطقة العربية، ما عدا مصر، واستخدام هذه الطريقة المتخلفة يجعلها تستغرق ١٠ سنوات على الأقل لبناء هذا الفندق!

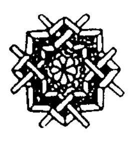
ورفضت هيئة الاستثمار إدخال الخلاطات الحديثة معفاة من الجمارك بحجة أن المعفي من الجمارك هي المواد الداخلة في البناء وهي الحديد والأسمنت والنجارة أما الآلات اللازمة للانشاء ذاته فلابد من دفع ضرائب عنها، لأنها تخص المقاول!

ولا تعرف هيئة الاستثمار أن دخول هذه الآلات الحديثة إلى مصر سوف يدفع صناعة بناء المساكن إلى الأمام في كافة المجالات، و بخاصة أن إعادة هذه الآلات إلى بلادها ستكلف الشركة الانجليزية مبالغ طائلة، ولهذا فهي ستضطر إلى تركها للمقاولين المصريين، و بذلك يتطورعمل البناء في مصر، ولا تصبح مصر عاجزة هذا العجزعن حل أزمة الاسكان!

مع العلم أن قانون الاستثمار لا يمنع دخول هذه الآلات الحديثة ولكنا لا نزال نعيش في دنيا التعقيدات والعقبات والشطارة في وضع الصعوبات وتطفيش كل مستثمر، ومعاملة كل مشروع جديد كمعاملة مهربي المخدرات، وتوهم أن كل رجل أعمال هو لص هارب من الليمان، ويجب أن تمسك هيئة الاستثمار برقبته وتعيده إلى بلده في أول طائرة!

إن ما تكسبه الدولة من رسوم على كل آلة جديدة هو حوالي ألف جنيه.. وما تخسره مصر هو ١٥ مليون جنيه!

مطلوب رجال يعرفون جدول الضرب!



زوجة موظف كبير مستعدة أن تعمل طباخة!

جاءتني زوجة موظف كبير سابق تقول لي إن معاش زوجها لم يعد يكفيها للحياة، هي وزوجها وأولادها.

قلت لها يجب أن تعمل. إنني أؤمن أن العمل عبادة.

قالت إنها في الأربعين من عمرها ولا تحمل شهادة عالية، ولا تعرف لغة أجنبية. ولا تعرف الكتابة على الآلة الكاتبة.

قلت إن كل هذه الموانع يجب ألا تقف في طريقك. يمكنك أن تعملي خياطة في أحد محال الأزياء.

قالت: إن هذا لا تعرفه أيضا.

كل ما تعرفه أنها طاهية ماهرة، وهي مستعدة أن تعمل طباخة في أحد البيوت، وإنها جاءت تستشيرني: هل عملها طباخة وهي زوجة موظف كبير سابق يسيء إلى زوجها أو إلى أولادها؟

قلت لها إنني أحيي فيها شجاعتها، إن وظيفة الطباخ وظيفة محترمة، ومرتبات بعض الطباخين الآن في الفنادق الكبرى تصل إلى أكثر من مرتبات الوزراء. العمل شرف، وكل امرأة تعمل تشرف زوجها، وتشرف أسرتها، وإنما البطالة والحياة التافهة هي التي لا تشرف أي امرأة.

اليوم لا يستطيع كثيرون أن يستخدموا طباخا كل أيام الأسبوع. كثيرون من القادرين يطهون الآن طعامهم مرتين في الأسبوع، و يضعون الطعام في «الفريجيدير» للأيام التالية. يمكنك يا سيدتي أن تعملي في عدة بيوت لا في بيت واحد. أعرف طاهيا أصبح الآن أشبه بعيادات كبار الأطباء، فهو يمضي ساعة كل يوم في كل بيت، وقد يطهو لأربع أو خمس أسرات في اليوم الواحد. الآن أصبحت صناعة الطاهي أسهل مما كانت، فالناس لا تحتاج إلى الهون و يد الهون لصنع الكفتة، و يعتمدون على المعلبات، و يشترون فراخ الجمعية، فاذا ساعدتك صحتك فيمكنك أن تحصلي في الشهر على أضعاف معاش زوجك.

ورحبت السيدة بالفكرة، وعرضت أن تنشر إعلانا في «الأخبار» بعنوان «سيدة من أسرة محترمة مستعدة أن تعمل طباخة» وفتحت حقيبتها لتدفع ثمن الإعلان. وقلت لها: يا سيدتي إنه يشرفني أن أكتب أنا الاعلان عنك فان زوجة رجل محترم بهذه العقلية تستحق أن نحني لها رؤوسنا وطلبت منها عنوانها واسمها لأحتفظ به عندي تحت تصرف أي أسرة تريد طباخة من أسرة كبيرة!

وفي نهاية الحديث سألتها: ما الذي جعلها تفكر أن تعمل طباخة؟ قالت لي: عندما تزوجت ابنتي وعجزت أن أشتري لها ثوب زفاف!.. وعندئذ بكيت!

يا سيدتي! لن تبكي مرة أخرى وأنت تعملين.

***

يا بخته !

يا بخته !

إنه لا يحمل هم أحد. لا يحس بالآخرين. ماتت مشاعره تماما. لا يتعذب لعذاب قريب. ولا يتألم لمصاب جار. ولا يجزع لتوجع مريض. ولا يبكي على فقد حبيب!

لا شيء يهمه سوى نفسه، هو أولا و بعده الطوفان، فإذا رأى إنسانا حساسا لامه على حساسيته واتهمه بالحماقة والجنون! قال له مالك ومصائب الناس، أنت مسؤول عن نفسك وحدك، كفاك متاعبك فلا تضاعفها بمتاعب الآخرين.

عصور الظلام قطعت ما بيننا وبين من حولنا، اعتبرت الشهامة تمردا، والصداقة تآمرا، والنخوة رجعية، والمحبة والتعاون بين أهل القرية الواحدة عصبية إقليمية إقطاعية!

الفرد لا يفكر إلا في نفسه. يختفي جاره فلا يجرؤ أن يسأل أين هو. يجوع صديقه فيخشى إذا مد إليه يده بالطعام أن يقبضوا عليه ويحاكموه كما حدث مع كثيرين.

يرى البريء معلقا فوق مشنقة و يتحسس رقبته ويحمد الله على أنه ليس المشنوق!

إذا رأى جريمة ترتكب أمامه أغمض عينه، وإذا سمع مظلوما يستغيث به سد أذنيه، وإذا طلب منه أحد أن يشهد بكلمة الحق أطبق فمه..

انقطع ما بين الناس من تراحم ومروءة وحنان. وتصور كل واحد منهم أن النجاة في أن ينجو بنفسه.. وإذا بالأيام تثبت لهم أنه لم ينج أحد، وأننا كلنا ضحايا، كل ما هناك أن بعضنا يسبق الآخر إلى مقصلة الظلم، وأن رؤوسنا ستقطع واحدا بعد واحد، وأن الصمت على ظلم إنسان واحد يشجع على ظلم أمة بأسرها!

واليوم ونحن نخطو إلى النهار خطوتنا الأولى يجب أن نعود إلى خلقنا الأصيل. أن نعلم أن الأنانية تؤدي إلى سعادة مؤقتة وإلى شقاء دائم. إلى نجاة محتملة وإلى هلاك مؤكد. أن نعلم أنه بقدر حبنا لبعضنا وتعاوننا مع بعضنا البعض نصبح قوة يحسب لها ألف حساب. وأنه لولا تمزقنا وتفرقنا لما أصابنا ما أصابنا.. أن نعلم أن عزلتنا عن جيراننا هي التي تفقدنا الأمان في بيوتنا، وأنه يوم نعود إلى الأخوة مع جيراننا إنما نحن نزيد عدد الذين يحرسون شققنا ويحمون حياتنا و يؤنسون وحدتنا.

الذين يتوهمون أن عدم المبالاة بالناس هي التي تضمن لهم الحياة الرغدة مخطئون. أشقى الناس هم الذين يعيشون وحدهم. السعادة الحقيقية لا تدق أبواب الأنانيين. انها تكره الوحدة. فهي أشبه بالقبلة تحتاج إلى أربع شفاه!

إبدأ من الآن. تذكر الذين نسيتهم.. اكتب اسم زملائك في الطفولة والدراسة وفي الشباب. اكتب إلى كل واحد منهم بطاقة تهنئة بالعيد. إنك لن تسعدهم وحدهم. تأكد أنك ستكون أسعد منهم جميعا!

جرب أن تحس ببعض الناس.. فسوف يحس بك كل الناس!

الذين لا يهتمون بأحد.. لا يهتم بهم أحد!

—— * * * ——

إذا اختلفت مع رئيس الجمهورية (

إذا اختلفت في الرأي مع رئيس جمهورية بلادك، ولم يقبضوا عليك، ولم يدخلوك السجن، ولم يلفقوا لك تهمة الخيانة العظمى، ولم يحاكموك أمام محكمة عسكرية، ولم يضعوك تحت الحراسة، ولم يصادروا أموالك وأموال أسرتك، ولم يشردوا أولادك أو أشقاءك الذين يعملون في الجيش أو الشرطة، فينقلوهم إلى وظائف مدنية أو يفصلوهم من أعمالهم، ولم يطاردوا أفراد عائلتك، ولم يحاربوك في قوتك وقوت عيالك ولم يتتبعوا خطواتك إذا مشيت ولم يكتبوا التقارير عن كل كلمة تهمس بها أو كل صديق تلتقي به ولم يراقبوا تليفونك، ولم يفتحوا خطاباتك ولم يؤخروا برقياتك عدة أسابيع!

إذا لم تحس أنك منبوذ في بلدك لأنك قلت «لا». ولم تضطهدك حكومتك، ولم يهرب كبار الموظفين منك و يرفضوا مقابلتك ولم يرتعد صغار المسؤولين إذا وقعوا طلبا عادلا لك.

وإذا سرت على رصيف الشارع ولم ينتقل عارفوك إلى الرصيف الآخر حتى لا يضطروا إلى مصافحتك خشية أن ينزل بهم غضب الطاغوت.

وإذا جلست في قهوتك المعتادة فهرول الجالسون فيها يلجأون إلى قهوة أخرى. كأنك ميكروب الكوليرا.

وإذا ضربك مجرم فلم يحاكموك أنت باعتبارك الجاني الأثيم واحتفلوا بتكريم الضارب لأنه يعبر عن إرادة الأمة!

وإذا سرقك لص فلم يقبضوا عليك باعتبارك السارق الحقيقي ولأنه تبين أن أموالك سرقها أجدادك من القطاع العام أيام توت عنخ آمون!

وإذا توفى أحد أقاربك فلم يحذف الرقيب اسمك من النعي المنشور، وإذا مت فلم يخش الناس الاشتراك في جنازتك حتى لا يقبض عليهم كما قبض على الذين اشتركوا في جنازة النحاس باشا و بقوا معتقلين عدة سنوات!

وإذا كتبت الصحف عنك فلم تصب عليك اللعنات والشتائم لأن لك آراء تخالف آراء الحكام، فلم تتهمك بأنك عميل الاستعمار وعدو الشعب وتؤكد أنه ثبت أنك إقطاعي لأنك تملك خمسة أفدنة وأربعة قراريط، وأنك عدو الثورة لأنك اعترضت على تعيين عبد ربه أبو سريع وزيرا للتربية والتعليم بحجة أنه يجهل القراءة والكتابة، ناسيا أن أغلبية سكان مصر لا يقرأون ولا يكتبون، فكأنك تقف ضد تمثيل الأغلبية في مجلس الوزراء!

إذا لم يحدث لك أي شيء من هذا، أو إذا لم يحدث لك هذا كله اليوم، فأنت تعيش في بلد حر ديمقراطي يا صديقي!

***

زلزال في دنيا الصحافة !

حدث زلزال في دنيا الصحافة، قد انتقلت ملكية جريدتين من أهم صحف العالم إلى ملاك جـــدد، جريدة « الأو بزرفر » البريطـــانية الأسبوعية التي تصدر في لندن. وجريدة « نيو يورك بوست » وهي الجريدة اليومية المسائية الوحيدة في مدينة نيو يورك. وأصبح صاحب الجريدة البريطانية شركة بترول أمريكية، وصاحب الجريدة الأمريكية صحفيا استراليا! ولنا مع كل من الجريدتين قصة..

فالأو بزرفر هي الجريدة البريطانية الكبرى التي وقفت مع مصر في أثناء عدوان سنة ١٩٥٦ ونشرت وجهة نظرنا وهاجمت إيدن، ولعنت العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي وفضحته وصمدت للتهديد والوعيد من أنصار الصهيونية الذين قطعوا عنها الاعلانات وحاربوها في التوزيع!

وتعرضت الأو بزرفر في السنوات الأخيرة إلى أزمة مالية حادة، كانت تخسر نصف مليون جنيه كل عام، وقال لي بعض كبار محرريها إن صاحبها يريد بيعها، وسألتهم هل يمانعون في بيعها لعربي فلم يمانعوا، وأبدى أحد كبار الأثرياء العرب استعداده لشرائها. وأيدت دولة عربية في الخليج رغبتها في شرائها وتقدمت المفاوضات. ثم اعترض الأوصياء على الجريدة بأنه إذا اشتراها العرب فستواجه موقفا حرجا أمام القراء الانجليز إذا قرر العرب في يوم ما المقاطعة البترولية مرة أخرى.

وتقدم بعض ملوك الصحافة في العالم لشرائها، وكادت تنجح المفاوضات مع ملك الصحافة الاسترالي مردوك الذي يملك ٨٦ جريدة في أنحاء العالم. واعترض الأوصياء بأنه يملك جريدة نيوز أوف ذي ورلد المتخصصة في نشر الفضائح.

وتقدمت شركة اتلانتيك رتيشفيلد الأمريكية للبترول واشترت الاو بزرفر ووعدت بأن لا تتدخل في سياستها المستقلة، ووعدت بصرف عدة ملايين من الدولارات على تحسين الجريدة، وظهر أنها ستقتطع خسائرها من الضرائب فان شركة البترول الأمريكية تكسب ملايين لا تعرف ماذا تفعل بها.

أما جريدة «نيو يورك بوست» فباعتها صاحبتها إلى المليونير الاسترالي مردوك، وكانت هي الجريدة اليسارية اليومية الوحيدة في نيو يورك. وفشلت كل محاولاتنا مع صاحبة الجريدة لتقف مع العرب، ورفضت أن تكون على الحياد بيننا وبين اسرائيل، وكانت سيدتها متعصبة تعصبا أعمى للصهيونية، وعلم بعض الأثرياء السعوديين برغبتها في بيع جريدتها فعرضوا أن يشتروها، وقالت صاحبة الجريدة إنها تفضل أن تفلس جريدتها على أن يملكها عربي!!

ولا شك أنه اتجاه طيب لملوك المال العرب أن يضيعوا ملايينهم في شراء صحف عالمية، بدلا من أن يفقدها بعضهم على موائد القمار، أو على ملكات الجمال، أو في أندية الليل، أو في إقامة ليالي ألف ليلة وليلة، أو في مشروعات وهمية لا قيمة لها يبيعها النصابون والمحتالون المتخصصون الآن للنصب على العرب في جميع أنحاء الدنيا..

وإذا كانت محاولات العرب قد فشلت هذه المرة في شراء صحيفة عالمية كبرى، فسوف تنجح في المرة القادمة!

كامل الشناوي !

مات ... ومنعوني من تشييع جنازته. وحرموني من إرسال برقية تعزية في وفاته. وأبوا على أن أكتب كلمة في نعيه أو أسكب دمعة في رثائه!

غدا ذكرى الصديق الشاعر الأديب الصحفي كامل الشناوي.

كان كامل الشناوي صديق عمري. عرفته شابا أزهريا يحاول أن يتكلم اللغة الفرنسية، رأيت العمامة على رأسه وهو يتمنى أن يتعلم الرقص الافرنجي.

كان والده رئيس المحكمة الشرعية وكانت هوايته أن يجلس مع فاطمة رشدي وزينب صدقي وغيرهما من الممثلات والفنانات.

كان يحفظ شعر أحمد شوقي ويحفظ أيضا مواو يل الدكتور سعيد عبده وأزجال بيرم التونسي. كان راو ية للأدب العربي و يريد أن يعرف كل شيء عن الأدب الانجليزي والأدب الفرنسي.

كان ثقيل الوزن وخفيف الدم. يضحك حتى يستلقي على ظهره و يبكي حتى ينهار على الأ رض. سريع الغضب ولكنه أسرع في الصفح والرضاء. يحب الأكل و يعشق النساء. ومع ذلك لا يشبع من الطعام و يشبع بسرعة من المرأة، ولهذا فغرامه كان أشبه بدور السينما التي تغير الفيلم مرة كل أسبوع! يحب المستحيلات من النساء، فهو كالشعراء يتغزلون في القمر الذي لا يستطيعون الوصول إليه. ثم يهجر القمر إلى الشمس، ثم يهجر القمر والشمس و يتعبد في الظلام!

يفتح قلبه للناس جميعا، و يفتح يده للناس جميعا. أغنى المصريين بالشعر الذي في رأسه، وأفقر المصريين بالقرش الذي في جيبه. متلاف في ماله وفي صحته وفي حبه و بخيل في كتاباته. إذا قبض مرتبه اليوم أعطى عشرة جنيهات بقشيشا لمضيفة في كافيتريا فندق هيلتون، وفي اليوم التالي يقترض عشرة قروش ليدفع ثمن فنجان القهوة! أحب نساء كثيرات بجنون، ولعنهن أكثر مما عبدهن. ومما يؤسف له أنه مزق أكثر القصائد التي هجا فيها النساء اللاتي أحبهن! وكل قصيدة حب له هي صورة غرامية لحادثة عشق وقعت له مع امرأة أحبها! وقصيدة «لا تكذبي إني رأيتكما معا» هي قصيدة تصف مشهدا حقيقيا، والموسيقار عبدالوهاب يسمي هذه القصيدة «إني ضبطتكما معا»!

يهوى الأناقة. يشتري أغلى الكرفتات، وأغلى العطور، وأغلى الأقمشة، وأغلى المناديل الحريرية و يهوى الجلوس مع أفقر الناس والمتشردين.. يهرب من القصور ليجالس الذين لا مأوى لهم. كان يعطف على الشاعر عبدالحميد الديب شاعر البؤساء، وكان الديب يهجوه كما لم يهج أحدا من قبل أو من بعد. ومع ذلك كان كامل في كل مرة يجمع بنفسه نقودا من أصدقائه ليعطيها للديب ليشتمه من جديد!

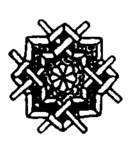
إذا جلس مع الناس ملأ الدنيا ضحكا وابتساما وإذا انفرد بنفسه ملأ الغرفة دموعا وآهات!

شاعر أنيق، وكاتب أنيق لا يختار الكلمة إلا بعد أن يتردد بين مائة كلمة، ولا يكتب المعنى إلا بعد أن يشطب مائة سطر! ولكنه عندما يختار

المرأة التي يحبها يفضل أن يركب الأوتوبيس!

وكان يفضل الأوتوبيس المزدحم، ولهذا لم يجد لنفسه مكانا أبدا، وبقي طوال حياته واقفا في محطة الحياة ينتظر!..

هذا شاعر وأديب وفنان وصديق..
وشخصية لن تتكرر أبدا..



يارب !

يا رب !

اجعل فرحة العيد تدق كل باب وتدخل في كل قلب ، امسح الدموع من العيون الباكية . ضع على كل الشفاه ابتسامة ، اغسل قلوبنا من الحقد والحسد والأنانية والبغضاء والرغبة في الانتقام ، واملأ قلوبنا بالحب والرحمة والحنان ونكران الذات والتسامح .

يا رب !

اجعلنا نرى جمال الدنيا وحلاوة الحياة ، واغلق عيوننا حتى لا نرى العيوب ولا بحيرات المجاري ولا أكوام الزبالة في الشوارع . اعطنا الصبر لننتظر التاكسي الخالي . واعطنا الرشاقة حتى نتشعلق في الأوتوبيس وامنحنا برودة الأعصاب حتى نتحمل عطل التليفونات . وامنحنا الصحة حتى لا يغمى علينا في طابور الجمعية !

يا رب !

أيقظ المسؤولين عن تنظيم المدن من النوم ، حتى يردموا الحفر والمطبات في الشوارع و بذلك نوفر للدولة عشرات الملايين من العملات الصعبة ننفقها في شراء قطع الغيار للسيارات التي تتحول إلى عربات كارو نتيجة الحفر والمطبات . وضع بعض النور في ظلام الرؤوس التي لا تريد أن تفهم أن كل ما نحن فيه من متاعب وأزمات وارهاق مضن هو دخولنا في حروب فرضت علينا . وأن دخول الحرب يكون عادة من الفائض في ميزانية الدولة بعد الانفاق على الضروريات . وأننا كنا أشبه بالمفلس الذي يقترض ليتزوج ! ولكننا لم نتزوج واحدة ! وإنما اقترضنا لنتزوج أربع زوجات هي الحروب الأربع التي دخلناها !

يا رب !

أدم لنا الحرية والديمقراطية وسيادة القانون ، وأنت الذي حولت هزيمتنا إلى نصر وقيودنا إلى حرية قادر أن تحول متاعبنا إلى راحة ، وشقاءنا اليومي إلى سعادة ، وأحلامنا الحلوة إلى واقع أجمل من الأحلام !

يا رب !

أنت تعلم أن هذا الشعب مظلوم في كل ما أصابه ، تحمل ما لا يتحمله بشر ، وصبر كما صبر أيوب ، وقاسى القهر والارهاق وكتم الأنفاس .. والابتسامة لا تفارق شفتيه ، والإيمان يملأ قلبه ..

يا رب !

عوضنا عن حرماننا الطويل بأن تفتح عيون الذين يصرون على أن يغمضوا أعينهم ولا يحاولون أن يحملوا معنا بعض أعبائنا و بعض متاعبنا و بعض شقائنا !

يا رب !

اعط قلوبا للذين لا قلوب لهم ليحسوا بعذاب المحرومين الجائعين !

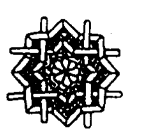
يا رب !

اجمع قلوب العرب ، واجعلها مفتوحة لكل العرب ، اجعلهم يرون الحقيقة وهي أننا لا قيمة لنا ونحن منقسمون مختلفون متشائمون متنابذون ،

وأننا أقوياء جدا ونحن متحدون متعاونون متضامنون!

يا رب !

إنني أطلب منك أشياء كثيرة جدا.. فاعذرني لطمعي فأنت كريم.. وهذا هو العيد الكبير!



السفور مصيبة!

صفقت النساء فرحا عندما قرر الاتحاد السوفيتي المساواة بين الرجل والمرأة في روسيا. وتصورت المرأة الروسية بعد أن حصلت على كل حقوقها أنها ضمنت الحياة السعيدة الدائمة! وإذا بالرجال يضيقون بهذه المساواة، وإذا باللجان الحكومية تتألف لبحث أسباب إضراب الرجال عن الزواج، وارتفاع نسبة الطلاق! وأخطر ما حدث أن الرجل الروسي أصبح لا يريد أن يتزوج من امرأة روسية!

ونشرت جريدة «ليتيرناجازيت» الأسبوعية أن الرجال الروس يقولون: إنه منذ أسفرت المرأة فقدت أنوثتها. وانها أصبحت تدخن وتشرب الخمر وتمارس الحب الحر!

وقالت الجريدة إنها تلقت خطابات عديدة من القراء الرجال يقولون إن المرأة العاملة في روسيا نسيت كيف تكون امرأة! وقالوا: إن كل رجل يحلم بامرأة رقيقة محبة عاطفية خجول.. وان تكون قبل كل شيء امرأة! وإنه أصبح الآن من الصعب الحصول على هذه المرأة في الاتحاد السوفيتي وإن الرجال ضاقوا بالنساء الخشنات اللاتي يشبهن رعاة البقر، وان المرأة الروسية الآن تحاول أن تتحكم في المنزل، ولا تعني بثيابها، وتحول البيت إلى قشلاق عسكري!

وإن كل رجل يريد أن يرى في بيته جوا ناعما مليئا بالحرارة، و بالطهارة. ولكن في هذه الأيام يرى نساء يتصرفن كالرجال، يشربن الخمر، يشتمن بألفاظ نابية، يمارسن الحب الحرام.

وقال أحد القراء إنه حتى في أثناء الحرب العالمية الثانية والمرأة الروسية في ثيابها العسكرية وفي حذائها العسكري الضخم كان فيها أنوثة أكثر مما فيها اليوم! وإنه أصبح الآن من الصعب التفرقة بين الرجل والمرأة بسبب ضحكتها الصاخبة وطريقتها في المشي الخالية من الأنوثة.

وتحتل المرأة الروسية الآن ٥٢٪ من أعمال الزراعة و٤٨٪ من عدد عمال المصانع، وقد اعترفت الصحف الروسية بالصعوبة في الجمع بين العمل وقيام المرأة بوظيفتها في البيت، ويحاول علماء الاجتماع التخفيف من أعبائها بالاكثار من بيوت الحضانة وملاعب الأطفال.

ولكن أهم من هذا أن الرجل يريد في بيته امرأة لا رجلا! والعمل الشاق المتواصل يفقد المرأة أنوثتها ورشاقتها وأناقتها ودلالها ورقتها وسحرها وضعفها المثير. وعندما تجيء المرأة مرهقة من المصنع تريد زوجا عاشقا ينتظرها في البيت ليذكرها من جديد أنها امرأة، و يداعبها و يغازلها و يقول لها وهي تغسل وجهها من دخان المصنع كم أنت جميلة الليلة يا حبيبتي! والزوج في نفس الوقت يكون في حاجة إلى من يسري عنه، ومن ينسيه متاعب يوم العمل الشاق المضني. ولا حل لهذه المشكلة إلا أن يشتري الزوجان جهاز تسجيل ويملآنه بأشرطة من كلمات الحب والغزل والهوى والشوق والاعجاب، فاذا جاء الزوج من عمله مرهقا داس على الزر فخرج صوته يقول: يا حبيبتي الجميلة كم وحشتني! أنت رائعة جدا الليلة! أنت أجمل مما كنت يوم تزوجتك..

و يدور الشريط بينما يسلم الزوج نفسه إلى النوم العميق!!

إنها قضية نطرحها للمناقشة..

—— *** ——

عندما نمت على البلاط!

في ليالي الشتاء، عندما يسقط الغطاء الثقيل من فوق جسدي، ارتجف من البرد، وأحس بقشعريرة.. وأسارع وأمد يدي إلى اللحاف والبطانية لأغطي ما تعرى من جسمي.. وأتذكر أولئك البؤساء التعساء الذين يرتجفون من البرد في الليالي القارسة، ولا يستطيعون أن يمدوا أيديهم إلى اللحاف أو البطانية، لأنهم لا يجدون اللحاف أو البطانية!

الذي لم يذق قسوة البرد لا يتصور عذابه وآلامه. إنه أشبه بمنشار ينشر اللحم والعظم بلا رحمة.. أحيانا تحس أن مسامير تغرس في لحمك. أحيانا تشعر أنها خناجر تغمد في كل جزء من جسدك. ما ألعن النوم في غرفة بلا زجاج و بلا نوافذ. السعيد هو الذي يجد قطعة ورق «كارتون» يسد بها الشباك المفتوح ليقلل من اندفاع الرياح الباردة التي تشتد في الظلام.. ولكن لا تلبث أن تجد صاروخا من الهواء يخترق الورقة أو ينفذ من جوانبها و يضرب النائم علقة تؤلم كل جزء من جسمه..

إنني جربت النوم في غرفة بلا نوافذ. وجربت النوم على الأرض.. وجربت النوم على الأسفلت والبلاط. وجربت النوم بلا بطانية، أو ببطانية ممزقة إذا غطت بطني كشفت ساقي، وإذا غطت ساقي كشفت بطني. ولهذا عندما أوفدت زميلتي نادية العسقلاني لتشتري بطاطين لأطفال «ملجأ أولادي» بمبلغ ٤٠٠ جنيه تبرعت بها محسنة مجهولة أحسست أنني أغطي جزءا صغيرا من جسمي الذي يرتعش من البرد.

واشتد البرد.. واتصل بي صديق بالتليفون وأخبرني أن فاعل خير لا يريد أن أعرف اسمه يريد أن يتبرع بعدد من البطاطين لبعض أطفال الملاجيء. وسألني كم بطانية أطلب. وشعرت بالطمع وقلت ٥٠٠ بطانية!

وفي اليوم التالي تلقيت خطابا من الأستاذ أحمد أحمد نوح رئيس مجلس إدارة شركة الملابس والمنتجات الاستهلاكية جاء فيه «بمناسبة تبنيكم مشروع مساعدة أطفال الملاجيء بمناسبة حلول فصل الشتاء فقد تبرع فاعل خير بعدد ٥٠٠ بطانية صوف مقاس ١٥٠× ٢٠٠ وسدد قيمتها نقدا، وقد طلب وضعها تحت تصرفكم لتوزيعها بمعرفتكم على ما تختارونه من تلك الملاجيء» وأحسست أنني أغطي جزءا من جسمي العاري.. ولكن مازلت أشعر بالبرد.. مادام في بلدنا إنسان واحد لا يجد الغطاء الكافي..

المشكلة التي تواجهني هي كيف أوصل هذه البطاطين لأطفال الملاجيء؟ كيف أضمن ألا يتغطى بها موظفو الملاجيء و يتركوا الأطفال عرايا؟! كيف أمنع بيع هذه البطاطين واستبدالها ببطاطين ممزقة مليئة بالثقوب التي يدخل منها البرد القارس؟

إنها مشكلة تؤرقني، وأتصور أنها الآن مشكلة في كل مكان... كيف نجعل مال الشعب يصل إلى الشعب دون أن يضل طريقه و يدخل بعض الجيوب؟

من يسرق مال الصدقة تحل عليه لعنة الله!

***

لا تلغوا اللغات الأجنبية من مدارسنا!

تلقيت شكوى بأن كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان ألغت اللغة الانجليزية من برنامج المعهد! وعجبت فقد كان خيرا لهم لو ألغوا كل المواد وأبقوا تدريس اللغة الانجليزية! ففي العصر الذي نعيش فيه أصبحت اللغة الأجنبية من أهم الأسلحة في يد الشاب المصري الذي يريد أن ينطلق في هذا العصر الجديد!

وفي هذا الأسبوع تم التعاقد مع شاب مصري لا يتجاوز عمره ٣٢ سنة ليعمل في وظيفة مترودتيل— أي رئيس جرسونات— في أحد فنادق الخليج بمرتب قدره ألف جنيه استرليني في الشهر، أي ثلاثة أضعاف مرتب رئيس وزراء مصر، وهو يحمل شهادة متوسطة، وله خبرة عشر سنوات و يتكلم اللغة الانجليزية.

وفي القاهرة نفسها أعرف مترودتيل وهو شاب يصل أجره الشهري إلى سبعمائة جنيه وهو يتكلم اللغة الانجليزية!

وإحدى المؤسسات الكبرى في القاهرة عينت أمس سائق سيارة لا يحمل أي مؤهلات بمرتب قدره خمسة وستون جنيها لأنه يتحدث اللغة الانجليزية.

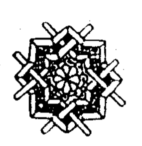
وأعرف أن زوجة أحد وكلاء الوزارات كانت تعمل في دار المعارف بمرتب ٣٥ جنيها في الشهر، وعينها البنك الياباني في القاهرة بمرتب ١٣٠ جنيها في الشهر يضاف إليه ٢٠ جنيها شهريا بدل استقبال لأنها تعرف اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية.

وأعرف أن سكرتيرة أحد المديرين في القاهرة تتقاضى ثلاثمائة جنيه في الشهر لأنها تجيد الانجليزية والفرنسية.. وفي المؤسسة نفسها سكرتيرة تعمل بثلاثين جنيها لأنها لا تجيد لغة أجنبية!

وذكر لي أحد كبار رجال الأعمال أن شركته أعلنت أنها في حاجة إلى محام يجيد الانجليزية بمرتب شهري قدره تسعمائة جنيه استرليني في الشهر لا في العام بخلاف المسكن ونفقات السفر.. فلم يتقدم مصري واحد!

و بعد ذلك نلغي تعليم اللغة الانجليزية في معهد الخدمة الاجتماعية؟!

صدق من قال «العلم نورن»!



الرجل المناسب في المكان المناسب!

لا أريد أن أصدق أن شقيق أحد شهداء حرب أكتوبر من أبناء قرية صهرجت تقدم إلى القوات المسلحة يطلب عملا، فأحالته إلى مكتب القوى العاملة، الذي رشحه للعمل في وزارة الأوقاف، التي عينته «مؤذنا» بأحد المساجد!

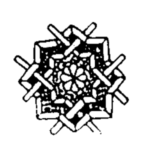
واسم المؤذن الجديد هو سمير حنا!

وأظن أنه يجب ألا ندهش إذا عينوا قبطيا مؤذنا في أحد مساجد المسلمين وإذا عينوا حانوتيا مديرا لمستشفى وإذا عينوا جاهلا رئيسا لأكاديمية العلوم، وإذا عينوا أميا عضوا في المجمع اللغوي، وإذا عينوا أحد خريجي الأزهر بطريركا للأقباط، فقد أصبحت القاعدة تعيين الرجل غير المناسب في المكان غير المناسب!

وعندما صدر قرار بتعيين الرجل المناسب في المكان المناسب.. فهم بعض الوزراء ومديري الشركات أن المقصود بكلمة الرجل المناسب هو «المناسب» بكسر الميم، أي الذي يناسب الوزراء والعظماء والكبراء.. ولهذا ملأوا مناصب الدولة بأبناء العمات وأبناء الخالات، وأزواج البنات، حتى جاء وقت كان لكل وزير أكثر من عشرين أو ثلاثين من الأقارب في الوزارات التي يعمل بها! وكان بعض الوزراء يخشون أن يكتشف الناس أنهم عينوا أقاربهم موظفين في وزاراتهم، فكان الوزير منهم يتفق مع زميل له أن يعين أقاربه في وزارته في مقابل أن يعين الوزير أقارب الوزير الآخر، نزولا على مبدأ «شيلني وأشيلك»!.. وهكذا تكون عدد من الأسرة المالكة في كل وزارة!

والآن، ونحن نخطو الخطوة الأولى في دنيا الديموقراطية يجب أن نعلم أن أساس الديموقراطية هو المساواة، ومعنى المساواة ألا يكون لأقارب الوزراء والكبراء امتيازات على باقي أفراد الشعب .. وأن المناصب للكفايات لا للمحاسيب..

ولا نعتقد أن مجلس الشعب الجديد سوف يسكت إذا ملأ وزير وزارته بالأقارب والمحاسيب!



لماذا أنا متفائل؟

سألتني طالبة في مدرسة باحثة البادية الثانوية التجارية عن سر تفاؤلي الدائم؟

قلت إنه إيماني ...

هذا الايمان يجعلني أرى الفرج في الشدة، والنور في الظلام، والأمل في لحظات اليأس والشقاء. وعندما يحيط بك السواد من كل مكان افتح عينيك جيدا فسترى الله. وإذا لم تر الله وأنت مفتوح العينين، فاغمض عينيك وسوف تراه!

الله يلبي نداءنا عندما نطلبه. وقد لا يعطينا ما نريد، ولكنه لابد أن يعطينا شيئا. يعطينا الصبر لنتحمل أو يعطينا العزم لنحاول من جديد، أو يعطينا القوة لنقف على أقدامنا، أو يعطينا النور لينير طريقنا في الظلام.. أو يعطينا صديقا يمد يده لنا.. أو يعطينا إنسانة تشاركنا في آلامنا..

والايمان يعطيك الأمان. أنت مع الله لن يغلبك أحد، ولن يقهرك ظالم ولن يدوس عليك جبار. عندما نقول كلمة «يارب» تزلزل عروش الطغاة، وتدك قلاع المستبدين، وتحول العتاة الأقوياء إلى ضعفاء مقهورين مغلوبين.

أنت بالايمان لا تشعر أبدا أنك وحدك بل إنك تحس أنك أقوى من الذين قهروك وظلموك وملأوا عينيك بالدمع وقلبك بالحزن والأسى.

لا تتصور أن الذي أقوله لك هو خيال كاتب أو أحلام شاعر، فأنا رأيت الله في المحن. يده جففت دموعي، وضمدت جراحي، وانتشلتني وأنا راكع على الأرض، وسندتني قبل أن أتخاذل، ودفعتني إلى الأمام وكل شيء حولي يدفعني إلى التقهقر ويجذبني إلى الوراء.

القلب المؤمن لا يخاف. يصمد للخطوب. يثبت للشدائد. يحول الفشل إلى نجاح. إذا وقع وقف، وإذا تآمرت عليه الدنيا أعطاه إيمانه قوة يغلب بها قوى البغي والعدوان ونصره على الذين توهموا أن في أيديهم سيف المعز وماله، وأنهم في قدرتهم أن يهبوا الحياة لمن يريدون، أو يحكموا بالموت على من لا يحبون!

أما الذين لا يؤمنون بأي شيء، فهم يخافون من أي شيء، ولا يثقون في شيء. هبوب النسيم يهزهم، وصوت الاعصار يصرعهم. خطاهم مترددة، قلاعهم من ورق، وسيوفهم من خشب وأفئدتهم هواء!

الانسان بلا إيمان ضعيف هزيل، لأن ليس وراءه سند يسنده، ولا درع تحميه، ولا أمامه نور يضيء له طريق الحياة!

هذا هو الفرق بين القلوب المبصرة والقلوب العمياء!



البطالة المقنعة !

زارتني موظفة من خريجات الجامعة، قالت لي إنها تعمل في إحدى الوزارات، وقد مضى عليها أربع سنوات دون أن تؤدي أي عمل! بل انها لا تذهب إلى الوزارة إلا مرة في أول كل شهر لتقبض مرتبها! ومع هذا فان رؤساءها يقدمون عنها تقارير بأنها ممتازة، ولهذا فهي ترقى إلى درجات أعلى بغير أن تضع يدها في أي ورقة من أوراق الوزارة!

والغريب أن هذه الموظفة ليست راضية عن هذا «العز»! البطالة تكاد تقتلها. تثير أعصابها. فانها نتيجة بقائها في بيتها بلا عمل أصبحت تدخن بشراهة وتشرب عدة فناجين من القهوة، وهي غير مستعدة أن تقوم بأي عمل في بيت أسرتها. البطالة أشلت تفكيرها وأشلت حركتها!

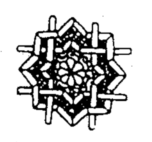
وهي في دهشة من أن رئيسا من رؤسائها لم يطلب منها أن توقع على ساعة الحضور أو ساعة الانصراف، ولم يسأل أحد عن غيابها.. فليست وحدها في هذه البطالة التي لا مثيل لها في أي بلد في العالم. عشرات الألوف من الموظفين والموظفات يتقاضون مرتباتهم ولا يبقون في مكاتبهم إلا دقائق كل يوم.. ولا يمكن أن نقول إنه لا توجد أعمال! هناك أعمال كثيرة في حاجة إلى موظفين أكثر.. نظافة القاهرة مثلا! التليفونات العاجزة! المرور الملخبط! الجميعات الاستهلاكية التي تقف أمامها الطوابير ساعات طويلة لعدم وجود العدد الكافي من الموظفين! مصلحة البريد التي تؤخر تسليم خطاباتها أسابيع في عنوانات خطأ!

إننا يجب أن نسارع إلى حل هذه المسألة قبل أن نواجه كايران بالأزمة الخطيرة التي تشغل بالها، وهي أن لديها ١٥٠ ألف جامعي بلا عمل! الحل في رأيي أن ننشيء مدارس لتدريب خريجي الجامعة الذين لا عمل لهم. نعدهم لوظائف فنية بحيث لا يكون التعيين بلا عمل هو القاعدة! انني أقترح أن ندربهم على اللغات الأجنبية فان البلاد العربية تحتاج إلى موظفين يجيدون اللغات بمرتبات غير معقولة!

إن إحدى شركات الخليج أعلنت في الصحف الانجليزية عن حاجتها إلى سكرتيرات يجدن اللغة الانجليزية بمرتب ٦٠٠ جنيه استرليني في الشهر! وأمس فقط تم التعاقد مع مصري ليعمل طباخا في الخليج بمرتب قدره خمسمائة جنيه مصري في الشهر! ومع شاب ليعمل «حلواني» بمرتب قدره ٢٥٠ جنيها في الشهر!

وفي المعرض السويسري في القاهرة كانوا يعطون الطالبة في الجامعة التي تجيد اللغة عشرة جنيهات كل يوم.

ومع ذلك فلا يزال لعابنا يسيل على وظيفة في مكتب بثلاثين جنيها في الشهر لا نؤدي فيها أي عمل!



كثرة القوانين هي سبب أزمة المساكن !

يتحدثون عن إنشاء بيوت جاهزة من الخشب في مصر..

ويجب أن نعلم أن هذه التجربة حدثت في بلاد عربية وفشلت، فاذا كانت التجربة نجحت في بلاد باردة كالسويد وألمانيا والولايات المتحدة وسويسرا، فالسبب في ذلك أن برودة الجو ورطوبته تجعل المادة التي تضاف للخشب لمنعه من الاحتراق بسرعة لا تتحمل جفاف الجو في منطقتنا الحارة، بل تصبح على العكس أكثر قبولا للاحتراق..

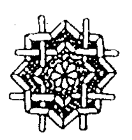
وحدث في أحد البلاد العربية أن شبت النار في أحد هذه البيوت فالتهمته في سبع دقائق، وانتشرت إلى ٢١ بيتا مجاورة، والتهمتها في سبع دقائق أيضا. ولولا لطف الله أن الهواء تغير اتجاهه فلم تنتشر النار إلى بقية البيوت وعددها ٢٢٠ بيتا لاحترقت جميعها. ومن حسن الحظ أن الحريق حدث في الساعة الرابعة بعد الظهر، في وقت كانت البيوت خالية من السكان، وإلا لكانت كارثة أدت إلى ضياع مئات الأرواح..

المهم أن نعلم أن ما يصلح في أوربا ليس بالضرورة صالحا لمصر. وأنه يجب أن تختبر كل مادة قبل أن يتعاقد عليها، وأن يتم الاختبار على وجه السرعة حتى لا يكون السبب نسبيا في تعطيل كل مشروع باجراء اختبارات عليه.

إننا بهذه المناسبة نرى أن الاسكان الشعبي يتم بواسطة الحكومة والقطاع العام والجمعيات التعاونية التي تقدم لها الحكومة الأرض مجانا، وتدبر لها مواد البناء بأسعار معقولة، أما القطاع الخاص فيجب أن يترك له حرية بناء المساكن المتوسطة وفوق المتوسطة والفاخرة، وأن تكون الايجارات الجديدة متفقة مع التكاليف الحقيقية. فغير معقول أن تكلف الحكومة متر البناء في مبانيها الاقتصادية خمسين جنيها، ثم تطلب من صاحب العمارة الجديدة أن يحدد الايجار على أساس أن تكاليف المتر ١٢ أو ١٤ أو ١٦ جنيها.. هذا هو الذي يدفع صاحب العمارة إلى فرض خلو الرجل، أو الامتناع عن انهاء البناء، فنحن الآن نرى مئات العمارات غير مستكملة أو يتولى عامل واحد مهمة اكمالها! وهذا أمر خطير يدل على أننا لا نعالج المسألة علاجا جديا. فغير معقول أن نترك آلاف الشقق على التشطيب بينما شبان وشابات ينتظرون في الشارع حتى يجدوا مأوى لهم!

إن سبب أزمة المساكن هو كثرة القوانين وكثرة تدخل الحكومة.. ولو ترك الأمر للعوامل الطبيعية لما حدثت الأزمة أصلا!

نريد قرارا شجاعا بوقف التدخل.



كيف أقلعت عن التدخين ؟

أمر أطباء لبنان صديقي سعيد فريحة صاحب صحف دار الصياد أن ينقطع فورا عن التدخين. ونزل عليه هذا الأمر نزول الصاعقة. فقد كانت السيجارة لا تفارق فمه وهو الآن «يتقلب على جمر النار» كما تقول أغنية أم كلثوم المشهورة عن الحب.

إن بعض الناس يستطيعون أن يعيشوا بلا طعام، ولا يستطيعون أن يعيشوا بلا سيجارة.

وكنت أدخن ١٢٠ سيجارة كل يوم. أفتح عيني وأنا أدخن وأغلق عيني عند النوم وأنا أدخن. أدخن وأنا أتناول الطعام، وكنت أدخن وأنا أقف أستحم تحت الدش. ثم أراد الذين يقيدون حريتي أن يتحكموا في عدد السجائر التي أدخنها وفي نوع السجائر. وذات يوم أشعلت سيجارة، وأخذت منها نفسا طويلا ثم ألقيتها على الأرض، ودست عليها بقدمي وقلت هذه آخر سيجارة. وكانت هذه آخر سيجارة فعلا.

كان الإقلاع عن التدخين في أول الأمر صعبا. ثم تحول إلى عادة.. كالتدخين تماما. ومضت سنوات طويلة لم أدخن سيجارة واحدة. وفي بعض الأحيان أفتقد رائحة السيجارة، فأجدني أقول لمن يجلس يتحدث معي: «اشعل سيجارة»! وأرى في المدخن نفسي، وأنتشي من رائحة الدخان، تماما كما يرى العجوز المحروم من الحب سعادة في أن يرى العاشقين الصغار يتبادلون كلمات الهوى!

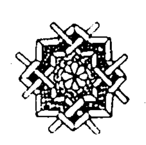
واكتشفت بعد إقلاعي عن التدخين أن وقت فراغي قد زاد، بمعنى أنني وجدت في اليوم ساعات أكثر للعمل ويظهر أننا عندما ندخن نسرح في لا شيء، أو نتابع حلقات الدخان، ونفقد بعض الوقت مع كل سيجارة وعندما نقلع عن التدخين نجد وقتا لعمل أشياء لم نكن نجد لها وقتا ونحن ندخن! ولا أعرف هل هذا الاكتشاف حقيقي، أم أن الاضراب عن التدخين جعلني أخرف وأتوهم أشياء تحذرني بدلا من الدخان.

ووجدت نفسي أكثر شهية لتناول الطعام، وأكثر احتمالا للثقلاء، ويبدو أنه إذا احتمل الانسان عدم التدخين يستطيع أن يحتمل أثقل شيء في الدنيا.

وزاد وزني ١٠ كيلو بعد الاضراب عن التدخين، وهذا ما يحدث أيضا للمحكوم عليهم بالإعدام! وكنت في كل صباح عندما أفتح عيني أزأر كما يفعل سبع مترو جولدين ماير في أول الأفلام، والآن توقف هذا السعال اللعين الذي كان أشبه بسكين يلعب في صدري.

أهم شيء أنني شعرت بعد أن أقلعت عن التدخين أنني كنت عبدا للسيجارة وأصبحت حرا!

ما أجمل شعور الانسان عندما يصبح حرا!



الكناس المهندس!

منذ ١٥ سنة كتب لي طالب في كلية الهندسة يقول لي إنه مضطر للانقطاع عن الكلية لأنه أكبر أفراد أسرة من ثمانية أشخاص مات عائلهم ولم يترك لهم مليما. وإنه يريد عملا يستطيع أن يؤديه وفي الوقت نفسه يواظب على الدراسة وكل مكان ذهب إليه ردوه خائبا!

وأرسلته بخطاب إلى صديق لي يدير إحدى الشركات، وأجابني الصديق أنه يأسف لأنه لا يوجد عمل يليق بهذا الشاب، وفي الأوقات التي يريدها، سوى عمل واحد يبدأ في الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل وينتهي في الساعة السادسة صباحا، وأن أجر هذا العمل ١٢ جنيها في الشهر.. ولكن العامل المطلوب هو عامل نظافة أي باللغة العربية «كناس»! ولهذا فهو يأسف كل الأسف لأنه لا يستطيع أن يحقق طلبي!

وقابلت طالب الهندسة وأبلغته أسفي لفشلي في وساطتي، لأن الوظيفة الموجودة هي وظيفة كناس، وقد يرى أنها لا تليق به كطالب في الجامعة.

فسألني الشاب: وما رأيك أنت في هذه الوظيفة؟

قلت لو كنت مكانك لقبلتها. إنني أفضل الكناس الذي يعمل على ابن الباشا الذي لا يعمل!

قال الشاب: وأنا أقبل وظيفة الكناس هذه!

وفي هذه اللحظة أحسست أنني أمام شاب ممتاز..

ومضت سنوات واستطاع الشاب أن يكون من أوائل كلية الهندسة وهو يعمل كناسا في الشركة ويواظب على مواعيد عمله، وعندما تخرج أوفدته الشركة في بعثة إلى الخارج وحصل على دكتوراه من أمريكا.. ونجح إخوته السبعة وأحدهم طبيب والثاني كيميائي والثالث مهندس زراعي والرابع محاسب والخامس والسادس والسابع لا يزالون يدرسون في الجامعة.. وفي كل مناسبة يقول لي هذا الشاب الممتاز إنه يشكرني لأنني نصحته أن يقبل وظيفة كناس!

وفي الأسبوع الماضي كان يزورني في مكتبي أحد كبار رجال الصناعة في البلاد العربية، وقال لي إنه يبحث عن مهندس شاب مصري يحمل شهادة دكتوراه في الميكانيكا!

ورويت له قصة الشاب المصري الذي قبل أن يعمل كناسا في أحد المصانع!

فقا لي: هذا هو المدير الذي أبحث عنه للمصنع الجديد الذي تعاقدت على إنشائه في بلادي!..

قلت: ألا تريد أن تسأل عنه أولا؟

قال: يكفي أنه قبل أن يعمل كناسا ليعلم إخوته في الجامعة ويتعلم!

وتعاقد الاقتصادي العربي الكبير مع المهندس الشاب بمرتب قدره ستمائة جنيه استرليني في الشهر، وبيت مكيف الهواء، وسيارة مرسيدس، وأجرة السفر، واجازة مدفوعة ثلاثة أشهر كل عام!

كم واحد منا يقبل أن يعمل كناسا؟!

***

مئات الألوف يقيمون في المقابر!

أتمنى لو ألزمنا كل مقاول أن يضع أمام أرض البناء لافتة يكتب عليها تاريخ بدء البناء وتاريخ الانتهاء منه.. وهكذا إذا مر أي فرد في الشارع أمكنه أن يعرف المقاول المهمل والمقاول النشيط، وأن يفرق بين المهندس الذي يقوم بواجبه والمهندس الذي يبيع أدوات البناء في السوق السوداء، وأن يكشف شركة البناء التي تمكث ١٤ سنة في بناء عمارة دون أن تتمها معتمدة على دفع رشاوي لمن بيدهم رقابة هذه التصرفات!

الذي يحدث في مصر الآن هو سرقة علنية. عمارات متوقفة على التشطيب ولا تنتهي لأن صاحبها يعلم أن كل يوم يمر يضاعف رأسماله، بينما ٢ مليون مصري لا يجدون المسكن المناسب! أبنية تملكها الحكومة متوقفة على مبالغ تافهة، بينما لو تمت هذه الأبنية لخلت مئات الشقق والمساكن. إن الحكومة هي أول المسؤولين عن أزمة المساكن، لأنها ضاعفت عدد الادارات والمصالح بلا سبب، واحتلت شقق المساكن وحولتها إلى مكاتب، ولو أجرينا إحصاء دقيقا لعرفنا أن عدد الشقق التي تسكنها الحكومة ومصالحها أكثر من عدد المساكن التي بنتها في السنوات الأخيرة!

إننا نشهد مئات .. الخرائب في مصر، وأصحابها لا يبنونها لأنهم يريدون أن يكسبوا من كل خرابة مليون جنيه.. وفي بلاد العالم قوانين تجعل الحكومة تقتسم الأرباح مع صاحب الخرابة عندما يتضاعف ثمنها. ولكننا هنا نترك الخرائب تتحول إلى صناديق زبالة ضخمة دون أن نحاسب أصحابها. نريد قانونا يحتم على صاحب الأرض الخالية أن يحولها إلى ملعب لأطفال الحي، وأن يعين لها حارسا مهمته أن يحافظ على نظافتها ويمنع أن تكون «مقلب زبالة». وهذا لن يكلف صاحب الأرض سوى جنيهات قليلة بينما هو سيكسب منها ألوف الجنيهات.

إننا بهذه الطريقة نشجع أصحاب الأرض الخالية على البناء وخاصة وزارة الأوقاف التي تملك كثيرا من الخرائب التي تقوم بتوريد الأمراض والميكروبات لمدن الجمهورية بانتظام!

إن مئات الألوف يقيمون الآن في المقابر وفي المساجد و بعضهم ينامون في الشوارع!

والسكوت عن هذه الجريمة هو جريمة أكبر!

* * *

الميكروبات تأكل اللحم!

الانسان في مصر لا يجد اللحم!

والميكروبات في مصر تجد اللحم بسهولة..

وتحتاج المعامل الطبية في مصر إلى أطنان من اللحم سنويا لزراعة الميكروبات وتصنيع حقن الوقاية ضد الأمراض، وارتفع ثمن كيلو اللحم إلى ١٧٠ قرشا، وإلى مائتي قرش في بعض الأحيان!

وتوصل طبيب مصري إلى اكتشاف غريب، وهو أنه من الممكن أن يحل الترمس محل اللحم في هذا الغرض، وبهذا يوفر ألوف الجنيهات يوميا على الدولة.

ونشر الطبيب المصري اكتشافه في المجلات الدولية العلمية في الخارج. وعرضه على الهيئات العلمية في مصر، فرحبت به.. وكتب بعضها يقول إن الترمس يوفر على المعامل ٧٢ مرة ما تنفقه على اللحم.

وطاف الطبيب المصري ١٨ سنة على إدارات ومصالح الحكومة لتأخذ بهذا الاكتشاف.

واسم الطبيب هو الاستاذ صلاح الدين الخولي الأستاذ السابق للبكترولوجيا بكلية طب جامعة عين شمس والمستشار الحالي لوزارة الصحة..

ومن الطريف أنه طلب مقابلة أحد الوزراء منذ سنوات ليعرض عليه اكتشافه، وسارع الوزير إلى تحديد موعد، وأحسن استقباله، وسأله: هل هو قريب الدكتور حسن صبري الخولي المبعوث الشخصي لرئيس الجمهورية يومئذ؟ فأجاب انه ابن عمه، فرحب به الوزير ترحيبا كبيرا، ونسى الوزير موضوع الاكتشاف، وأمضى مدة المقابلة في الاستفسار باهتمام عن صحة سيادة المبعوث الشخصي لرئيس الجمهورية، داعيا له بكامل الصحة وموفور العافية، مثنيا عليه، مطنبا في صفاته.. أما الاكتشاف نفسه فلم يتسع وقت المقابلة لبحثه!

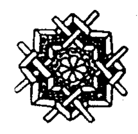
ومضى الطبيب يحاول معتمداً على نفسه.. ومنذ عشر سنوات كان معمل المصل واللقاح، التابع لوزارة الصحة يستهلك ٥٠٠٠ كيلو جرام لحم سنويا، وكانت المعامل البيطرية التابعة لوزارة الزراعة تستهلك ١٠٥٠٠ كيلو لحم، وهما معملان من حوالي مائة معمل في الجمهورية. وكان هذا الحال منذ عشر سنوات، فماذا نستطيع أن نوفر الآن لو استعملنا الترمس بدلا من اللحم؟

ومن العجيب أن هذه التجربة نجحت في كليات الطب في عين شمس وأسيوط والأزهر التي قبلت هذا الاكتشاف، ولم يدخلها منذ عشر سنوات كيلو لحم واحد، وهي تعمل على الترمس!

أظن أنه أولى أن يأكل الشعب مئات الأطنان هذه من اللحم.. بدلا من أن تأكلها الميكروبات!

ولكننا نعيش في دوامة البيروقراطية!

فان الاكتشاف المصري مازال موضع دراسة منذ ١٨ سنة!



ابن العسكري !

قال لي أحد وكلاء الوزارات إنه يعيش في بيته في أزمة! تقدم شاب ممتاز لخطبة ابنته. يحمل شهادة جامعية من أوربا. يشغل منصبا مرموقا في إحدى الدول العربية، وأعجبت ابنته بالشاب، ورحبت به زوجته. ثم اكتشفت زوجة وكيل الوزارة أن والد الشاب «عسكري بوليس»!

وصرخت الزوجة وبكت وولولت! يا لها من فضيحة!

ماذا سيقول الناس إذا عرفوا أن بنت وكيل الوزارة تزوجت من ابن عسكري؟!

وأصرت الزوجة على الرفض مع القاء درس على العريس قليل الأدب الذي جرؤ أن يتزوج من «الناس اللي فوق»!

وجاءت الزوجة بشاب آخر. ابن أحد الوزراء السابقين. لا ذكاء ولا مستقبل ولا طموح. كل قيمته أنه ابن الوزير السابق، ووالده يساعده بخمسين جنيها كل شهر.

ووكيل الوزارة حائر بين رأيه ورأي زوجته. بين شاب كفء وشاب له حسب ونسب.

قلت له: وما رأي ابنتك؟

قال: تفضل ابن العسكري!

قلت: وأنا أرى أن زوجتك تعيش في الجاهلية. في عقلية الماضي، في أوهام أن أولاد الناس هم أولاد العائلات الكبيرة. ابن الناس في رأيي هو الشاب المؤدب المؤمن الذي يعشق عمله، الذي يتباهى بما فعله هولا باسم أبيه أو بمجد أسرته.

كم من أبناء رجال كبراء ووزراء وحكام لا يساوون مليما في ميزان الحياة.

وكم من شبان أولاد عمال وفقراء شقوا طريقهم بعرقهم وجهدهم، بغير أن يعتمدوا على جاه، ولا على حسب ولا نسب.

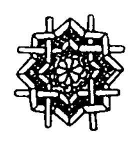
ان ابن العسكري هذا يستحق التقدير أكثر من شاب مثله تماما، نال نفس الدرجات العلمية وهو ابن وزير. فابن الوزير وجد الطريق أمامه سهلا للنجاح. بينما ابن العامل الفقير أو الموظف البسيط عانى وشقى وتعذب حتى وصل إلى ما وصل إليه.

إنني في حياتي التقيت في قاع المدينة برجال فضلاء لم ألتق بمثلهم فوق القمة... إن بعض الذين فوق مكانهم تحت.. وبعض الذين تحت يستحقون أن يكونوا «فوق»!

وفي صباح اليوم التالي اتصلت بي زوجة وكيل الوزارة وشتمتني!

وفي عصر اليوم التالي اتصلت بي ابنة وكيل الوزارة ودعتني لحضور خطبتها لابن العسكري!

وانتصر المستقبل على الماضي!



الجرسون الذي قدمت له القهوة!

كان يعمل جرسونا في دار «أخبار اليوم» يحمل إلى المحررين القهوة والشاي والسندوتش، ويحمل معه ابتسامة حلوة يقدمها مع كل فنجان من الشاي!

وكان طالبا في كلية الفنون التطبيقية يحرص على حضور المحاضرات بانتظام، ثم يعمل في بوفيه «أخبار اليوم» من الساعة الثانية بعد الظهر إلى الساعة الحادية عشرة مساء.. ثم يعود إلى بيته عند منتصف الليل ليستذكر دروسه. فقد كان يريد أن يكون أكفأ جرسون في «أخبار اليوم» وأحسن طالب في الكلية!

ونجح الطالب الجرسون بتفوق، ووصل إلى البكالوريوس وحصل عليه بدرجة جيد جدا.

وفكر في أثناء العطلة الدراسية وهو طالب أن يسافر إلى الخارج، وعمل نقاشا وجرسونا وكناسا في لندن وأثينا وسويسرا ولبنان!

وكان يعود دائما في نهاية الاجازة إلى عمله في «أخبار اليوم»، وإلى الكلية في القاهرة، وكان يقول إنه يكسب في أخبار اليوم أكثر مما كان يكسب في الخارج..

كان أجره الشهري من البوفيه سبعة جنيهات، وكان متوسط ما يتقاضاه من محرري أخبار اليوم كبقشيش جنيهين في اليوم، أي ستين جنيها في الشهر!

وصدر قرار بتعيين الجرسون محمد على حسن زينهم معيدا في كلية الفنون التطبيقية في القاهرة.

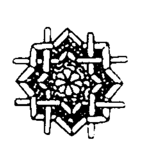
وجاءني وهو يضحك ويقول: إن مرتبه الشهري كمعيد أقل من نصف إيراده الشهري كجرسون!

وشعرت بسعادة كبيرة وأنا أجلس مع هذا الشاب الذي عمل وكافح وصبر وشق طريقه معتمداً على نفسه.. حمل صينية القهوة على يده، وجعلنا نرغب جميعا في أن نحمله فوق رؤوسنا.

ابتسم للخطوب التي واجهته فابتسمت له الدنيا. مات والده وهو في الثانوية العامة واستطاع باستقامته وأمانته وجده وإيمانه بقداسة العمل مهما كان صغيرا أن يجعل كل واحد منا يحس أنه يشرفه أن يكون أبا لمثل هذا الشاب المكافح.

واستطاع هذا الشاب إلى جانب عمله ودراسته وتفوقه أن يربي أربع شقيقات وأخاه التلميذ الصغير، وأن يزوج أخته ويجهزها ويراعي أمه، وأن يخطب مهندسة زراعية آمنت بأن الشاب الذي يبني حياته بيده هو أسعد الأزواج!

وأحسست برغبة أن أقوم واقفا أقدم له فنجان القهوة!



المديرون الأغوات!

سبب نكبة هذه البلاد هو سوء الإدارة!

هذا هو السبب الأول في أزمة المساكن، وتعطل التليفونات. وقذارة المستشفيات، وأكوام الزبالة في الشوارع، وسوء تسويق المحصولات. وفوضى القطاع العام، وغلاء الأسعار وكل ما نحن فيه من بلاء.

سوء الإدارة هو الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه، وسوء الادارة هو الذي جعلنا لا ننطلق إلى أحلامنا بعد أن فتحنا عيوننا وعرفنا كل أخطائنا..

ملأنا البلد لوائح وقوانين. لدينا من اللوائح والقوانين أكثر من أي بلد في العالم. وكلما زاد سوء الادارة تضاعف عدد القوانين، وأنت إذا أردت أن تعرف الفرق بين بلد متحضر وبلد متخلف يمكنك أن تراقب تزايد عدد القوانين فيه. وأحسب إذا استمرت الحال على هذا المنوال فسيصبح من نصيب كل فرد في الشعب قانون، أي أن يصبح عدد القوانين واللوائح عندنا بعدد سكان مصر!

ونحن كنا في السنوات الأخيرة مصابين بتورم قانوني! كلما أردنا أن ننفذ قانونا قديما نسن له قانونا جديدا! ونحن لا نعلم أن القوانين اغلال في أعناق الناس وأيديهم، وقد أصبحت لدينا الآن حرية الصحافة وحرية الكلمة، وحرية السفر، ولكن ليست لدينا حرية الحركة.

حولنا مديري الدولة إلى أصنام لا يخطو الواحد منهم خطوة إلا و يتعثر في مادة أو لائحة أو قرار أو تحقيق! ولا يوجد في مصر محام واحد يعرف كل القوانين الموجودة! والقضاة يقفون بين القوانين الكثيرة كما يقف الحائر في بيت جحا!

نحن الآن في حاجة إلى مديرين يحسنون التصرف. لا يخافون. لا يشعر الواحد منهم وهو يوقع على مشروع جديد بأنه يوقع صك إعدامه. يجب أن نحمي المديرين الذين يعملون و يفكرون و يبتكرون و ينطلقون. نحميهم من القوانين الغبية، ومن اللوائح التي وضعها فاشلون ليحولوا الناجحين إلى فاشلين مثلهم، يجب أن نحميهم من عصابات الارهاب التي تجعل مهمة المدير أن يدافع عن نفسه بدلا من أن يدافع عن مصلحة المصنع الذي يديره، ويمضي أيامه يرد على البلاغات الكيدية والاتهامات الملفقة، بدلا من أن يصرف كل لحظة للبناء والتشييد والتجديد!

لا نريد أن نسمع أن وزيرا عاقب مديرا لأنه اختلف معه في الرأي، فقد انتهى عصر «المديرين الأغوات» الذين يتلقون الأوامر والتعليمات بغير مناقشة أو بحث أو اعتراض!

إن قدماء المصريين كانوا يعطون للمديرين حرية التصرف أكثر مما يعطيها بعض الوزراء اليوم!



مات التابعي !

مات أستاذنا التابعي..

الرجل الذي عاش حياته بالطول والعرض، وملأ الدنيا بأسلوبه اللاذع وعباراته الساخرة. الكاتب الذي وصفه يوسف وهبي بأنه يسقي السم في برشامة، والذي كانت مقالاته تهز الحكومات وتسقط الوزارات!

لم يربح كاتب كما ربح، ولم ينفق كاتب كما أنفق.. كان في شبابه يمضي أكثر شهور العام في أوربا، لا يقيم إلا في الجناح الملكي في أفخر فندق في المدينة، فاذا وجد الجناح مشغولا بملك آخر انتقل إلى مدينة أخرى!

كان معبودا للنساء، قصة حياته أشبه بقصة حياة دون جوان، أو كازانوفا، قلبه كان أشبه بمسرح تمثل عليه كل عام قصة غرامية عنيفة.. إذا أحب عشق، وإذا كره نسى.. وإذا استمتع بالحب كتب أحسن ما كتب وأروع ما ألف، قصصه هي قصص حياته. أبطالها هم شخص واحد هو التابعي.. بطلاتها هن نساء في حياته..

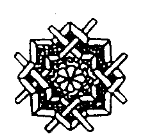
عملت معه في سنة ١٩٣٠ في مجلة «روز اليوسف»، صادرتها حكومة اسماعيل صدقي وعطلتها. في اليوم التالي أصدرنا مجلة البرق.. عطلتها الحكومة! في الأسبوع التالي أصدرنا مجلة مصر الحرة، عطلتها الحكومة.. في الأسبوع الثالث أصدرنا مجلة الربيع وعطلتها الحكومة.. وفي الأسبوع الرابع أصدرنا مجلة صدى الشرق.. وعطلتها الحكومة.. وبعد أسابيع أصدرنا مجلة «الصرخة»..

كان التابعي لا يخاف ولا يتراجع.. كلما سقط على الأرض قام يحمل قلمه ويحارب به بنفس القوة ونفس الاصرار. كان في شبابه لا يخاف الفقر ولا السجن ولا الجوع.. اليوم ينفق الألوف، وغدا يعطلون له جريدته، فلا يجد ثمن العشاء، ومع ذلك يمضي في مهاجمة اسماعيل صدقي بنفس العنف ونفس الحماس.

وفي السنوات الأخيرة اعتلت صحته، وفقد ذاكرته، ثم لازم الفراش، ولم يستطع أن يكتب حرفا، ولكن بقيت الكلمات التي كتبها في شبابه محفورة في ذاكرة القراء الذين أحبوه وتابعوه، وكانوا يتتبعون أخباره في أثناء مرضه.

كانت حياة التابعي أسطورة تصلح فيلما سينمائيا فيه الحب والمسرح، والمغامرة، والفروسية، والمفاجآت والصراع، وقسوة الحياة، وأخيرا ماذا يفعل العمر والمرض في فاتن النساء؟ الصحفي الذي أنفق مليون جنيه ولم يترك وراءه مليما!

ولكنه كان دائما الكاتب الكبير، والأستاذ العبقري والناقد الذي يحول القلم إلى مدفع رشاش!



الاسكندرية .. بلا ماء!

كانت الاسكندرية عروس البحر الأبيض قبل أن تطلقها الدولة بالثلاثة! وهي الآن لا تعيش كمطلقة مهجورة ولا كأرملة حزينة، وإنما تعيش كأنها من أبناء السبيل!

لمدة ستة أيام عاش أغلب حي رمل الأسكندرية بغير ماء! وكان منظرا مألوفا أن ترى أستاذة في الجامعة تحمل على رأسها طشت الغسيل مملوءا بالماء، أو ترى سيدة في الستين من عمرها تصعد على قدميها خمسة طوابق وهي تحمل إناء الماء! أو ترى سيدة أنيقة تركب سيارة فارهة وتقف وتنزل وهي تحمل بلاصا لتملأه بالماء وتعود به إلى بيتها!

لقد عاش ألوف الناس ستة أيام لا يستطيعون الاستحمام، ولا يجدون ماء للشرب أو للطهي..

ولم يكلف أحد من المسؤولين نفسه أن يعلن للسكان العطاشى بيانا عن أسباب انقطاع المياه، و يذيعه في الراديو، أو ينشره في الصحف، كما يحدث في كل بلاد العالم التي يحترم المسؤولون فيها الشعوب فيستأذنونها إذا قطعوا المياه، و يعتذرون لها إذا انكسرت الماسورة و يسارعون إلى إصلاح العطل!

وقد يكون المسؤولون معذورين، وان السبب في عدم إسراعهم بالاعتذار لضحايا انقطاع المياه أنهم غادروا جميعا مدينة الاسكندرية ليستحموا في مدينة القاهرة!

سكان مدينة الاسكندرية تمشي في الشوارع «تكلم روحها»! لأنها لا تجد من تكلمه! تعجب لهذا الاستهتار الذي تفشى في كل مدن مصر، فليس المسؤول فقط هو عدم وجود عملة صعبة، ولا عدم وجود ميزانية، وإنما المسؤول الأكبر هو الفوضى السارية في المدن، هو أن لا أحد يريد أن يعمل. ولا أحد يريد أن يقوم بواجبه. ولا أحد يريد أن يفهم أنه يكفي الناس ما تعانيه من غلاء الأسعار ومن اهمال المرافق، ومن سوء الخدمة ومن تعذيب الجمعيات، ومن أزمة المساكن حتى يفاجأوا كل يوم بمصيبة جديدة!

إن الذي حدث في الاسكندرية كان يستوجب إلغاء أجازة كل الذين يعملون في المرافق، وأن يعملوا ليل نهار حتى تعود المياه إلى البيوت، وكذلك طبعا منع المسؤولين في الاسكندرية من السفر إلى القاهرة ليستحموا فيها!



العدل .. الناقص !

لا يكفي أن نقول إن عندنا سيادة قانون!

يجب أن نعمل على أن نضمن هذه السيادة، ونوفر للقائمين بأمر العدالة كل الظروف التي تمكنهم من جعل القانون سيدا فوق رؤوس الجميع..

ولكن كيف يستطيع وكيل نيابة ـ مثلا ـ أن يقرأ كل يوم ٢٣ قضية، يحقق في بعضها، ويتصرف في بعضها، ويلخصها، ويوجهها التوجيه القانوني، ويحيلها إلى المحكمة أو يحفظها ويفرج عن المتهم، هذا إذا عمل كل أيام الأسبوع وأيام السنة ولم يحصل على يوم واحد أجازة.

إن بين يدي إحصاء عجيبا يقول إنه في عام ١٩٧١ عرضت ٤٫١٠٧٫٢٣٩ قضية على ٦٢٧ وكيل نيابة، وكان متوسط نصيب عضو النيابة من القضايا ٦٥٤٩ قضية في العام!

وفي سنة ١٩٧٥ عرضت ٥٫٠٤٢٫٩٣١ قضية على ٥٤٩ وكيل نيابة فكان نصيب كل واحد منهم ٩٫١٩٦ قضية في العام!

والمأساة الكبرى أن زارة العدل تعلن عن حاجتها إلى أطباء شرعيين ولا يتقدم لها أحد! وتوجد الآن أكثر من ٤٠ وظيفة طبيب شرعي لا تجد من يشغلها، والنتيجة أن اضطرت الوزارة إلى إقفال عدد من أقسام الطب الشرعي في المحافظات لأنها لا تجد من يديرها.

والسبب أن مرتب الطبيب الشرعي أقل من زميله الطبيب العادي في وزارة الصحة، فليس له بدل عيادة ولا بدل عدوى، ثم هو ممنوع من أن يفتح عيادة، وكانت النتيجة أن أصبح الأطباء الشرعيون العاملون لا يستطيعون ملاحقة الجثث التي أمامهم، فيحيلونها مرة على مفتش الصحة، ومرة على مدير مستشفى المركز!

وحالة المشرحة في القاهرة بلغت من السوء والتخلف أن زوجة أحد السفراء الأجانب ذهبت إلى هناك لتتعرف على جثة أحد الأجانب، وصحبتها وكيلةو وزارة الصحة، التي كاد يغمى عليها من الكسوف!

والطب الشرعي هنا يعيش في عصور متخلفة.. يوجد الآن في ألمانيا الغربية وأمريكا سيارة مجهزة تنتقل فورا إلى مكان الحادث، وفيها طبيب شرعي يقوم في أثناء سير السيارة بتشريح الجثة وتحليل الدم والحصول على البصمات.. ويكتب تقريره قبل وصول الجثة إلى المستشفى، وهكذا يصبح كل شيء جاهزا أمام المحقق، لأنهم يؤمنون أن العدالة البطيئة هي ظلم سريع!

كان إهمال أجهزة السلطة القضائية أيام كانت العدالة في أجازة معقولا، ولكننا الآن يجب أن نعيد النظر في هذه الأجهزة، ونوفر لها كل ما يجعل القانون سيدا بمعنى الكلمة!

نحن نعرف أن ظروف البلد الاقتصادية صعبة، ولكننا نفضل إقفال عشر سفارات في الخارج، لنوفر بمصاريفها المبالغ التي تجعل القانون سيداً بمعنى الكلمة!

ما قيمة بلد القانون فيه مشلول.. وله ألف سفير!

***

أنام ..
عندما أضع رأسي على الوسادة !

أما أنا، فأنام ملء الجفون، لا أعرف الأرق. لا أتقلب في فراشي من السهد، ولا أتناول أقراص المنومات..

إنها نعمة أحمد الله عليها. ولا يعرف قيمتها إلا الذين يهرب منهم النوم.. ينتظرونه فلا يجيء، و ينادونه فلا يلبي، و يغمضون عيونهم فلا يرونه !

ولعل السبب في نومي المنتظم أنني لا أسهر لأحاسب الناس. على العكس أنام تاركا للملائكة عملية حساب سيئات الناس وإحصاء خطاياهم. فهذا أمر ليس من اختصاصي، ومن عادتي أن لا أشغل نفسي بما هو من شأن غيري..

وفي بعض الأحيان أتهم نفسي بالقسوة، فكثيرا ما يجيء عقاب الله للذين أساءوا إلي أقسى مائة مرة من أي عقاب أتخيله، أو أتصور أنني قادر عليه. وكثيرا ما تركت أمر الذين أساءوا إليّ إلى الآخرة، وفوجئت بعقاب صارم ينزل عليهم في الدنيا.. و يبدو أن الانسان أضعف كثيرا من أن يستطيع العقاب أو الثواب !

وأنا مثلا أسامح من أساء إليّ شخصيا، فهذا شأني. ولكني لا أستطيع أن أسامح من أساء إلى الناس.. إنني إذا فعلت ذلك أكون أشبه بالمحامي الذي يتنازل عن حقوق موكله بلا استئذان، و يسمون هذا في القانون خيانة الأمانة !

و بعض الناس يريدون منك أن تجاملهم فتتنازل عن حقوق الآخرين، وأن تغفر لمن أساء إلى غيرك، وأن تنسى ما أصاب الضعفاء الذين لا قدرة لهم على الدفاع عن أنفسهم، أو تضع يدك على أفواه الذين يصرخون مستنجدين ضد الظلم الذي يقع عليهم، أو يطالبوك بأن تطالب بالرحمة على من قست قلوبهم وماتت ضمائرهم واختفت إنسانيتهم، وضاع الحق بينهم.

وأحيانا أضعف وأنسى وأطلب الرحمة، إذا كان الأمر أمري والعذاب عذابي، والظلم أصابني وحدي! ولكني لا أحب أن أكون فارسا على حساب دموع الآخرين!

أنا أنسى ما أصابني وأنام..

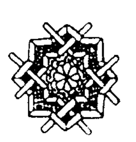
وأذكر ما أصاب غيري وأنتفض في فراشي !

***

قصة مصطفى أمين في سطور

- ولد في ٢١ فبراير سنة ١٩١٤ . أصغر من أخيه علي أمين بخمس دقائق
- أصدر مجلة بالقلم الرصاص على ورقة كراس وعمره ٧ سنوات .
- أصدر وشقيقه مجلة مطبوعة بالبالوظة باسم «ثالثة ثالث» ثم أصدر مجلة اسمها «المنيرة» لطلبة مدرسة المنيرة الابتدائية .
- أصدر مجلة بالبالوظة باسم «أولى خامس» لتلاميذ المدرسة الثانوية الملكية ثم مجلة باسم «الأوقاف» لطلبة المدرسة الثانوية .
- أصدر وشقيقه مجلة «التلميذ» بالمطبعة العادية وبغلاف ملون لطلبة وجميع المدارس والجامعة وعمرهما ١٤ سنة. ثم صادرتها الحكومة، وأصدرا مجلة «الأقلام» وعطلتها الحكومة .
- أصبح نائبا لرئيس تحرير مجلة روز اليوسف وعمره ١٧ سنة .
- فصل من مدرسة الثانوية الملكية لقيادته مظاهره ضد الديكتاتورية وعمره ١٤ سنة .
- فصل من جميع مطابع مصر وحرم من جميع الامتحانات بقرار من مجلس الوزراء لقيادته اضراب المدارس الثانوية احتجاجا على الغاء الدستور في عهد اسماعيل صدقي .
- أصبح نائبا لرئيس تحرير مجلة آخر ساعة سنة ١٩٣٤ .
- عين مراسلا لجريدة المصري في واشنطن سنة ١٩٣٦ .
- نال شهادة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة في فبراير سنة ١٩٣٨ .
- عين رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة سنة ١٩٣٨ وعمره ٢٤ سنة وكان أصغر رئيس تحرير في مصر.
- عين رئيسا لقسم الأخبار في جريدة الأهرام سنة ١٩٣٩ إلى جانب رئاستة لتحرير آخر ساعة .
- عين رئيسا لتحرير مجلة «الاثنين» سنة ١٩٤١ ورفع توزيعها من ١١ ألف نسخة إلى مائة ألف نسخة .
- أصدر مع شقيقه جريدة أخبار اليوم في ١١ نوفبر سنة ١٩٤٤ وأصبحت أوسع جريدة توزيعا في الشرق الأوسط من العدد الأول .
- أصدر مجلة آخر لحظة وكتاب اليوم ومجلة الجيل الجديد ومجلة «هي» مع علي أمين
- أصدر وشقيقه جريدة الأخبار اليومية في يونيو ١٩٥٢ .
- عين رئيسا لتحرير مجلة المصور ثم رئيسا لمجلس ادارة دار الهلال .
- عين رئيسا لمجلس ادارة أخبار اليوم سنة ١٩٦٢ .
- حكم عليه بالسجن المؤبد سنة ١٩٦٥ .
- أمضى ثمان سنوات ونصف في السجن .
- أفرج عنه في ٢٧ يناير سنة ١٩٧٤ وعين رئيسا لتحرير أخبار اليوم .
- أقيل من رئاسة تحرير أخبار اليوم سنة ١٩٧٦ .
- صدر قرار جمهوري بمنعه من الكتابة في سنة ١٩٧٨ .
- عاد إلى الكتابة بعد أربعين يوما
- قبض عليه ٢١ مرة في سنة ١٩٥١ .

- حكم عليه بالسجن ستة أشهر في سنة ١٩٣٩.
- قبض عليه لمدة أربعة أيام في أوائل ثورة ٢٣ يوليو، ثم أصدر مجلس الثورة قرارا بالاعتذار عن القبض عليه هو وشقيقه بامضاء اللواء محمد نجيب قائد الثورة.
- قبض عليه اللواء محمد نجيب وأفرج عنه جمال عبدالناصر في نفس اليوم.
- متزوج وله بنتان.



فهرست

الموضوع .... الصفحة

الموضوع .... الصفحة

الموضوع .... الصفحة

الموضوع .... الصفحة

الموضوع .... الصفحة

كتب للمؤلف

● **أمريكا الضاحكة**

حياة طالب مفلس في أمريكا

الطبعة الأولى سنة ١٩٤٣ ـ (نفدت).

الطبعة الثانية سنة ١٩٤٣ ـ (نفدت).
الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٤ ـ (نفدت).

● **فاطمة**

مثلتها للسينما أم كلثوم وأنور وجدي سنة ١٩٤٧.

● **عمالقة وأقزام**

ساسة مصر قبل الثورة.
سنة ١٩٥١ ـ (نفدت).

● **ليالي فاروق**

قصة حياة الملك السابق

الجزء الأول سنة ١٩٥٤ ـ (نفدت).
الجزء الثاني سنة ١٩٥٤ ـ (نفدت).

● **معبودة الجماهير**

الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ ـ (نفدت).

مثلها للسينما عبدالحليم حافظ وشادية.

● **صاحبة الجلالة في الزنزانة**

قصة الصحافة المصرية في الأغلال والصراع بين الصحافة والطغيان.

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ ـ (نفدت).

الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ ـ (نفدت).
الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٥.

● **سنة أولى سجن**

الطبعة الأولى سبتمبر ١٩٧٤ — (نفدت).
الطبعة الثانية ديسمبر ١٩٧٤ — (نفدت).
الطبعة الثالثة يناير ١٩٧٥ — (نفدت).
الطبعة الرابعة فبراير ١٩٧٥ — (نفدت).
الطبعة الخامسة مايو ١٩٧٥ — (نفدت).
الطبعة السادسة يناير ١٩٧٨.
الطبعة السابعة أبريل ١٩٨١.

● **الكتاب الممنوع**

أسرار ثورة ١٩١٩.

الطبعة الأولى ١٩٧٤ ـ (نفدت).
الطبعة الثانية ١٩٧٥.

● **سنة أولى حب**

يناير ١٩٧٥.
مثلها للسينما محمود ياسين ونجلاء فتحي.

- ست الحسن

الطبعة الأولى ١٩٧٦ ــ (نفدت).
الطبعة الثانية ١٩٨١.

- من واحد إلى عشرة

الطبعة الأولى ١٩٧٧.
الطبعة الثانية ١٩٨١.

- سنة ثانية سجن

الطبعة الأولى ١٩٧٧.

- سنة ثالثة سجن

الطبعة الأولى ١٩٧٨.

- لا ..

الطبعة الأولى ١٩٧٧.

- لكل مقال أزمة

الطبعة الأولى ١٩٧٩.

- الـ ٢٠٠ فكرة

الطبعة الأولى ١٩٧٩.

- تحيا الديمقراطية

الطبعة الأولى ١٩٨٠.

- من عشرة لعشرين

الطبعة الأولى ١٩٨١.

- صاحب الجلالة الحب

الطبعة الأولى ١٩٨٠.

إصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

- الجبل الذي صار سهلا (نفد) — الأستاذ أحمد قنديل
- من ذكريات مسافر — الأستاذ محمد عمر توفيق
- عهد الصبا في البادية (قصة مترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- التنمية قضية (نفد) — الدكتور محمود محمد سفر
- قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (نفد) — الدكتور سليمان بن محمد الغنام
- الظمأ (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
- الدوامة (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- غداً أنسى (قصة طويلة) (نفد) — الدكتورة أمل محمد شطا
- موضوعات اقتصادية معاصرة — الدكتور علي بن طلال الجهني
- أزمة الطاقة إلى أين؟ — الدكتور عبدالعزيز حسين الصويغ
- نحو تربية إسلامية — الأستاذ أحمد محمد جمال
- إلى ابنتي شيرين — الأستاذ حمزة شحاتة
- رفات عقل — الأستاذ حمزة شحاتة
- شرح قصيدة البردة — الدكتور محمود حسن زيني
- عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نفد) — الدكتورة مريم البغدادي
- تاريخ عمارة المسجد الحرام (نفد) — الشيخ حسين عبدالله باسلامة
- وقفة — الدكتور عبدالله حسين باسلامة
- خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (نفد) — الأستاذ أحمد السباعي
- أفكار بلا زمن — الأستاذ عبدالله الحصين
- كتاب في علم إدارة الأفراد — الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
- الإبحار في ليل الشجن (ديوان شعر) — الأستاذ محمد الفهد العيسى
- طه حسين والشيخان — الأستاذ محمد عمر توفيق
- التنمية وجهاً لوجه — الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
- الحضارة تحد (نفد) — الدكتور محمود محمد سفر
- عبير الذكريات (ديوان شعر) — الأستاذ طاهر زمخشري
- لحظة ضعف (قصة طويلة) — الأستاذ فؤاد صادق مفتي
- الرجولة عماد الخلق الفاضل — الأستاذ حمزة شحاتة
- ثمرات قلم — الأستاذ محمد حسين زيدان
- بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة) — الأستاذ حمزة بوقري
- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (تراجم) — الأستاذ محمد علي مغربي
- النجم الفريد (مجموعة قصصية مترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- مكانك تحمدي — الأستاذ أحمد محمد جمال
- قال وقلت — الأستاذ أحمد السباعي

العنوان	المؤلف
• نبض	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• نبت الأرض	الدكتورة فاتنة أمين شاكر
• السعد وعد (مسرحية)	الدكتور عصام خوقير
• قصص من سومرست موم (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• عن هذا وذاك	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• الأصداف (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• الأمثال الشعبية في مدن الحجاز	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار تربوية	الدكتور ابراهيم عباس نتو
• فلسفة المجانين	الأستاذ سعد البواردي
• خدعتني بحبها (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله بوقس
• نقر العصافير (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• التاريخ العربي وبدايته (الطبعة الثانية)	الأستاذ أمين مدني
• المجاز بين اليمامة والحجاز (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالله بن خميس
• تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• خواطر جريئة	الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
• السنيورة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر)	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• جسور إلى القمة (تراجم)	الأستاذ عزيز ضياء
• تأملات في دروب الحق والباطل	الشيخ عبدالله عبدالغني خياط
• الحمى (ديوان شعر)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• قضايا ومشكلات لغوية	الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
• ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة	الأستاذ محمد علي مغربي
• زيد الخير	الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي
• الشوق إليك (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
• كلمة ونصف	الأستاذ محمد حسين زيدان
• شيء من الحصاد	الأستاذ حامد حسن مطاوع
• أصداء قلم	الأستاذ محمود عارف
• قضايا سياسية معاصرة	الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
• نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي	الأستاذ بدر أحمد كريم
• الإعلام موقف	الدكتور محمود محمد سفر
• الجنس الناعم في ظل الإسلام	الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• ألحان مغترب (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• غرام ولاّدة (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
• سير وتراجم	الأستاذ عمر عبدالجبار
• الموزون والمخزون	الشيخ أبوتراب الظاهري
• لجام الأقلام	الشيخ أبوتراب الظاهري
• نقاد من الغرب	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• حوار.. في الحزن الدافيء	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• صحة الأسرة	الدكتور زهير أحمد السباعي
• سباعيات (الجزء الثاني)	الأستاذ أحمد السباعي
• خلافة أبي بكر الصديق	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• البترول والمستقبل العربي	الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة

الكتاب		المؤلف
• إليها .. (ديوان شعر)		الأستاذ حسين عبدالله سراج
• من حديث الكتب (ثلاثة أجزاء)		الأستاذ محمد سعيد العامودي
• أيامي		الأستاذ أحمد السباعي
• التعليم في المملكة العربية السعودية		الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• أحاديث وقضايا إنسانية		الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة
• البعث (مجموعة قصصية)		الأستاذ محمد علي مغربي
• شمعة ظمأى (ديوان شعر)		الدكتور أسامة عبدالرحمن
• الإسلام في نظر أعلام الغرب		الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• حتى لا نفقد الذاكرة		الأستاذ سعد البواردي
• مدارسنا والتربية		الأستاذ عبدالواهاب عبدالواسع
• وحي الصحراء		الأستاذ عبدالله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
• طيور الأبابيل (ديوان شعر)		الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• قصص من تاغور (ترجمة)		الأستاذ عزيز ضياء
• التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية		الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
• زوجتي وأنا (قصة طويلة)		الدكتور عصام خوقير

تحت الطبع :

الكتاب		المؤلف
• معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان		الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• ماما زبيدة (مجموعة قصصية)		الأستاذ عزيز ضياء
• عام ١٩٨٤ لجورج أورويل (قصة مترجمة)		الأستاذ عزيز ضياء
• وجيز النقد عند العرب		الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• هكذا علمني ورد زورث		الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• الطاقة نظرة شاملة		الدكتور عبدالهادي طاهر
• عمر بن أبي ربيعة		الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• رجالات الحجاز (تراجم)		الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• لا رق في القرآن		الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• من مقالات عبدالله عبدالجبار		الأستاذ عبدالله عبدالجبار
• دعوة ودفاع		الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• إليكم شباب الأمة		الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• لن تلحد		الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• سرايا الإسلام		الشيخ أبوتراب الظاهري
• حكاية جيلين		الدكتور عبدالله حسين باسلامة
• التنمية قضية	(الطبعة الثانية)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	(الطبعة الثانية)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• غداً أنسى (قصة طويلة)	(الطبعة الثانية)	الدكتورة أمل محمد شطا
• تاريخ عمارة المسجد الحرام	(الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية)	(الطبعة الثانية)	الأستاذ أحمد السباعي
• الحضارة تحد	(الطبعة الثانية)	الدكتور محمود محمد سفر
• الجبل الذي صار سهلا	(الطبعة الثانية)	الأستاذ أحمد قنديل

سلسلة :

الكتاب الجامعي

صدر منها :

- الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — الدكتور مدني عبدالقادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فؤاد زهران، الدكتور عدنان ججوم، الدكتور محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة — الدكتور محمد جميل منصور، الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا — الدكتور عبدالمنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره — الدكتور أحمد رمضان شقلية
- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج — الأستاذ سيد عبدالمجيد بكر
- علاقة الآباء بالأبناء . (دراسة فقهية) — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- مبادىء القانون لرجال الأعمال — الدكتور محمد ابراهيم أبوالعينين
- الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
- قراءات في مشكلات الطفولة — الدكتور محمد جميل منصور
- شعراء التروبادور (ترجمة) — الدكتورة مريم البغدادي
- الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- النظرية النسبية — الدكتور عبدالرحمن فكري، الدكتور محمد عبدالهادي كامل
- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية) — الدكتور أمين عبدالله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- الوحدات النقدية المملوكية — الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
- الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية) — الدكتور عبدالوهاب علي الحكمي
- هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم — الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر

تحت الطبع :

- تاريخ طب الأطفال عند العرب — الدكتور محمود الحاج قاسم
- المنظمات الاقتصادية الدولية — الدكتور حسين عمر
- الاقتصاد الاداري — الدكتور فرج عزت
- التعلم الصفي — الدكتور محمد زياد حمدان
- التجربة الأكاديمية لجامعة البترول والمعادن — الدكتور خضير سعود الخضير

سلسلة :

رسائل جامعية

صدر منها :

العنوان	المؤلف
• صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)	الدكتور بهاء حسين عزّي
• الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول	الأستاذة ثريا حافظ عرفة
• الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت	الأستاذة موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود
• العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن	الأستاذة أميرة علي المداح
• القصة في أدب الجاحظ	الأستاذ عبدالله باقازي
• تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف	الأستاذة فوزية حسين مطر
• النظرية التربوية الإسلامية	الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
• نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون	الأستاذ رشاد عباس معتوق
• المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي (تحقيق ودراسة)	الدكتور نايف بن هاشم الدعيس
• الجانب التطبيقي في التنمية الإسلامية	الأستاذة ليلى عبدالرشيد عطار
• الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية	الأستاذ نبيل عبدالحي رضوان
• دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام	الأستاذة فتحية عمر حلواني
• الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام	الأستاذة نورة بنت عبدالملك آل الشيخ
• دراسة اثنوغرافية لمنطقة الحسا (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فايز عبدالحميد طيب
• عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية انثروبولوجية حديثة)	الأستاذ أحمد عبدالإله عبدالجبار

تحت الطبع :

العنوان	المؤلف
• افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي	الأستاذ عبدالكريم علي باز
• الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار	الدكتور فاروق صالح الخطيب
• تقييم النمو الجسماني والنشوء	الدكتورة ظلال محمود رضا
• العقوبات التفويضية وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة	الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
• العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة	الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
• دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فايز عبدالحميد طيب
• تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن الثالث عشر	الأستاذ محمد فهد عبدالله الفعر



صدر منها :

الكتاب	المؤلف
• حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح ابراهيم
• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية)	الدكتور محمود الشهابي
• التخلف الإملائي	الأستاذة نوال عبدالمنعم قاضي
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	إعداد إدارة النشر بتهامة
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودي (باللغة الانجليزية)	إعداد إدارة النشر بتهامة
• تسالي (من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية)	الدكتور حسن يوسف نصيف
• كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني	الشيخ أحمد بن عبدالله القاري
(دراسة وتحقيق)	الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
• النفس الإنسانية في القرآن الكريم	الأستاذ إبراهيم سرسيق
• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية)	الدكتور عبدالله محمد الزيد
• صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الإنجليزية)	الدكتور زهير أحمد السباعي
• مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد منصور الشقحاء
• النبش في جرح قديم (مجموعة قصصية)	الأستاذ السيد عبدالرؤوف
• الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام	الدكتور محمد أمين ساعاتي
• الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك	الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
• الدليل الأبجدي في شرح نظام العمل السعودي	الدكتور عاطف فخري
• رعب على ضفاف بحيرة جنيف	الأستاذ شكيب الأموي
• العقل لا يكفي (مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي الشيخ
• أيام مبعثرة (مجموعة قصصية)	الأستاذ فؤاد عنقاوي
• مواسم الشمس المقبلة (مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي قدس
• ماذا تعرف عن الأمراض ؟	الدكتور اسماعيل الهلباوي
• جهاز الكلية الصناعية	الدكتور عبدالوهاب عبدالرحمن مظهر
• القرآن وبناء الإنسان	الأستاذ صلاح البكري
• اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية	الأستاذ علي عبده بركات
• الطب النفسي معناه وأبعاده	الدكتور محمد محمد خليل
• الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح ابراهيم
• مجموعة الخضراء (دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ علي الخارجي
• ديوان السلطانين	الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• الامكانات النووية للعرب وإسرائيل	الدكتور صدقة يحيى مستعجل
• رحلة الربيع	الأستاذ فؤاد شاكر
• وللخوف عيون (مجموعة قصصية)	أحمد شريف الرفاعي
• البحث عن بداية (مجموعة قصصية)	الأستاذ جواد صيداوي
• الوحدة الموضوعية في سورة يوسف	الدكتور حسن محمد باجودة
• المجنونة اسمها زهرة عباد الشمس (ديوان شعر)	الأستاذة منى غزال

- من فكرة لفكرة — الأستاذ مصطفى أمين
- رحلات وذكريات — الأستاذ عبدالله حمد الحقيل

تحت الطبع :

- قراءات في التربية وعلم النفس — الأستاذ فخري حسين عزّي / الدكتور لطفي بركات أحمد
- الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية — الأستاذ أبو هشام عبدالله عباس بن صديق
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- ملامح وأفكار — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- المذاهب الأدبية في شعر الجنوب — الدكتور علي علي مصطفى صبح
- النظرية الخلقية عند ابن تيمية — الدكتور محمد عبدالله عفيفي
- الكشاف الجامع لمجلة المنهل — الأستاذ عبدالله سالم القحطاني
- ديوان حمام — الأستاذ محمد مصطفى حمام
- رحلة الأندلس — الدكتور حسين مؤنس
- فجر الأندلس — الدكتور حسين مؤنس
- قريش والإسلام — الدكتور حسين مؤنس
- الماء ومسيرة التنمية — الأستاذ مصطفى نوري عثمان
- الدفاع عن الثقافة — الأستاذ عبدالعزيز شرف
- الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث — الأستاذ على مصطفى عبداللطيف السحرتي
- ذكريات لا تنسى — الأستاذ محمد المجذوب

كتاب الناشئين

صدر منها :

مجموعة: وطني الحبيب
- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

مجموعة: حكايات ألف ليلة وليلة :
- السندباد والبحر — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

- الديك المغرور والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني / الأستاذ يعقوب محمد اسحق
- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- جزيرة السعادة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الحديقة المهجورة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

كتاب للأطفال

صدر منها :

- الصرصور والنملة — الأستاذ عمار بلغيث
- السمكات الثلاث — الأستاذ عمار بلغيث
- النخلة الطيبة — الأستاذ اسماعيل دياب
- الكتكوت المتشرد — الأستاذ عمار بلغيث
- المظهر الخادع — الأستاذ عمار بلغيث
- بطوط وكتكت — الأستاذ اسماعيل دياب

مجموعة : لكل حيوان قصة — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- القرد ● الكلب ● السلحفاة ● الأسد ● الحمار الأهلي ● الفرس ● الغزال ● الوعل ● الضفدع
- الضب ● الغراب ● الجمل ● البغل ● الفراشة ● الدجاج ● الحمار الوحشي ● الجاموس ● الدب
- الثعلب ● الأرنب ● الذئب ● الفأر ● الخروف ● البط ● الببغاء ● الحمامة ● الخرتيت
- البوم ● البجع ● الهدهد ● الكنغر ● الخفاش ● النعام ● فرس النهر ● التمساح

مجموعة : حكايات كليلة ودمنة — إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- عندما أصبح القرد نجارا
- الغراب يهزم الثعبان
- أسد غررت به أرنب
- المكاء التي خدعت السمكات

تحت الطبع

- لقد صدق الجمل
- الكلمة التي قتلت صاحبتها
- سمكة ضيعها الكسل
- قاض يحرق شجرة كاذبة

مجموعة : التربية الإسلامية — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- الله أكبر ● الصــلاة ● صلاة المسبوق ● الشهادتان ● التيمم
- قد قامت الصلاة ● الاستخارة ● صلاة الجمعة ● أركان الإسلام ● الوضــوء
- الصــوم ● صلاة الجنازة ● صلاة الكسوف والخسوف

مجموعة : حكايات للأطفال — ينقلها إلى العربية الأستاذ عز يز ضياء

- سعاد لا تعرف الساعة
- الحصان الذي فقد ذيله
- تورتة الفراولة
- ضيوف نار الزينة
- الضفدع العجوز والعنكبوت
- الكؤوس الفضية الاثنتا عشر
- سرحانة وعلبة الكبريت
- الجنيات تخرج من علب الهدايا
- السيارة السحرية
- كيف يستخدم الملح في صيد الطيور

تحت الطبع

- الأرنب الطائر
- معظم النار من مستصغر الشرر
- لبنى والفراشة
- ساطور حمدان
- وأدوا الأمانات إلى أهلها

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English by Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.

  By : F. M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED

- Zaki Mubarak: A Critical Study.

  By Dr. Mahmud Al Shihabi

- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan

- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference Second Edition'
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.

- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai

- Diseases of Ear, Nose and Throat

  By : Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk

- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By : Dr. Baha Bin Hussein Azzee

- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia.
- An Ethnographic Study of Al-Hasa Region of Eastern Saudi Arabia

  By: Faiz Abdelhameed Taib

